كتاب سراج الملوك للطرطوشي

عدد ١٧

A. آياصوفيه

٢٨٨٢

الحمد لله الذي هدينا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله

٣٨٨٢

٣٧

كتاب سراج الملوك

برسم خزانة
السلطان الملك
الظاهر عز نصره

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتبصر واعتبر
حرره الفقير احمد
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

N-S.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال ۞ خالق
الأعيان والآثار ۞ ومكور النهار على الليل والليل على النهار ۞
العالم بالخفيات ۞ وما تنطوي عليه الأرضون والسموات ۞ سواء
عنده الجهر والاسرار ۞ ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار
ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ۞ خلق الخلق بقدرته وأحكمهم
بعلمه وخصهم بمشيئته ۞ ودبرهم بحكمته ۞ لم يكن له في خلقهم معين
ولا في تدبيرهم مشير ولا ظهير فكيف يستعين ۞ من لم يزل بمن لم
يكن أو يستظهر من تقدس عن الذل بمن دخل تحت ذل التكوين ۞
ثم كلفهم معرفته وجعل علم العالمين بعجزهم عن ادراكه ادراكهم
ومعرفة العارفين ۞ بتقصيرهم عن شكره شكرهم كما جعل اقرار
المقرين ۞ بوقوف عقولهم عن الاحاطة بحقيقته ايمانهم لا يلزمه
لم ولا يجاوزه أين ۞ ولا يلاصقه حيث ولا يحله ما ۞ ولا يعده
كم ۞ ولا يحصره متى ۞ ولا يحيط به كيف ۞ ولا يناله أي
ولا يظله فوق ولا يقله تحت ۞ ولا يقابله حد ۞ ولا يزاحمه
عند ۞ ولا يأخذه خلف ۞ ولا يحده أمام ولا يظهره قبل
ولا يفته بعد ۞ ولا يجمعه كل ۞ ولم يوجده كان ولم يفقده

ليس ۞ وصفه لا صفة له ۞ وكونه لا أمد له ۞ لا تخالطه
الأشكال والصور ۞ ولا تعتريه الأيام والغير ۞ ولا تجوز
عليه المماسة والمقارنة ۞ وتستحيل عليه المحاذاة والمقابلة ۞
إن قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ۞ ومن كان معلولا فقد
كان له غيره علة تساويه في الوجود وهو قبل جميع الأغيار ۞ بل
لا علة لأفعاله فقدرة الله في الأشياء بلا امتزاج ۞ وصنعته للأشيا
بلا علاج ۞ وعلة كل شيء صنعته ولا علة لصنعته ۞ فإن قلت
أين هو فقد سبق المكان وجوده ۞ فمن أين الأين لم يفتقر وجوده
إلى أين هو بعد خلق المكان غني بنفسه كما كان قبل خلق المكان
وكيف يحل فيما منه بدا ۞ أو يعود إليه ما هو أنشأ ۞ وإن
قلت ما هو فلا ماهية له وما موضوعة للسؤال عن الجنس والقديم
تعالى لا جنس له ۞ لأن الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت الماهية
وان قلت كم هو فهو واحد في ذاته ۞ منفرد بصفاته ۞
وان قلت متى كان فقد سبق الوقت كونه ۞ وان قلت كيف
هو فمن كيف الكيف ۞ لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية
جاز عليه التغيير ۞ وان قلت ما هو فالها والواو خلقه بل الزم
الكل الحدث كما قال بعض الأشياخ لان القدم له فالذي بالجسم

ظهوره فالغرض يلزمه والذي بالاداه اجتماعه فقواها تمسكه
والذي نؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غيره فالضرورة
تمسه والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي اليه ومن
اواه محل ادركه اين ومن كان له جنس طالبه كيف وجوده اتيانه
ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه فما تصور
في الاوهام فهو بخلافه لا تماثله العيون ولا تخالطه الظنون
ولا تتصوره الاوهام ولا تحيط به الافهام ولا يقدر
قدره الانام ولا يحويه مكان ولا يقارنه زمان ولا
يحصره أمد ولا يشفعه ولد ولا يجمعه عدد قربه كرامته
وبعده إهانته علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل
هو الاول والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية
وبالوحدانية وبما شهد به لنفسه من الاسما الحسنى
والصفات العلا والنعوت الاوفا الا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين واومن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين احد من رسله ونحن له مسلمون
واشهد ان محمدا عبده ورسوله المصطفى وامينه المرتضى ارسله الى

كافة الورى بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا
صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين واصحابه المنتخبين
وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فاني لما نظرت الى سير الامم الماضية والملوك
الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول والتزموه من
القوانين في حفظ النحل فوجدت ذلك نوعين احكاما وسياسات
فاما الاحكام على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبيوع والانكحة
والطلاق والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود
القايمة على من خالف شيا منها فامر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على
شيء منه برهان ولا انزل الله به من سلطان ولا اخذوه عن تدبير
ولا اتبعوا فيه رسولا وانما هي صادرة عن خزنة النيران وسدنة
بيوت الاصنام وعبدة الانداد والاوثان وليس يعجز احد من
خلق الله تعالى أن يصنع من تلقا نفسه امثالها واشباهها واما
السياسات التي وضعوها في اكثر امر تلك الاحكام والذب عنها
والحماية لها وتعظيم من عظمها واهانة من استهان بها وخالفها
فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها
والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبه تلك الاحكام وكذلك

في تدبير الحروب وأمن السبل وحفظ الأموال وصون الأعراض
والحرم كل ذلك قد ساروا فيه بسير جميلة لا ينافي العقول شياً منها
لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم
بحفظ تلك الأصول الفاسدة كمن زخرف كنيفاً أو بنى على ميت قصراً
منيفاً كما قيل ولو لبس الحمار ثياب خز لقال الناس يا لك من حمار
فجمعت محاسن ما انطوت عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوايف وحكما
الدول فوجدت ذلك في ستة من الأمم وهم العرب والفرس والروم
والهند والسند والسندهند فاما ملوك الصين وحكماها
فلم تبلغ إلى ارض العرب من سياساتهم كبير شي لبعد المشقة وطول
المسافة واما من عداها من الأمم فلم يكونوا أهل حكم بارعة وقرايح
نافذة وأذهان ثاقبة وانما يصدر عنهم الشي اليسير من الحكمة فنظمت
ما القيت في كتبهم من الحكم البالغة والسير المستحسنة والكلمة
اللطيفة والطريقة المالوفة والتوقيع الجميل والأثر النبيل إلى ما
رويته وجمعته من سير الانبيا صلى الله عليهم واثار الأوليا وبراعة
العلما وحكمة الحكما ونوادر الخلفا وما انطوى عليه القران
العزيز الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات ومغاص
الجواهر المكنونات ان اختصر فلمحة دالة او اشارة خفية وإن اطال

فالفاظ

فالفاظ بارعة وايات معجزة وهو الهادي من الضلالة والحاوي
لمحاسن الدنيا وفضايل الآخرة ورتبته ترتيباً أنيقاً
وترجمته تراجم بارعة حاوية لمقاصدها ناطقة بحكمها ومضمونها تلج
الاذن من غير اذن وتتولج التامور من غير استيمار الفاظها قوالب
لمعانيها ليس الفاظها إلى السمع باسرع من معانيها إلى القلب فانتظم
الكتاب بحمد الله وعونه واحسانه غاية في بابه غريباً في فنونه
وأسبابه خفيف المحمل كثير الفايدة لم تسبق إلى مثله اقلام العلما
ولا جالت في نظمه افكار الفضلا ولا حوته خزاين الملوك والروسا
فلا يسمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا استصحبه ولا رييس
الا استنسخه واستوسده عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل
الرياسة وجنة لمن تحصن به من أولي الامرة والسياسة وجمال
لمن تحلا به من أهل الآداب والمحاضر وعنوان لمن فاوض به من
أهل المجالسة والمذاكرة وسميته سراج الملوك
فيستغني الحكيم بدراسته عن مباحثة الحكما والملك عن مشاورة
الوزرا واعلموا وفقكم الله ان احق من أهديت إليه
الحكم وأوصلت إليه النصايح وحملت إليه العلوم من اتاه الله
سلطاناً فنفذ في الخلق حكمه وجاز عليهم قوله ولما

الأجل المأمون تاج الخلافة فخر الانام نظام الدين أبو عبد الله محمد
الامري ادام الله لاعزاز الدين نصره وانفذ في العالمين بالحق أمره
وأوزع كافة الخلق شكره وكفاهم فيه محذوره وضرّه قد تفضّل
الله به على المسلمين فبسط فيهم يده ونشر في مصالح أحوالهم كلمته وعرّف
الخاص والعام يمنه وبركته وتقلد أمر الرعيّة وسار فيهم على
أحسن قضيته متحرّيا للصّواب راغبا في الثواب طالبا سبل العدل
ومناهج الانصاف والفضل رغبت أن اخصه بهذا الكتاب
رجا لطف الله تعالى في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا ولتذكر
فضايله ومحاسنه ما بقي الدهر **كما قيل**

الناس يهدون على قدرهم * لكنني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى واهدي الذي * يبقى على الايام والدهر

فان العلم عصمة الملوك والامرا ومعقل السلاطين والوزرا لانه يمنعهم
من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الأذية ويعطفهم على الرعيّة
فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويكرموا حملته ويستوطنوا اهله **وهذه**
ابواب الكتاب وجملتها اربعة وستون بابا
وهي هذه كما ترى

الباب الاول
في مواعظ الملوك
الباب الثاني
في مقامات العلما والصالحين عند الامرا والسلاطين
الباب الثالث
فيما جا في الولاة والقضاة وما في ذلك
الباب الرابع
في معرفة ملك سليمان عليه السلام
الباب الخامس
في فضايل الولاة والقضاة إذا عدلوا
الباب السادس
في أن السلطان مع رعيته مغبون غير غابن
الباب السابع
في بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض
الباب الثامن
في منافع السلطان ومضارّه
الباب التاسع
في معرفة منزلة السلطان من الرعيّة

الباب العاشر

في معرفة خصال وردا الشرع بها
فيها نظام الملك والدول

الباب الحادي عشر

في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان
ولا ثبات له دونها

الباب الثاني عشر

في معرفة الخصال التي زعمت الملوك
انها أزالت دولتهم وهدمت سلطانهم

الباب الثالث عشر

في معرفة الصفات التي لا تدوم معها مملكة

الباب الرابع عشر

في الخصال المحمودة في السلطان

الباب الخامس عشر

في معرفة الخصال التي يعز بها السلطان

الباب السادس عشر

في معرفة الخصال التي هي ملاك أمور السلطان

الباب السابع عشر

في معرفة خير السلطان وشر السلطان

الباب الثامن عشر

في معرفة خصال جامعة لأمر السلطان

الباب التاسع عشر

في معرفة منزلة السلطان من القرآن

الباب العشرين

في معرفة الخصال التي هي أركان السلطان

الباب الحادي والعشرين

في بيان حاجة السلطان إلى العلم

الباب الثاني والعشرين

في وصية أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه لكميل بن زياد في العلم

الباب الثالث والعشرين

في معرفة العقل والدها والخبث والمكر

الباب الرابع والعشرين

في الوزرا وصفاتهم

الباب الخامس والعشرين

في الجلساء وآدابهم

الباب السادس والعشرين

في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان

الباب السابع والعشرين

في المشاورة والنصيحة

الباب الثامن والعشرين

في الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه

الباب التاسع والعشرين

فيما يسكن به الغضب

الباب الثلاثون

في الجود والسخاء

الباب الحادي والثلاثين

في معرفة الشح والبخل وما يتعلق بهما

الباب الثاني والثلاثين

في معرفة الصبر وجميل عواقبه

الباب الثالث والثلاثين

في كتمان السر ومحاسنه

الباب الرابع والثلاثين

في بيان الخصلة التي هي رهن لسائر الخصال
وزعيم بالمزيد من الآلاء والانعام من ذي الجلال

الباب الخامس والثلاثين

في بيان السيرة التي يصلح عليها الأمير
والمأمور وتسهل عليها صحبة الخلائق اجمعين

الباب السادس والثلاثين

في معرفة الخصال التي فيها غاية كمال السلطان
وشفا الصدور وراحة القلوب وطيب النفوس

الباب السابع والثلاثين

في الخصال التي فيها ملجا الملوك عند الشدائد
ومعقل السلاطين عند اضطراب الممالك

الباب الثامن والثلاثين

في بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان

الباب التاسع والثلاثين

في مثل السلطان العادل والجاير

الباب الأربعون

فيما يجب على الرعية إذا جار السلطان

الباب الحادي والأربعين

في كما تكونوا يولى عليكم

الباب الثاني والأربعين

في بيان الخصلة التي بها تصلح الرعية

الباب الثالث والأربعين

في التحذير من صحبة السلطان

الباب الرابع والأربعين

في صحبة السلطان العادل

الباب الخامس والأربعين

في سيرة السلطان مع الجند

الباب السادس والأربعين

في سيرة السلطان في جبي الخراج

الباب السابع والأربعين

في سيرة السلطان في بيت المال

الباب الثامن والأربعين

في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفروض الأرزاق وسيرة العمال

الباب التاسع والأربعين

في أحكام أهل الذمة

الباب الخمسين

في بيان الصفة المعتبرة في الولاة

الباب الحادي والخمسين

في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال

الباب الثاني والخمسين

في هدايا العمال والرشا على الشفاعات

الباب الثالث والخمسين

في معرفة حسن الخلق

الباب الرابع والخمسين

في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه

الباب الخامس والخمسين

في تحريم السعاية والنميمة وقبحهما

الباب السادس والخمسين

في القصاص وحكمته

الباب السابع والخمسين

في الفرج بعد الشدة

الباب الثامن والخمسين

في الشجاعة وثمراتها

الباب التاسع والخمسين

في الحروب وتدبيرها

الباب الستون

في القضا والقدر وأحكامهما

الباب الحادي والستين

في الجامع

الباب الثاني والستين

مشتمل على حكم منثورة وهو اخر الكتاب

الباب الأول في مواعظ الملوك

لقد خاب وخسر من كان حظه من الله الدنيا إعلم أيها الرجل وكلنا ذلك الرجل ان عقول الملوك وإن كانت كبارا إلا انها مستغرقة بكثرة الأشغال فتستدعي من الموعظة ما يتولج على تلك

الأفكار وتتغلغل في مكامن تلك الأسرار وتلك الأكنة والأقفال وتصقل ذلك الصدي والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وانت تعلم انك ما أوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو لهو ولعب قال الله تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم قال وان الدار الاخرة هي دار القرار ثم قال وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل لعبا قليلا يفنى بحياة الأبد حياة لا تفنى وشباب لا يبلى كما قال الفضل لو كانت الدنيا ذهبا يفنى وكانت الآخرة خزفا يبقى لوجب أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى تأمل بعقلك هل اتاك الله من الدنيا ما اتى سليمان ابن داود عليه السلام حيث اتاه ملك جميع الدنيا والجن والانس والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب ثم زاده الله ما هو اعظم منها فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وهذا افضل الخطاب لمن تدبره ان يقول له ربه في

معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ثم خاف سليمان
عليه السلام أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم هذا ثم قال لك
ولسائر أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال
وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين
تأمل بعقلك إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة ماء وانظر بسمعك إلى ما نزل به جبريل من عند الله تعالى
على محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يقول لك عش ما
شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت
فانك مجزي به فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه الكلمات من صرعة
الموت وفراق الأحبة والجزاء على الأعمال فلو لم ينزل من السماء غيرها
لكانت كافية **أنظر بفهمك** إلى ما رواه الحسن رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بمنزل قوم قد ارتحلوا عنه وإذا طلا
مطروح فقال أترون ما هذا هان على أهله فقالوا من هوانه عليهم
القوم قال فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا على أهله
فجعل الدنيا أهون على الله من الجيفة المطروحة **وقال**
أبو هريرة رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا

جميعا

جميعا بما فيها قلت بلى قال فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة
فاذا مزبلة فيها رؤوس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم
ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم
ثم هي اليوم تساقط جلدا بلا عظم ثم هي صائرة رمادا ومدبرا وهذه
العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها فقذفوها
من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم
ولباسهم ثم أصبحت الرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي
كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا
فليبك على نفسه قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا **وقال**
ابن عمر رضي الله عنه أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي
فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل واعدد
نفسك في الموتى يا أيها الرجل إن كنت لا تدري متى يفجأك الأجل
فلا تغتر بطول الأمل فإنه يقسي القلوب ويفسد العمل وقد عير الله
أقواما مد لهم في الأجل فقست منهم القلوب وطال الأمل فقال ألم يأن
للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا
كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم
وكثير منهم فاسقون **ومما أنشدوا**

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ۝ ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ۝ وعند صفو الليالي يحدث الكدر

يا أيها الرجل ألق سمعك وارع لي لبك فإن كنت لا تدري متى الموت فاعلم بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر ابن آدم أين الأولين والآخرين أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين والمرسلين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وإمام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الأبرار المنتجبين أين الأمم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين كانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا في اللذات والمآرب أين الذين تاهوا على الخلايق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين استرقوا الملابس أثاثا ورئيا كم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا أين الذين اعتزوا بالأجناد والسلطان أين أصحاب السطوة والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الألوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف أين الذين ملؤا ما بين سطوتهم

كل خايف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور خزا وبزا أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة وهزا أين الذين استذلوا العباد قهرا ولزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فناهم والله مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور وأسكنهم في ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم فعاث الدود في أجسامهم واتخذ مقيلا في أبدانهم وسالت العيون على الخدود وامتلأت تلك الأفواه بالدود وتساقطت الأعضا وتمزقت الجلود وتناثرت اللحوم وتقطعت البطون فلم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما كسبوا كيف بك إذا أسلمك الأحبة والأوليا وهجرك الاخوان والأصفيا ونسيك القربا والبعدا فامسيت ولو نطقت لانشدت قولنا عن سكان الثرى ورهاين الترب والبلا **شعر**

مقيم بالحجون رهين رمس ۝ وأهلي راحلون بكل واد
كأني لم أكن لهم حبيبا ۝ ولا كانوا الأحبة في السواد
فعوجوا للسلام فإن أبيتم ۝ فأوموا بالسلام على بعاد
فإن طال المدى وصفي خليل ۝ سوانا فادكروا واصفوا الوداد
وذاك أقل ما لك من حبيب ۝ وأخره إلى يوم التناد
فلو أنا بموقفكم وقفنا ۝ سقينا الترب من مهج الفؤاد

وقال مكوم ابن يوسف العابد أوحى الله تعالى الى نبي
من أنبياء بني اسرايل ان قف على المداين والحصون وابلغهم عني حرفين
لا تاكلوا الا طيبا ولا تتكلموا الا بالحق ولما دخل يزيد الرقاشي على
عمر ابن عبد العزيز قال عظني يا يزيد قال يا امير المومنين اعلم انك اول
خليفة يموت فبكى عمر وقال زدني يا يزيد قال يا امير المومنين ليس بينك
وبين ادم الا اب ميت فبكا وقال زدني يا يزيد قال يا امير المومنين
ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه يا ايها الرجل لا تغفلن
عن ذكر ما تتيقنه من وجوب الفناء وتقضي المساد وذهاب اللذات
وانقضا الشهوات وبقا التبعات وانقلابها حسرات وان الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي
من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له من صح فيها سقم ومن سلم فيها
ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنا فيها فتن حلالها حساب
وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من سعا لها فاتته ومن بعد عنها
اتته ومن نظر اليها اعمته ومن نظر فيها بصرته لا خيرها يدوم ولا
شرها يبقى ولا فيها لمخلوق بقا يا ايها الرجل لا تخدعن كما
خدع من قبلك فان الذي اصبحت فيه من النعيم انما صار اليك بموت من
كان قبلك وهو خارج من يديك بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا

للعالم لم تصير للجاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل للاخر يا ايها الرجل
لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلمت عليك بالخلافة والقيت اليك
مقاليدها وافلاذ كبدها ثم كنت طريد الموت ما كان ينبغي لك ان
تشتهي تعيش لا فخر فيما يزول ولا هني فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما
قال الاول بدر يعلى وكنيف يملى وهو كما قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف فقال لي اموالهم ونوالهم عندي

ولقد اصاب ابن السماك لما قال له الرشيد عظني يا ابن السماك وبيده
شربة من ماء فقال يا امير المومنين ارايت لو حبست عنك هذه الشربة
اكنت تفديها بملكك قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوي شربة ولا
بوله يا ايها الشاب لا تغتر لشبابك فان اكثر من يموت الشباب
والدليل عليه ان اقل الناس الشيوخ يا ايها الشباب كم من حمل في التنور
وابوه يرعى وكم من طفل في التراب وجده حي وقال
علي عليه السلام لاسقف قد اسلم عظني قال يا امير المومنين اذ كان الله
لك فمن تخاف وان كان عليك فمن ترجوا قال احسنت فزدني قال ان
كان الله معك فمن تخاف قال احسنت فزدني قال احسب ان الله قد
غفر ذنب المذنبين اليس قد فاتهم ثواب المحسنين قال حسبي حسبي وبكا

علي أربعين صباحا قال الحسن قدم صعصعة يعني عم
الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرا فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي حسبي لا أبالي أن لا
أسمع اية غيرها وقال سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل عظني
فقال ان كنت إذا عصيت الله ظننت انه يراك فلقد اجترأت على ذنب
عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت برب كريم وكتب
علي ابن ابي طالب الى سلمان انما مثل الدنيا كمثل الحية لين لمسها وتقتل
بسمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها
لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها
كلما اطمأن فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه وقال ابو العتاهية
هي الدار دار الأذى والقذى ودار الفنا ودار الغير فلو نلتها بحذافيرها
لمت ولم تقض منها الوطر ۞ أيا من يؤمل طول الخلود وطول الخلود
عليه ضرر ۞ إذا ما كبرت وبان الشباب فلا خير في العيش بعد
الكبر ۞ ولما بلغ مندل من الدنيا أفضل ما سمت اليه نفسه
ورقت اليه همته رفضها ونبذها وقال هذا سرور لولا انه غرور
ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وغنا لولا انه فنا وجسيم
لولا انه ذميم ومحمود لولا انه مفقود وغني لولا انه مني وارتفاع

لولا

لولا انه اتضاع وعلا لولا انه بلا وحسن لولا انه حزن وهو يوم لو
وثق له بغد ۞ يا أيها الرجل لا تكن كالمنخل يرسل أطيب ما فيه
ويمسك الحثالة واعلم ان من قسي قلبه لا يقبل الحق وان كثرت دلايله قال
الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم
تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشد قسوة وذلك
ان كثرة الذنوب مانعة من قبول الحق وولوج المواعظ فيها قال الله
تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي غطا عليها وغشيها
فلا تقبل خيرا ولا تصح لموعظة جاء في التفسير اذا اذنب
العبد ينكت في قلبه نكتة سودا ثم ان اذنب ينكت نكتة سودا
حتى تسود القلب وقال حذيفة القلب كالكف فاذا اذنب العبد
انقبض منها أصبع وقبض أصبعا ثم إذا اذنب انقبض وقبض اصبعا
أخرى ثم كذلك حتى ينقبض الكف كله ثم يطبع عليه فذلك هو الران
وقال بكر ابن عبد الله إذا اذنب العبد صار في قلبه
كوخز الابرة ثم كلما أذنب صار كموخز الابرة حتى يعود القلب
كالمنخل وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال
ابن شبرمة إذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام وإذا كان القلب
مغرما بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قيل تغير اذا قسا القلب

لم تنفعه موعظة كالأرض ان سخت لم ينفع المطر ولا أدي أثرا للذكر في جسدي والجبل في الصخرة الصما له اثر **ويروي** ان ابا العتاهية مر بدكان الوراق فاذا كتاب فيه بيت من الشعر **وهو**

لم ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت قيل لأبي نواس قال وودت انه لي بنصف شعري قال الأصمعي ان النعمان ابن امرء القيس الأكبر الذي بنا الخورنق اشرف على الخورنق يوما فاعجبه ما اوتي من الملك والسعة في الدنيا ونفوذ الامر واقبال الوجوه نحوه فقال لأصحابه هل أوتي أحد امثل ما أوتيت فقال له حكيم من حكما اصحابه هذا الذي أوتيت شي لم يزل ولا يزول ام شي لم كان قبلك زال عنه وصار اليك قال بلى شي لمن كان قبلي وصار الي وسيزول عني قال أفسررت بشي تذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال فأين المهرب قال اما أن تقيم وتعمل بطاعة ربك او تلبس امساحا وتلحق بجبل تعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى ياتيك اجلك قال فإذا فعلت ذلك فما لي قال حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى قال فاي خير فيما يفنى والله لأطلبن عيشا لا يزول ابدا فانخلع من ملكه ولبس الامساح وسار في الأرض وتبعه الحكيم وجعلا يسيحان ويعبدان الله ربهما حتى ماتا وفيه يقول عدي ابن زيد

ويلن

وتبين رب الخورنق اذ اصبح يوما وللهوى تفكير

سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير

فارعوى قلبه وقال فما غبطة حي الى الممات يصير

اين كسرى كسرى الملوك انوشروان ام اين قبله سابور

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

لم تهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور

وفيهم يقول الاسود بن يعفر ولقد علمت سوى الذي نبانى ان السبيل سبيل ذوي الأعواد ماذا اومل بعد ال محرق تركوا منازلهم وبعد اياد أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد نزلوا بانقرة يسيل عليهم ما الفرات يجي من اطواد أرض تخيرها لطيب مقيلها كعب ابن مامه وابن ام دواد جرت الرياح على محل ديارهم وكانما كانوا على ميعاد فارى النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير الى بلا ونفاد **وقال** وهب ابن منبه اصبت على غمدان وهو قصر سيف ابن ذي يزن بارض صنعا اليمن وكان من الملوك الاجله مكتوب بالقلم المسند مترجم بالعربية واذا هي ابيات جليلة وموعظة عظيمة باتوا على قلل الاجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل واستنزلوا من اعالي عز معاقلهم فاسكنوا حفرة يا

بِئسَ مَا نزلوا ● نَادَاهم صارخٌ من بعدِ ما دُفنوا أين الأسرَّة والتيجان

والحلل ● اين الوجوه التي كانت محجّبةً من دونها تضرب الأستار

والكلل ● فأصبح القبرُ عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدود

تقتتل ● قد طال ما أكلوا يومًا وما شربوا فاصبحوا بعد طول الأكل

قد أُكِلوا ● قُرِئ على القاضي أبو الوليد وانا اسمع لبعض الشعراء

هذه الأبيات

ويحك أيا اسما ما شاني اظلني والله ما شاني

الموت حق فاعلي نازل فيسّري لحدي واكفاني

قد كنت داما ل فلا والذي اعطاني العيش واغناني

ما قرّت العين به ساعةً الا تذكرتُ فأشجاني

علمي باني صابر للبلا وفاقد أهلي وجيراني

وتاركٌ ما لي على حالهِ نصبا لشيطان ابن شيطان

لامراة ابني اولزوج ابنتي يا لك من غيٍّ وخسران

يسعد في مالي واشقي به قومٌ ذوو غلٍ وشنآني

إنْ أحسنوا كان لهم أجرهُ وخفَّ من ذلك ميزاني

وممّن استبصر من أبنا الملوك فرأى عيب الدنيا وفناها وتقضّيها

وزوالها ابراهيم ابن ادهم بن منصور من أبنا ملوك خراسان من كورة

بلخ

بلخ ولمّا زهد في الدنيا زهد عن ثمانين سريرًا **قال** ابراهيم

ابن بشار سألت ابراهيم ابن أدهم كيف كان بدوُ أمرك حين صرتَ الى

هذا قال غير هذا أولى بك قلت يرحمك الله لعل الله ينفعني به يومًا ثم سألته

ثانيًا فقال ويحك اشتغل بالله تعالى ثم سألته ثالثة فقلت ان رأيت رحمك

الله ان تخبرني لعل الله ان ينفعني به فقال أبي من ملوك خراسان وكان

من المياسير وكان قد حبّب الى الصيد فبينما أنا راكب فرسًا وكلبي

معي فاثرت ثعلبًا أو أرنبًا فحركت فرسي فسمعت ندا من ورائي يا ابراهيم

ليس لهذا خُلقت ولا بهذا أُمرت فوقفت أنظر يمنةً ويسرةً فلم أرى أحدًا

فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت ندا اقوي من

الأول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت مقشعرًا أنظر

يمنةً ويسرةً فلم اري شيًا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت

من قربوص سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت وقلت

هيهات جاني النذير من رب العالمين فوالله لا عصيت ربي ما عصمني بعد

يومي هذا فتوجّهت الى اهلي وخلّفت فرسي وجيت الى بعض رعاة أبي

فأخذت جبّته وكساه وألقيت اليه ثيابي ولم ازل أرض تقلني وأرض

تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها أيامًا فلم يصف لي شي من الحلال

فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت

الى مدينة يقال لها المنصوريه وهي المصيصه فعملت بها اياما فلم يصف لي
شي من الحلال فسالت بعض المشايخ فقال إن اردت الحلال فعليك
بطرسوس فان المباحات بها والعمل كثير **قال** فبينما
انا قاعد على باب البحر إذ جاني رجل فاكتراني انظر له بستانا فتوجهت
معه فمكثت في البستان اياما كثيرة فاذا بالخادم قد اقبل ومعه اصحاب
له ولو علمت ان البستان للخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطورنا
فاجبته قال اذهب فاتنا باكبر رمان تقدر عليه واطيبه فاتيته
برمان فاخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال يا
ناطورنا انت منذ كذا وكذا في بستاننا تاكل من فاكهتنا ورماننا
لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما اكلت من فاكهتكم شيا ولا
اعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال الا تعجبون من هذا
ثم قال لي لو كنت ابراهيم ابن ادهم ما زدت على هذا فلما كان من الغد حدث
الناس في المسجد بالصفه فجا الناس عنقا الى البستان فلما رايت كثرة
الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم **وكان**
ابراهيم ابن ادهم ياكل من عمل يده مثل الحصاد والعمل في الطين وحفظ
البساتين وكان يوما يحفظ كرما فمر به جندي فقال اعطنا من هذا
العنب فقال له ما امر به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط فطاطا راسه

وقال

وقال اضرب راسا طال ما عصى الله فاعجز الرجل ومضى **قال**
سهل ابن ابراهيم صحبت ابراهيم ابن ادهم فمرضت فانفق علي نفقته
فاشتهيت شهوة فباع حمارة وانفقه علي فلما تماثلت قلت يا ابراهيم اين
الحمار فقال بعناه فقلت فعلا ما ذا اركب قال يا اخي على عنقي قال فحملني
ثلاثة اميال رحمه الله تعالى وعفى عنه **وانشدوا**

ايها المرا ان دنياك بحر طافح موجه فلا تامننها
وسبيل النجاة فيها يسير وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وبلغني ان بالهند يوما تخرج الناس فيه الى البريه فلا يبقى في البلد بشر
من طين ولا شيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض
ماية سنة من يوم مثله فاذا اجتمع الخلايق في صعيد واحد نادى منادي
الملك لا يصعدن هذا الحجر لحجر هناك منصوب الا من حضر في الجمع
الاول الذي قد خلا من ماية سنة فربما جا الشيخ الهرم الذي قد ذهبت
قوته وعمي بصره وفني شبابه وتجي العجوز ترحف لم يبق منها الا رسمها
وقد اخنا الدهر عليها فيصعدان على الحجر وربما لا يجي احد ويكون قد
فني القرن باسره ويقول الشيخ الفاني حضرت الجمع الاول منذ ماية
سنة وانا طفل صغير وكان الملك فلان يصف الجيوش الماضية والامم
الخالية وكيف طحنهم البلا وصاروا تحت اطباق الثرى فيقوم خطيبهم

فيعظ الناس ويذكرهم صرعة الموت وحسرة الفوت فيبكي القوم ويتوبون
من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون من التبعات ويصلحون على
ذلك مدة **وقال** وهب ابن منبه صحبت رجلا من بعض
الزهاد سبعة ايام ليستفيد منه شيئا فوجدته مشغولا عنه بذكر الله
تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت اليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت
شغلي وعلمت انا ما تريد حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد في الدنيا راس
كل خير والتوفيق تاج كل خير فاحذر راس كل خطيئة وارغب في راس
كل خير وتضرع الى ربك أن يهب لك تاج كل خير قال فكيف أعرف ذلك
قال كان جدي رجلا من الحكما قد شبه الدنيا بسبعة أشيا فشبهها
بالما المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع
وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبزهر الربيع
سطر ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النايم يرى السرور في منامه فاذا
استيقظ لم يجد في يده شيئا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الدعاف
يغر ويقتل فتدبرت هذه الأحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت
حرفا واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من أجابها وتترك من اعرض
عنها فرايت جدي في المنام فقال لي يا بني انت مني وانا منك هي والله
كالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها قلت فباي شي يكون

الزهد في الدنيا قال بالنفس واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين
بالفكر ثم وقف الراهب فقال خذها منا فلا أراك خلفي الا متجردا
بفعل دون قول فكان ذلك أخر العهد به قال الشيخ وقد وصف الله
تعالى الدنيا وأهلها بصفة اعم من هذه الصفة فقال سبحانه اعلموا انما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الأخرة عذاب شديد والكفار هنا الزراع فكما ان
الزرع يكون أول نباته خضرا ناعما اهتزت الأرض به بعد يبسها
فجاءت في العيون كأحسن ما يكون ثم يهيج فتراه مصفرا أي يكبر ويستوي
فيجف ويحترق وينتكس أعلاه ويشتعل سنبله ثم يداس فيكون حطاما
أي تبنا مكسرا متقطعا وهذا مثل ضربه الله تعالى لبني أدم إذا كانوا
أطفالا أول الولادة وفي حال الطفولية كأحسن مراي يعجبون الابا
ويفتنون ذوي الأحلام والنهى ثم يكبرون فيصيرون شيوخا منكسة
رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب حسنهم ونعومتهم وفني شبابهم
وجمالهم وذوت غضاضتهم ونضارتهم واستولى عليهم الهرم
والبئس ثم يموتون فيصيرون حطاما في القبور كالتبن في الجرون
هذا بعدما وصفها بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينه وتفاخر

وتكاثر وكان الصدر الأول يسمون الدنيا خنزيرة ولو وجدوا اسما
اقبح منه لسموها به وكانوا يسمونها ام دفر والدفر النتن وقال مالك
ابن انس بلغني ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زي عظيم
فتشرف فانتشر له الناس ينظرون اليه افواجا حتى مر برجل يعمل شيئا
مكبا عليه لا يلتفت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك عليه وقال
كل الناس ينظرون الي الا انت قال الرجل اني رأيت
ملكا مثلك وكان على هذه القرية فمات هو ومسكين فدفنا الى جنبه
في يوم واحد وكنا نعرفهما في الدنيا باجسادهما ثم كنا نعرفهما بقبريهما
ثم نسفت الريح قبريهما فكشفت عنهما فاختلطت عظامهما فلم اعرف الملك
من المسكين فلذلك اقبلت على عملي وتركت النظر اليك وروي
ان داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال إذ وافا إلى غار فنظر
فاذا فيه رجل وهو خلق عظيم من بني ادم وإذا عند رأسه حجر مكتوب
بكتابة محفورة انا رستم الملك ملكت الف عام وفتحت الف مدينة
وهزمت الف جيش وافترعت الف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى
ما ترى فصار التراب فراشي والحجارة وسادي فمن راني فلا يغتر
بالدنيا كما غرتني قال وهب ابن منبه خرج عيسى ابن
مريم عليهما السلام ذات يوم مع جماعة من اصحابه فلما ارتفع النهار

مروا بزرع قد امكن من الفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله تعالى
اليه ان ايذن لهم في قوتهم فاذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون
فبينما هم كذلك إذا صاحب الزرع وهو يقول زرعي وأرضي ورثته عن
آبائي بإذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى عليه السلام الله
تعالى فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الأرض من لدن ادم الى
ساعته فاذا عند كل سنبلة أو ما شاء الله رجل او امراة كلهم
ينادون زرعي وأرضي وحرثي ورثته عن آبائي ففزع الرجل
منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فقال معذرة
اليك يا رسول الله اني لم اعرفك زرعي ومالي لك حلال فبكى عيسى عليه
السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الأرض وعمروها
ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنها وبهم لاحق ويحك ليس لك ارض ولا مال

وقال ابو العتاهية

وعظتك اجداث صمت ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن اوجه تبلى وعن صور سكت
وأرتك قبرك في القبور وانت حي لم تمت
يا شامتا بمنيتي ان المنية لم تمت

وروي ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لما راى فاطمة رضي الله

عنها مسجاة بثوبها بكى حتى رُثي له **ثم قال**
لكل اجتماع من خليلين فرقة وان الذي دون الممات قليل
أرى علل الدنيا علي كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
وان افتقادي فاطما بعد احمد دليل على ان لا يدوم خليل
ألا أيها الموت الذي ليس تاركي أرحني فقد افنيت كل خليل
أراك بصيرا بالذين احبهم كانك تسعى نحوهم بدليل
ولما نفض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بني ضبة

أقول وقد فاضت دموعي حسرة أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام اصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العتابي

قلت للفرقدين والليل ملق ۞ سود اكنافه على الآفاق
أبقيا ما بقيتما فسيرمي ۞ شخصيكما بسهم الفراق
غر من ظن ان يفوت المنايا ۞ وعراها قلايد الاعناق
كم صفيين متعا باجتماع ۞ ثم صارا لغربة وافتراق
لا يدوم البقاء للخلق لكن ۞ دوام البقاء هو للخلاق

وقال بعض الادباء أسعداني يا نخلتي حلوان وارثيا لي من ريب هذا الزمان ۞ واعلما ان بقيتما ان نحسا حين يأتيكما فتفترقان ۞ فلعمري لو ذقتما حرقة الفرقة أبكاكما الذي أبكاني **ولما سافر** الرشيد الى طوس وعك في طريقه من حر اصابه فقال له الطبيب لا يبرئك الا جمار النخل وكان نزوله بين هاتين النخلتين فأمر بقطع جمار احدى النخلتين فلما مثل بين يديه انشده بعض الجلساء هذين البيتين المتقدمة فقال الرشيد لو سمعتهما ما أمرت بقطعهما **ولما مات** الاسكندر قال ارسطاطاليس ايها الملك حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه بالأمس نظمه أبو العتاهية **بقول**

كفى حزنا بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم اوعظ منك حيا

ووجد مكتوبا على قبر ۞ قصرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبره

وقال عبد الله بن المعتز **هذه الابيات**

نسير الى الآجال في كل ساعة ۞ وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كأنه ۞ إذا ما تخطته الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن الصبا ۞ فكيف به والشيب في الراس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ۞ فعمرك ايام تعد قلايل

ولما دخل ابو الدرداء الشام قال يا أهل الشام اسمعوا

قول أخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا وأملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح أملهم غرورا وجمعهم ثبورا ومساكنهم قبورا

وروي الجاحظ قال وجد مكتوبا في حجر ابن ادم لو رايت يسير ما بقي من اجلك لزهدت في طول ما ترجوا من أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وتبرا منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا انت في عملك زايد ولا الى اهلك عايد

وقال مالك ابن انس بلغني ان امراتين اتيا عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقالتا يا روح الله ادع الله لنا ان يخرج ابانا فانه هلك ونحن غايبتان عنه فقال تعرفان قبره قالتا نعم فذهب معهما فاتيا قبرا قالتا هذا هو فدعا الله تعالى فاخرج لهما فاذا هو ليس به فدعا فرده ثم دلتاه على قبر أخر فدعا ان يخرج فاذا هو قايم فلزمتاه وسلمتا عليه ثم قالتا يا نبي الله يا معلم الخير ادع الله ان يبقيه معنا فقال وكيف ادعو له ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف

وانشدني بعض الادبا

وأسفي من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون

والمزن

والمزن والبدن والرواسي ... والامن والحصن والسكون

لم تتغير بنا الليالي ... حتى توفتهم المنون

فكل جمر لنا قلوب ... وكل ما لنا عيون

وروي ان النعمان ابن المنذر خرج متصيدا ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرة فقال عدي ابن زيد ايها الملك اتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انها تقول من رانا فليحدث نفسه انه موف على قرب زوال وصروف الدهر لا يبقي لها ولما ياتي به صم الجبال ❁ رب ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالما الزلال ❁ عمروا دهرا بعيش حسن امني دهرهم غير عجال عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذلك الدهر حالا بعد حال ❁ قال ثم جاوز الشجرة فمروا بمقبرة فقال له عدي ايها الملك اتدري ما تقول هذه المقبرة قال لا قال انها تقول أيها الركب المخبون على الارض المجدون كما انتم كذا كنا وكما نحن تكونون فقال النعمان قد علمت ان الشجرة والمقبرة لا يتكلمان وعلمت انك انما اردت عظتي فجزاك الله عني خيرا فما السبيل التي تدرك به النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال وفي هذا النجاة قال نعم قال فترك عبادة الاوثان وتنصر يوميذ واخذ في الاجتهاد

وقال عبد الله المعلم خرجنا حجاجا فلما كنا بالروسه فوقف لنا رجل عليه ثياب رثه له منظر وهيئة قال من يبغ خادما من يبغ ساقيا فقلت دونك هذه القربه

فاخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلأت اثوابه طينا
فوضعها كالمسرور الضاحك ثم قال لكم غير هذا قلنا لا واطعمناه قرصا
باردا فاخذه وحمد الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعد ياكله اكل جايع
فادركتني عليه الرافة فقمت اليه بطعام طيب كثير فقلت له قد علمت
انه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم
وقال يا عبد الله انما هي قوة جوع فما ابالي بأي شيء رددتها فرجعت
عنه فقال لي رجل الى جنبي اتعرفه قلت لا قال لي انه رجل من بني هاشم
من ولد العباس ابن عبد المطلب كان يسكن بالبصرة فتاب فخرج منها فتفقد
فما عرف له اثر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وانسته وقلت له هل لك ان
تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا لكان
لي معد ثم انس الي فجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن
البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ واني امرت خادما ان يحشو لي فراشا
من حرير ومخدة بورد نثر ففعلت فانا نايم فاذا بقمع وردة قد اغفلها الخادم
فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة
فاتاني آت في منامي في صورة وطيعة فهزني وقال افق من غشيتك
ابصر من حيرتك ثم انشا يقول

• يا خدا انك ان توسدت لينا وسدت بعد الموت صم الجندل •

فام

• فامهد لنفسك صالحا تسعد به فلتندمن غدا اذا لم تفعل •

فانتبهت فزعا مرعوبا فخرجت من ساعتي هاربا الى ربي وقال
عبد الواحد بن زيد ذكر لي ان في خرايب الايلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة
فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف
وهي محلوقة الراس فلما نظرت الي قالت من غير ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد
فقلت لها رحب الله بك وعجبت من معرفتها لي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي
جابك هاهنا فقلت جيت لتعظيني فقالت واعجباه لواعظ يوعظ ثم قالت
يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه
الله حلاوة الزهد فيظل حيران والها فان كان له عند الله نصيب
عاتبه الله وحيا في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملايكتي
وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليايي واهل طاعتي في ارضي فملت الى
عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثتك بذلك الوحشة بعد الانس
والذل بعد العز والفقر بعد الغنا عبدي ارجع الى ما كنت عليه
ارجع لك الى ما كنت تعرفه في نفسك قال ثم تركتني وقلت عني
فانصرفت عنها وبقلبي حسرة منها فقلت

• انك في دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل •

• اما ترى الموت محيطا بها يقطع فيها امل الآمل •

تعجل الذنب لما تشتهي وتومل التوبة من قابل ●
والموت ياتي بعد ذا غفلة ما ذا يفعل الحازم العاقل ●

ولما نزل سعد ابن ابي وقاص الحيرة قيل له هاهنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحرقه بنت النعمان ابن المنذر وكانت من اجمل عقايل العرب وكانت إذا خرجت الي بيعتها نشرت عليها الف قطيفه خز وديباج ومعها الف وصيف ووصيفه فارسل اليها سعد فجات كالشن البالي وقالت يا سعد كنا ملوك هذا المصر قبلك يجي الينا خراجه ويطيعنا أهله مدة من المدة حتي صاح بنا صايح الدهر فشتت ملأنا والدهر ذو نوايب وصروف فلو رايتنا في أيامنا لأرعدت فرايصك فزعا منا قال لها سعد ما انعم ما تنعمتم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الاصوات إذا دعونا

ثم أنشا يقول ●

وبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ● إذا نحن فيهم سوقة ليس تنصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها ● تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت يا سعد انه لم يكن لاهل بيت بيت بحبرة إلا والدهر يعقبهم غبرة حتي ياتي امر الله علي الفريقين فاكرمها سعد وامر بردها فلما ارادت القيام قالت يا سعد لا ازال الله عنك نعمة ولا جعل لك الي ليم حاجة ولا ازال عن كريم نعمة ولا نزع عن عبد صالح نعمة الا جعل الله سببا إلي

ردها عليه **ولبعضهم** من كان يعلم ان الموت يدركه والقبر مسكنه والبعث مخرجه ● وانه بين جنات ستبهجه يوم القيامة او نار ستنضجه ● وكل شي سوي التقوي به سمج وما اقام عليه منه اسمجه ● تري الذي اتخذ الدنيا له وطنا لم يدر ان المنايا سوف تزعجه **ويروي** ان عيسي عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان فاصابهما الجوع وقد انتهيا الي قرية فقال عيسي لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وقام عيسي يصلي فجا الرجل بثلاثة ارغفه فابطا عليه انصراف عيسي فاكل رغيفا فانصرف عيسي عليه السلام فقال اين الرغيف الثالث فقال ما كانا الا رغيفين قال فمرا علي وجوههما حتي مرا بظباء فدعا عيسي عليه السلام ظبيا منها فذكاه فاكلا منه ثم قال عيسي عليه السلام قم باذن الله فاذا هو يسير فقال الرجل سبحان الله فقال عيسي بالذي اراك هذه الاية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين قال فمضيا علي وجوههما فمرا بنهر عجاج عظيم فاخذ عيسي عليه السلام بيده فمشي به علي الما حتي جاوزا الما فقال الرجل سبحان الله فقال عيسي بالذي اراك هذه الاية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فخرجا حتي اتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات من ذهب فقال الرجل هذا مال فقال عيسي عليه السلام اجل هذا مال واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف فقال الرجل انا

صاحب الرغيف فقال عيسى هي لك كلها وفارقه فاقام هو عليها ليس معه
ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه واخذوا اللبن فقال اثنان منهم لواحد
انطلق الى القرية فاتنا بطعام فذهب وقال احد الباقين للآخر تعال
نقتل هذا اذا جا ونقتسم هذا بيننا قال الآخر نعم وقال الذي ذهب اجعل
في الطعام سما فاقتلهما واخذ اللبن ففعل فلما جا قتلاه واكلا من الطعام
الذي جا به فماتا فمر بهم عيسى وهم حولها مصروعين فقال هكذا تفعل
الدنيا باهلها **وقال** عبد الملك ابن عمير رايت في هذا القصر
عجبا رايت راس الحسين على ثوبين مصبوغين بين يدي ابن زياد ثم رايت
راس ابن زياد بين يدي المختار بين يديه ثم رايت راس المختار بين يدي
مصعب ابن الزبير ثم رايت راس مصعب ابن الزبير بين يدي عبد الملك
ابن مروان **وقال** الاصمعي لما زخرف الرشيد مجالسه
وتحرم فيها وزوقها وصنع فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابي العتاهية
وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا **فقال**

عش ما بدا لك آمنا … في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت … لدى الرواح وفي البكور
فاذا النفوس تقعقعت … في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا … ما كنت الا في غرور

فبـ

فبكا هارون الرشيد **فقال** الفضيل بن يحيى بعث اليك
امير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال هارون دعه فانه رانا في عمى
فكره ان يزيدنا عمى ويروى ان سليمان ابن عبد الملك لبس
افخر ثيابه ومس اطيب طيبه ونظر في مرآته فاعجبته نفسه وقال انا
الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجاريته كيف ترين فقالت انت
نعم المتاع لو كنت تبقى غير ان لا بقا للانسان ليس فيما بدا
لنا منك عيب عابه الناس غير انك فان فاعرض بوجهه ثم خرج
فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحمى فلم يزل صوته
ينقص حتى ما سمعه من حوله فصلى ورجع بين اثنين يسحب رجليه
فلما صار الى فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي في صحن الدار وانا
خارج فقلت ما رايتك ولا قلت لك شيئا واين لي بالخروج الى صحن
الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون نعيت والله الى نفسي ثم عهد
عهده واوصى وصيته فلم تدر عليه الجمعة الا وهو في قبره ووجدوا
مكتوبا على سيف ابن ذي يزن **هذه الابيات**

من كان لا يطا التراب برجله … وطي التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه … شبرا فكان بغاية البعد
لو بعثرت للناس اطباق الثرى … لم يعرف المولى من العبد

وروى ان الاسكندر مر بمدينة قد ملكها سبعة املاك ۝
وبادوا فقال هل بقي من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة احد
فقالوا رجل يكون في المقابر فدعاه فقال له ما دعاك الى لزوم المقابر
قال اردت ان اعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سوا
قال فهل لك ان تتبعني فاحيي بك شرف ابايك ان كانت لك همة قال ان
همتي لعظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك قال حياة لا موت فيها
وشباب لا هرم معه وغنا لا يتبعه فقر وسرور لا يغيره مكروه قال
الاسكندر ما اقدر على هذا قال امض لشانك وخلني اطلب بغيتي ممن هي عنده
فقال الاسكندر هذا احكم من رأيت قال الهيثم ابن عدي ۝
وجدوا اغارا في جبل لبنان في زمان الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجا
على سرير من ذهب وعند راسه لوح من ذهب مكتوبا بالرومية انا سبا
ابن نواس ابن سبا خدمت عيصو بن اسحق ابن ابراهيم خليل الرب الديان الاكبر
وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا فلم أر فيما رأيت أعجب من
غافل عن الموت وهو يرى مصارع ابايه ويقف على قبور احبابه ويعلم انه
صاير اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاه سينزلوني عن
سريري ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويتامر الصبيان ويكثر
الحدثان فمن ادرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وروى

في الاسرائيليات ان عيسى ابن مريم عليه السلام بينما هو في بعض سياحته
اذ مر بجمجمة نخرة فامرها ان تتكلم فقال يا روح الله انا بلوام ابن
حفص ملك اليمن عشت الف سنة وولد لي الف ذكر وافتضضت الف
بكر وهزمت الف عسكر وقتلت الف جبار وافتتحت الف مدينة فمن
راني فلا يغتر بالدنيا فما كانت الا كحلم نايم قال فبكى عيسى عليه السلام
ووجد مكتوبا على قصر بعض الملوك قد باد اهله واقفرت ساحته هذه الابيات

هذي منازل اقوام عهدتهم ۝ يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها ۝ ترنم المجد بين الحلم والكرم

وقال عبد الله ابن ابي نوح نزل حيا من العرب شعبا من شعاب
اليمن فتشاحوا فيه واختلفوا واستعدوا للقتال فاذا صايح يصيح يا
هولاء على رسلكم على ما القتال في فوالله لقد ملكني سبعون اعور كلهم
اسمه عمرو فصل يا ايها الرجل اعتبر بمن مضى من الملوك
والاقيال وخلا من الامم والاجيال وكيف بسطت لهم الدنيا وانسيت
لهم في الاجال وافسح لهم في المنى والامال وامدوا بالالات والعدد
والاموال كيف طحنهم بكلكله المنون واختدعتهم بزخرفها الدهر
الخؤن واسكنوا بعد سعة القصور بين الجنادل والصخور وعادالعين
اثرا والملك خبرا فاما اليوم فقد ذهب صفو الزمان وبقي كدره

فالموت اليوم تحفه لكل مسلم كان الخير اصبح خاملًا والشر اصبح باهرًا وكان الغي اصبح ضاحكا وادبر الرشيد باكيا وكان العدل اصبح غايرًا واصبح الجور عاليا وكان العقل اصبح مدفونا والجهل منشورا وكان اللوم اصبح باسقا والكرم ذاويا موطوا وكان الود اصبح مقطوعا والبغضا موصولة وكان الكرامة قد سلبت من الصالحين وترجى بها الاشرار وكان الحب اصبح مستيقظا والوفا نايما وكان الكذب اصبح مثمرا والصدق قاحلا وكان الاشرار اصبحوا يسامون السما واصبح الاخيار يرون بطن الارض اما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملوك وتفارق فراق العجول خيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعه وادبارها فجيعه ولذاتها فانيه وتبعاتها باقيه فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك ولا تنافس اهل الدنيا في خفض عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم

وقال الشاعر

رب مغروس يعاش به • عدمته عين مغترسه •
وكذلك الدهر مامته • اقرب الاشيا من غرسه •

وقال التهامي

تنافس في الدنيا غرورا وانما • قصارى غناها أن يؤول الى فقر

وانا لفي الدنيا كركب السفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يجري

وقال أيضا

تروح لكا الدنيا بغير الذي غدت • ويحدث من بعد الامور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة • وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره • فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا • وايقن ان الدايرات تدور

وقال وهب ابن منبه قرات في كتب بعض الانبيا عليهم السلام ان المسيح عليه السلام اجتاز بجمجمة هايلة عظيمة نخرة فقال له اصحابه يا روح الله لو سالت الله تعالى أن ينطق هذه الجمجمة فعسى تخبرنا بما راته من العجايب فانطقها الله تعالى فقالت يا روح الله عشت الف سنة واستولدت الف ذكر وافتتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وقتلت الف جبار وصحبت الدهر واختبرته وامتحنت تقلبه وانقلابه فلم ارى شيا اشد من طالح يلي امره صالح ولم اجد لهذا الدهر شيا من الاشيا انفع من الصبر ومسالمة أهله ولم ارى هلاك أهله الا في الحرص والطمع ووجدت العز في الرضا بالقسم وقال

محمد ابن ابي العتاهيه أخر شعر قاله ابي في مرضه الذي توفي فيه

هذه الابيات

إلاهي لا تعذبني فاني مقر بالذي قد كان مني
فما لي حيلة الا رجاي وعفوك ان عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا وانت علي ذو فضل ومن
إذا فكرت في قدري عليها عضضت اناملي وقرعت سني
اجن لزهرة الدنيا جنونا واقطع طول عمري بالتمني
وبين يدي ميقات عظيم كاني قد دعيت له كاني
ولو اني صدقت الدهر فيها قلبت لاهلها ظهر المجني

وقال ابن عباس لما وفد وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم يعرف قس ابن ساعده قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال لست انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يخطب الناس ويقول ايها الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا فاذا سمعتم فعوا فاذا وعيتم فقولوا فاذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت إن في السما لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحر لا يغور اقسم بالله قسم حق لا كذب فيه ولا اثم لين كان في الارض رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم هذا الذي انتم عليه ما لي اري الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فاقاموا أم تركوا على حالهم فناموا أيكم يروي شعره **وأنشدوا**

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصاير
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي اليك ولا من الباقين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا إن البيوت هي المقابر
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صاير

ثم قال رجل لقد رايت منه عجبا اقتحمت واديا فاذا انا بعين خرار وروضة مدهامة وشجرة عادية واذا انا بقس ابن ساعده قاعدا في اصل شجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سباع كثيرة فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالعصا وقال تنح حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رايت ذلك ذعرت ذعرا شديدا فالتفت الي وقال لا تخف فالتفت فاذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هاذان القبران فقال هما قبرا اخوان لي كانا يعبدان الله تعالى في هذا الموضع وانا اعبد الله بينهما حتى الحق بهما فقلت له افلا تلحق بقومك فتكون في خيرهم فقال لي ثكلتك امك اوما علمت ان ولد اسمعيل تركت دين ابيها واتبعت الاضداد وعظمت الانداد ثم تركني واقبل على القبرين **وقال هذه الابيات**

خليلي هبا طال لما قد رقدتما احد كما لا تقضيان كراكما

اري النوم بين الجلد والعظم منكما • كان الذي يسقي العقار سقا كما
ألم تعلما اني بسمعان مفردًا • وما لي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحًا • طول الليالي او يجب صدا كما
ابكيكما طول الحياة وما الذي • يرد على ذي عولة ان بكاكما
كابكما والموت اقرب غايةٍ • بروحي في قبريكما قد اتاكما
فلو جعلت نفس لنفسٍ وقايةً • لجدت بنفسي ان تكون فداكما
سلام وتسليم وروح ورحمة • ومعمة المولى على ساكنكما

وفي الحديث ان النبي عليه الصلاة والسلام قال إن قس ابن ساعدة يبعث امةً وحده يعني ان كل امةٍ امنت بنبيها تبعث امةً وحدها لا يخالطها غيرها ونبعث قس ايضا وحده امةً ليس معها احد **وروي** ان المهدي نام يومًا فانشد في منامه كاني بهذا القصر قد باد اهله واوحش منه ركنه ومنازله فلم يبق الا ذكره وحديثه تنادي بليل معولات تواكله فما اتت عليه عاشرة عشرة حتى مات **وانشدني** القاضي ابو العباس الجرجاني رحمه الله

بالله ربك كم قصرٍ مررت به قد كان يعمر باللذات والطرب •
طارت عقاب المنايا في جوانبه فصار من بعده بالويل والحرب •

وقال ايضا أيها الرافع البنا رويدًا لن تردد المنون عنك المباني

ان

ان هذا البنا يبقى ويفنى كل شيء ابقى من الانسان **قال** الحكم ابن عمر قال ابو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم اني ارتكبت الامور العظام جراة مني عليك فانك تعلم اني اطعتك في احب الاشيا اليك شهادة ان لا اله الا الله منا منك لا منا عليك وكان سبب احرامه من الحضر انه كان يومًا نايمًا فاتاه آتٍ في منامه فقال كاني بهذا القصر قد باد أهله واوحش منه أهله ومنازله وصار عميد القوم من بعد بهجة الى تربةٍ تسفي عليه جنادله فاستيقظ مرعوبًا ثم نام فانشد أبا جعفر **هذه الأبيات**

حنت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا بد واقع •
فهل كاهن أعددته او منجم ابا جعفر عنك المنية دافع •

فقال يا ربيع أتني بطهوري فقام فاغتسل ولبى وتجهز للحج ثم قال يا ربيع القني في حرم الله سبحانه **وانشدني** القاضي ابو العباس الجرجاني

• إن كنت تسموا الى الدنيا وزينتها فانظر الى ملك الاملاك قارون
• زم الامور فاعطته مقادتها وسخر الناس بالتشديد واللين
• حتى اذا ظن ان لا شي غالبه ومكنت ندماه اي تمكين
• راحت عليه المنايا روحة تركت ذا الملك والعز تحت الما والطين

وأنشدني أبو محمد التميمي ببغداد **هذه الأبيات**

لمن أبني لمن أسم المطايا لمن أستأنف الشيء الجديدا ❁
إذا ما صار إخواني رفاتا وصرت لفقدهم فردا وحيدا ❁
أخالط معشرا لهم شكول وأشكالي قد اعتنقوا اللحودا ❁

ومن زهد في الدنيا وأبصر عيوبها من أبناء الملوك أبو عقال علوان ابن الحسن من بني الأغلب وهم ملوك المغرب وكان ذا نعمة وملك وله سوق ظاهر فتاب إلى ربه ورجع إلى ربه رجوعا فارق نظراءه فرفض المال والأهل وهجر النسا والوطن وبلغ من العبادة مبلغا أربا فيه على المجتهدين وعرف بإجابة الدعوة وكان عالما أديبا قد صحب عدة من أصحاب سحنون وسمع منهم ثم انقطع في بعض سواحل البحر فصحب رجل يكنى أبا هارون الأندلسي منقطعا متبتلا لله تعالى فلم ير منه كثير اجتهاد في العمل فبينما أبو عقال يتهجد في بعض الليالي وأبو هارون نايم إذ غالبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عابد جليل القدر ينام الليل كله وأنا أسهر الليل كله فلو أرحت نفسي فوضع جنبه فرأى في منامه شخصا فتلا عليه أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فاستيقظ فزعا وعلم أنه المراد فأيقظ أبا هارون وقال له أسألك بالله هل أتيت كبيرة قط قال لا يا ابن أخي ولا صغيرة عن تعمد والحمد لله فقال أبو عقال

لهذا

لهذا تنام أنت ولا يصلح لمثلي إلا الكد والتعب والاجتهاد ثم رحل إلى مكة ولزم بيت الله الحرام وحج مرارا وأربى على عباد المشرق والمغرب وكان يعمل بالقربة على ظهره لقوته ومات بمكة وهو ساجد في صلاة الفريضة بالمسجد الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له رجل كان يصحبه يوما إلى اليك حاجة فقال مقضية فقال بعد الجهد بها حاجتك مقضية قال إن كانت لك شهوة أخبرني بها قال نعم أشتهي أكل راسين فاشتريت له راسين ولففتهما في رقاق وجئته بهما ثم سألته بعد أيام هل طاب لك الراسان قال لا ما هو إلا أن فتحتهما فإذا هما محشوان دودا ليس فيهما الشحم إلا الدود فأتيت الرواس فأخبرته فأطرق متعجبا فقال ما ظننت أن في زماننا أحد يحمي عن الحرام هذه الحماية تلك الروس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم أعطاني راسين من غير تلك الغنم فأتيت بهما أبا عقال فأكلهما فأخبرته بما قال الرواس فبكا ثم قال يا رب ما كان يستحق عبدك أبو عقال مثل هذه الحماية ولكنه بفضلك وكرمك فلك علي يا رب أن لا آكل طعاما بشهوة اشتهيتها حتى ألقاك إن شا الله تعالى وكانت له أخت متعبدة فلما ماتت لحقت قبره بمكة وكتبت هذه الأبيات على قبره

ليت شعري ما الذي عاينته ❁ بعد دوم الصوم مع نفي الوسن

مَعَ غروب النفس عن أوطانها ● والتخلي عن حبيبٍ وسكنْ
يا شقيقًا ليس في وجدي به ● علةٌ تمنعني من أن أجنْ
وكما تبلى وجوهٌ في الثرى ● فكذي تبلي عليهن الحزنْ

وروي ان رجلين تنازعا في أرضٍ فانطق الله لبنةً من جدار تلك الأرض فقالت اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا الف سنةٍ ثم مت وصرت رميمًا الف سنةٍ فاخذني خزاف واتخذني خزفا ثم اخذني فضربني لبنًا فانا في هذا الجدار منذ كذا وكذا سنة فلم تتنازعا في هذه الأرض **وانشد بعضهم** الاجي من اهل الحبيب المعانيا

لبسن البلا مما لبسن اللياليا ● إذا ما تقاضى المرء يومًا وليلةً تقاضاه
شيٌ لا يمل التقاضيا ● حنتك الليالي بعد ما كنت مدةً سوى العصا لو
كن بقين باقيا **ومن اعجب** ما روي في الاسرايليات ان ابنةً من بنات الملوك زهدت في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها فلم يسمع لها خبر ولا علم لها اثر وكان هناك دير المتعبدين فلحق بهم شابٌ يتعبد فابصروا منه من الاجتهاد والجد في العمل ومداومة الاوراد ومواصلة الأعمال ما فاق به جميع من في الدير واقام على ذلك ما شا الله سبحانه الى ان تقضت ايامه ووافاه حمامه فقضى الفتى نحبه فحزن اهل الدير له من العباد والزهاد والمنقطعين وادروا عليه الدموع ثم اخذوا

في غسله فاذا هو امراةٌ ففحصوا عن أمرها فاذا هي بنت الملك فزادهم بذلك اعجابًا بها وتعظيمًا لها فتشاوروا في امرها ماذا يحدثون لها من الكرامة فاجمعوا امرهم على ان لا يدفنوها تحت الثرى وان لا يحملوها فوق أكفهم فغسلوها وكفنوها وجهزوها وصلوا عليها ثم اقبلوا يحملونها على الكتف سواعدهم كلما ضجر واحدٌ جا اخر يحمل مع من يحمل وكل من انقطع في الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى ان بليت وتقطعت اوصالها مع طول الزمان فدفنت حينئذٍ رحمها الله **وكان** في بلاد الروم مما يلي ارض الاندلس رجل نصراني قد بلغ في التخلي من الدنيا واعتزل الخلق ولزم قلل الجبال والسياحه في الارض الى الغاية القصوى فورد على المستعين ابن هود فاكبره ابن هود ثم اخذ بيده وجعل يعرض عليه دخاير ملكه وخزاين امواله وما حويه من البيضا والحمرا واحجار اليا قوت والجوهر وامثالها ونفايس الاعلاق والجواري والحشم والاجناد والكرا

ع والسلاح فاقاموا في ذلك أيامًا فلما انقضا قال له كيف رايت ملكي قال قد رايت ملكا ولكنه يعوزك معه خصلة ان انت قدرت عليها ففيها نظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك شبيه لا شي قال وما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع غطا عظيمًا حصينًا قويًا وتكون مساحته قدر البلد تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك

فقال المستعين سبحان الله أو يقدر البشر على هذا فقال العلج يا هذا أ تفتخر
بأمرٍ تتركه غدا ومثال من يفتخر بما يفنى كمن يفتخر بما يراه في النوم
ويُروى أن ملكا من الملوك بنا قصرا وقال انظروا من عاب فيه
شيئا فاصلحوه واعطوه درهمين فاتاه رجل فقال ان في هذا القصر عيبان
قال وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه
وترك الدنيا ومن عجايب أخبار الخضر عليه السلام قال سئل الخضر
عن اعجب شيء رايته في الدنيا في طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعك
القفار والفلوات قال اعجب شيء رايته اني مررت بمدينة لم أر على
وجه الارض احسن منها فسالت بعضهم متى بنيت هذه المدينه فقالوا
سبحان الله ما يذكروا اباونا ولا اجدادنا متى بنيت هذه المدينه
وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحو من خمس مايه عام
وعبرت عليها بعد ذلك واذا هي خاويه على عروشها ولم أر احدا اسله
واذا برعاة غنم فدنوت منهم فقلت لهم اين المدينه التي كانت هاهنا
فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا انه كانت هنا قط مدينه
فغبت عنها نحوا من خمس مايه عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينه
بحر وإذا غواصون يخرجون منها شبه الحليه فقلت لبعض الغواصين
منذ كم كان هذا البحر هاهنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا

الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحوا من خمس مايه عام
ثم انتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد غاص ماوه واذا مكانه غيطة ملتفة
بالقصب والبردي والسباع فيها واذا صيادون يصيدون السمك
في زوارق صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان هاهنا فقالوا سبحان
الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا انه كان هاهنا قط بحرا فغبت عنها نحوا
من خمس مايه عام ثم انتهيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينه على حالها
الاول والحصون والقصور والاسواق فقلت لبعضهم اين الغيطة التي
كانت هاهنا ومتى بنيت هذه المدينه فقال سبحان الله ما يذكر
اباونا ولا اجدادنا ولا واحد الا ان هذه المدينه على حالها منذ بعث
الله الطوفان فغبت نحوا من خمس مايه عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليها
سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر احدا اسله فرايت راعيا
فسالته اين المدينه التي كانت هاهنا ومتى حدث هذا الدخان فقال
سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا الا ان هذا الموضع على حاله
منذ كان الطوفان فهذا اعجب شيء رايته في سياحتي في الدنيا فسبحان
مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الأرض ومن عليها وانشدوا

قف بالديار فهذه اثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسايل مخبرا ... عن اهلها أو ناظرا أو مشفقا

فاجابني داعي الهوي في رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقا

وسمعت بالعراق منشدا ينشد ، أيها الربع الذي قد دثرا كان عينا
ثم اضحى اثرا ، اين سكانك ماذا فعلوا اخبر عنهم سقيت المطرا ، ولقد نادى
مناديهم رحلوا واستودعوني عبرا **ومن** الشعر المستحسن في هذا
الباب قول القايل ، رب ورقا هتوف في الضحي ذات شدو صدحت في
فنن ، ذكرت الفا ودهرا صالحا فبكت حزنا فهيجت حزني ،
فبكاي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني ، فاذا اسعدني اسعدها واذا
اسعدها اسعدني ، ولقد اشكوا فما افهمها ولقد تشكوا فما تفهمني ،
فاذا تبدو ني اسعدها واذا ابدوها تسعدني ، غير اني بالجوا اعرفها
وهي ايضا بالجوا تعرفني **ونظر** رجل من العباد الي باب ملك
من الملوك وقد شيده واتقنه وزوقه فقال باب جديد وموت عتيد
ونزع شديد وسفر بعيد ، ولما ثقل عبد الملك بن مروان راى غسالا
يلوي بيده ثوبا فقال وددت انني كنت غسالا لا اعيش الا بما اكتسبه
يوما فيوما فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت
ما نحن فيه ولا نتمنى عنده ما هم فيه وقال الرسول عليه السلام اللهم اني
اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل
يتوقع احدكم من الدنيا الا غنا مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا

او

أو هرما مفندا او الدجال والدجال شر غايب ينتظر او الساعة والساعة
أدهي وامر **قال** عيسى ابن مريم عليه السلام اوحي الله
تعالى الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري
علي اوليايي ولا تحلولي لهم فتفتنيهم وقال مورق العجلي يا ابن ادم في كل
يوم توتي رزقك وانت تحزن وينقضي عمرك وانت لا تحزن تطلب ما
يطغيك وعندك ما يكفيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع وقال
النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه ايها الناس ان الايام تطوي والاعمار
تفنا والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض
البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن
الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات **قال** بعض الحكما
الدنيا كالما المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكاس
من العسل في اسفله السم فللذايق منه حلاوة عاجلة وله في اسفله موت
ذعاف وكاحلام النايم الذي تفرحه في منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح
وكالبرق الذي يضي قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه في الظلام
مقيما وكدودة الابريسم التي لا يزداد الابريسم علي نفسها لفا الا ازدادت
من الخروج بعدا ودودا كدود القز ينسج دايما ويهلك غما وسط
ما هو ناسجه ومثال من يستعمل زهرة الحياة الدنيا ويعرض عن الدار الاخرة

مثال رجلين لقطا من الأرض حبتي عنب فاما احدهما فجعل يمص الحبه
التذاذا بها ثم بلعها واما الآخر فزرع الحبه قد صارت له كرما وكثرت
ثمرته وفكر الآخر في صنعه بالحبه فوجدها قد صارت عذق ليس عنده
منها الا الحسرة في تفريطه والغبطة بصاحبه **وقال**
وهب ابن منبه اوحى الله تعالى الى نبي من انبيا بني اسرايل ان اردت
ان تسكن معي في حضيرة القدس فكن في الدنيا فريدا وحيدا مهموما
وحشيا بمنزلة الطير الوحداني الذي يضل في الأرض الفلاة ويأكل
من روس الشجر وتشرب من ما العيون فاذا كان الليل اوى وحده
ولم ياوي مع الطير استيناسا بربه **ولبعضهم**

كم للحوادث من صروف عجايب ۞ ونوايب موصولة بنوايب
ولقد تقطع من شبابك وانقضى ۞ ما لست اعلمه اليك بايب
تبغي من الدنيا الكثير وانما ۞ يكفيك منها مثل زاد الراكب

وقال مالك ابن انس بلغني ان عيسى ابن مريم انتهى الى
قرية قد خربت حصونها وجفت انهارها وتشعثت شجرها فنادى
يا خراب اين اهلك فلم يجبه احد ثم نادى يا خراب اين اهلك فلم يجبه احد
ثم نادى يا خراب اين اهلك فنودي عيسى ابن مريم بادوا وتضمنتهم
الأرض وعادت اعمالهم قلايد في اعناقهم الى يوم القيمة **وقال**

مالك ابن سليمان سئلت امراة من بقية قوم عاد يقال لها هزيمة اي
عذاب الله رايت اشد قالت كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحمته
على ليلة لا ريح فيها ولقد رايت العير تحملها الريح بين السما والأرض وقال
مجاهد كان طعام يحيى ابن زكريا العشب وان كان ليبكي من خشية الله
ما لو كان القار على عينيه لخرقه ولقد كان الدمع اتخذ مجرا في وجهه
ومر بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نايم فركضه برجله وقال
قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك اما تعرفني قال لا
ولكن ارى فيك طبع الدواب في تركض بارجلها فغضب وقال اتقول
لي هذا وانت عبدي فقال له سقراط بل انت عبد عبدي قال وكيف ذلك
قال لان شهواتك ملكتك وانا ملكت الشهوات قال فانا الملك من
الأملاك السادة املك من البلاد كذا ومن الرجال كذا ومن الأموال
كذا فقال اراك تفتخر علي بما ليس من جنسك وانما سبيلك ان تفخر علي
بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا من ماء في هذا النهر
ونتكلم فحينيذ يتميز الفاضل من المفضول فانصرف الملك خجلا وقال
الشيخ وها انا احكي لك امرا اصابني طيش عقلي وبلبل حزمي وقطع نياط
قلبي ولا يزال مراة لي حتى توارتني التراب وذلك اني كنت يوما بالعراق
وانا اشرب ما فقال صاحب لي وكان له عقل يا فلان لعل هذا الكوز الذي

لنشر
لئن غدت بابا ذوي حسب ۞ لقد صدقت كم يغنى اطرادنا
دنياه

تشرب فيه الما قد كان انسانا يوما من الدهر فمات فصار ترابا فاتفق للفخاري
أن اخذ تراب القبر فصيّره كوزا وشواه بالنار فانتظم كوزا كما ترى وصار
انيه تمتهن وتستخدم بعد ما كان بشرا سويا ياكل ويشرب ويسمع ويلذ
ويطرب فاذا الذي قاله من الجايزات فان الانسان إذا مات عاد ترابا كما
كان في النشاة الاولى ثم قد يتفق ان يحفر لحده ويعجن بالما ترابه
فيتخذ منه أنية تمتهن في البيوت أو لبنه تبنى في الجدار او يطين به سطوح
البيت او يفرش في البيت فيوطا بالاقدام او يجعل طينا على الجدار وقد يجوز
ان يغرس عند قبره شجرة فيستحيل تراب الانسان شجرة وورقا وثمرة
فترعى البهايم أوراقها وياكل الانسان ثمرتها فينبت منها لحمه وينشو
منها عظمه او ياكل تلك الثمرة الحشرات والبهايم فبينما كان يقتات صار
قوتا وبينما كان ياكل صار ماكولا ثم يعود في بطن الارض رجيعا
يقذف في بيت الرحاضه أو بعرا ينبذ بالعراء ويجوز اذا احفر قبره أن
تسفي الرياح ترابه فتفرق اجزاوه في بطن الاودية والتلول والوهاد
اليس في هذا اما اذهب العقول وطيش الحلوم ومنع اللذات وهان عنه
مفارقة الاهلين والاموال واللحوق بقلل الجبال والانس بالوحوش
حتى ياتي امر الله اليس في هذا اما يصغر الدنيا وما فيها اليس في هذا
ما حقر الملك عند من عظمه والمال عند من جمعه اليس في هذا اما زهد

في

في اللذات وسلا عن الشهوات وقال مسعوركم من مستقبل يوما لا
يستكمله ومنتظر غدا وليس من اجله انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره
لابغضتم الامل وغروره **فلما** بنى المامون بن ذي النون
وكان من ملوك الاندلس قصره وانفق فيه بيوت الاموال فجا
على اكمل بنيان من الارض وكان من عجايبه انه صنع فيه بركة
ما كانها بحيرة وبنى في وسطها قبة وسيق الما الى راس القبة على
تدبير قد احكمه المهندسون وكان الما ينزل من اعلا القبة حوالها
محيطا بها متصلا بعضه ببعض وكانت القبة في غلالة من ما سكبا
والما لا يفتر والمامون قاعد فيها فروي عنه انه بينما هو نايم
إذ سمع منشدا ينشد **هذه الابيات**

أتبني بنا الخالدين وانما بقاك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبه ۰ ووجد مكتوبا على قصر
قد باد أهله واقفرت منازله ۰ هذي منازل اقوام عهدتهم في خفض
عيش نفيس ما له خطر ۰ صاحت بهم نايبات الدهر فانقلبوا الى القبور
فلا عين ولا اثر **وللصاحب** ۰ ولقد مررت على ديارهم
وطلولها بيد البلى نهب ۰ فوقفت حتى عج من لغب بصري وضج بعدلي الركب ۰

وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

وروي ان النبي عليه السلام ضرب مثلا للدنيا ولابن ادم عند الموت
كمثل رجل له ثلاثة اخلا فلما حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لي خلا موقرا
مكرما وقد حضر لي من امر الله ما ترى فما عندك فيقول هذا امر الله غلبني
عليك لا استطيع ان انفس كربتك ولكن ها انا ا بين يديك فخذ مني زادا
ينفعك ثم يقول للثاني قد كنت عندي ابر الثلاثة وقد نزل بي من امر الله
ما ترى فما عندك قال هذا امر الله قد غلبني عليك فلا استطيع ان انفس
كربتك ولكن سا قوم عليك في مرضك فاذا مت اتقنت غسلك وجودت
كسوتك وعورتك وسترت جسدك وقال للثالث قد نزل بي من امر
الله ما ترى وكنت اهون الثلاثة علي فماذا عندك قال اني قرينك وظهيرك
في الدنيا والاخرة ادخل معك قبرك حين تدخله واخرج منه حين تخرج ولا
افارقك ابدا فقال النبي عليه السلام الاول ماله والثاني اهله والثالث
عمله ۞ ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدت هذا البيت
ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض على الما خانته فروج الاصابع

وروي ان الحجاج قال في خطبته ايها الناس ان ما بقي من
الدنيا اشبه بما مضى من الما بالماء ولو اعطيت ما مضى من الدنيا بعما في
هذه ما قبلته فكيف اسى على ما بقي منها ولما لقي ميمون ابن مهران الحسن

البصري قال له لقد كنت احب لقاك فعظني فقرا الحسن افرايت ان متعناهم
سنين ثم جاهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال
عليك السلام ابا سعيد فقد وعظت احسن موعظة واعجبا كل العجب
للمكذب بالنشاة الاخرى وهو يرى الاولى واعجبا كل العجب للشاك
في قدرة الله وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب للمكذب بالنشور وهو
يموت في كل يوم وليلة ويحيى واعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود
وهو يسعى لدار الغرور ويا عجبا كل العجب للمختال الفخور وانما خلق
من نطفة ثم يعود جيفة وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به **وروي**
ان الله تعالى اوحى الى ادم عليه السلام قال جماع الخير كله في اربع واحدة
لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس
فاما التي لي فان تعبدني ولا تشرك بي شيئا واما التي لك فاعمل ما شيت
فاني اجزيك به واما التي بيني وبينك فعليك الدعا وعلينا الاجابة واما
التي بينك وبين الناس فكن لهم كما تحب ان يكونوا لك وقال
سليمان ابن داود اوتينا مما اوتي الناس ومما لم يوتوا وعلمنا ما علم
الناس وما لم يعلموا فلم نجد شيئا افضل من خشية الله في الغيب والشهادة
وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنا **وكتب**
معوية الى عايشة رضي الله عنها ان اكتبي الي بكتاب توصيني فيه

ولا تكثري فكتبت اليه عايشه سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس والسلام **ولما** ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه ادخل منزله فاعترته غشيه ثم افاق فدعا الحسن والحسين فقال اوصيكما بتقوى الله والرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا ولا تاسفا على شي فاتكما منها اعملا الخير فكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا وقال اما سمعت بما اوصيت به اخويك قال بلى فقال اني اوصيك به وعليك ببر اخوتك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل عليهما فقال اوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن ابيكما وانتما تعلمان ان اباه كان يحبه فاحباه يا بني اوصيك بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنه بشر ولا خير بعده النار بخير فكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافيه يا بني من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بيرا وقع فيها ومن هتك حجاب اخيه كشفت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن اعجب برايه

ضل

ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف به ومن اكثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين يا بني العافيه عشرة اجزا تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله وواحد في ترك مجالس السفها يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنا الشكر يا بني لا شرف اعلا من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا معقل احرز من الورع ولا شفيع انجح من التوبة ولا لباس اجمل من العافية الحرص مفتاح المقت ومطية النصب التدبير قبل العمل يومنك الندم بيس الزاد للمعاد العدوان على العباد طوبى لمن اخلص لله عمله وعمله وحبه وبغضه واخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله **وروي** ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما طعن دعا بلبن فشربه فخرج من طعنته فقال الله اكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال وددت اني اخرج منها كفافا كما دخلت فيها لو ان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول يوم المطلع **وروي** ابن عمر ولما احتضر عمر غشي عليه فاخذت راسه فوضعتها

في حجري فقال ضع رأسي في الأرض لعل الله يرحمني فمسح خده بالتراب
وقال ويل لعمر وويل لأمه ان لم تغفر له فقلت وهل حجري والأرض الا سوا
بما به قال ضع رأسي بالأرض لا أم لك كما امرتك فاذا قضيت فأسرعوا بي الى
حفرتي فانما هو خير تقدموني اليه أو شر تضعونه عن رقابكم ثم بكا فقيل له
ما يبكيك قال خبر السما لا أدري الى جنة ينطلق بي او الى نار ولما
حضرت عمر ابن عبد العزيز الوفاه قال اللهم انك امرتني فقصرت ونهيتني
فعصيت وانعمت علي فافضلت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت
الا اني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
ثم قضي رحمه الله ولما حضرت هشام ابن عبد الملك الوفاه نظر
الى اهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء
وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر
الله له ودخل على المامون في مرضه الذي مات فيه فاذا هو قد امر
أن يفرش له جل الدابة ويبسط عليه الرماد وهو راقد عليه يتضرع وهو
يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه وروي ان ابا
بكر الصديق رضي الله عنه مر على طاير واقع على شجرة فقال طوبا لك
يا طاير تطير فتقع على الشجر وتاكل من الثمر وليس عليك حساب ولا عذاب
يا ليتني كنت مثلك والله لوددت اني شجرة الى جنب الطريق فمر علي بعير

فأخذني

فأخذني فلاكني ثم ازدردني ثم اخرجني بعرا ولم اكن بشرا وقال
عاصم بن عبيد الله اخذ عمر ابن الخطاب تبنة من الأرض فقال يا ليتني
مثل هذه التبنه يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وقال
ابن مسعود وددت اني طاير في منكبي ريش وسمع رجل يقول يا ليتني
من اصحاب اليمين فقال ابن مسعود يا ليتني إذا مت لم ابعث قال
عمر بن الحصين لوددت اني رمادا تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال
ابو الدردا يا ليتني كنت شجرة تعضد وتوكل ثمرتي ولم اكن بشرا
وروي ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لما رجع من صفين
فدخل اوايل الكوفة فاذا هو بقبر قال قبر من هذا قالوا قبر خباب ابن
الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا اسلم راغبا وهاجر طايعا وعاش
مجاهدا وابتلي في جسمه أخيرا الا ولن يضيع الله اجر المحسنين ثم مضى حتى
اتى أقبرا فجا حتى وقف عليها فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشه
والمحال المقفرة انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم
اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر يوم المعاد وعمل للحساب
وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور اما الازواج
فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد اقتسمت فهذا خبر
ما عندنا فهل خبر ما عندكم ثم التفت الى اصحابه فقال اما انهم لو تكلموا لقالوا

وجدنا خير الزاد التقوي **وَوُجِدَ مكتوبًا** علي قصر بعض الملوك
وقد باد أهله وافقرت ساحته **هذه الأبيات**

هذي منازل أقوام عهدتهم يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذممِ
تبكي عليهم ديار كان يطربها ترنم المجد بين الحلم والكرمِ

الباب الثاني في مقامات العلما والصالحين عند الأمرا والسلاطين

دخل الأحنف ابن قيس علي معويه وعليه شمله ومدرعه صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته عينه فاقبل عليه وقال مه فقال الأحنف يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظم كثير مع تتابع من المحول واتصال من الدخول فالمكثر فيها قد اطرق والمقل فيها قد املق وبلغ به المخنق فان راي امير المؤمنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح عن الدخول ويداوي المحول ويامر بالعطا ليكشف البلا ويزيل اللأواء وان السيد يعم ولا يخص ويدعوا الجفلا ولا يدعوا النقرا ان احسن اليه شكر وان اسي اليه غفر ثم يكون من وراء الرعية عمادًا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاويه هاهنا يا ابا بحر ثم قال ولتعرفنهم في لحن القول **قال** سفيان الثوري لما حج المهدي قال لا بد لي من سفيان الثوري فوضعوا لي الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثلت بين يديه أدناني ثم قال

لأي شيء لا تاتينا فنستشيرك في امورنا فما أمرتنا في شيء صرنا اليه وما نهيتنا في شيء انتهينا عنه فقلت له كم أنفقت في سفرك هذا قال لا ادري لي أمنا ووكلا قلت فما عذرك غدًا إذا وقفت بين يدي الله سبحانه مسالك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه كم أنفقنا في سفرتنا هذه قال يا أمير المومنين ثمانية عشر دينارًا قال ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين **قال** الزهري ما سمعنا بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان ابن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اسمع مني اربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك قال ما هن قال تعد احدًا عدة وانت لا تريد نجازها ولا يغرنك مرتقًا سهلًا إذا كان المنحدر وعرًا واعلم ان للأعمال جزا فاحذر العواقب وللدهر تارات فكن علي حذر **ولمّا** دخل ابن السماك علي هرون الرشيد قال عظني قال يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك فلا ترض لنفسك الا بما رضي به عنك فانك ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم واولي الناس بذلك يا امير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهله من اجله كان خليقا ان يعتق نفسه يا امير المومنين من ذوق الدنيا حلاوتها يركون منه اليها اذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان تقدم علي جنة عرضها السموات والأرض وقد دعيت اليها

وليس لك فيها نصيب يا أمير المؤمنين انك تموت وحدك وتحاسب وحدك
وانك لا تقدم على نادم مشغول ولا تخلف الا مغبونا مغرورا وانك وإيانا
في دار سفر وجيران ظعن ولما حج سليمان ابن عبد الملك استحضر
ابا حازم فقال له تكلم يا با حازم فقال بما اتكلم قال في الخروج من هذا
الأمر قال يسير ان انت فعلته قال وما هو ذاك قال لا تاخذ الاشيا
بحلها ولا تضعها الا في أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من
الأمر ما قلدك قال عظني يا با حازم قال يا أمير المؤمنين ان هذا الامر
لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك ثم قال
يا أمير المؤمنين نزه ربك في عظمته عن ان يراك حيث نهاك أو تفقدك من
حيث امرك يا امير المؤمنين انما انت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير
أو شر فاختر لنفسك ايهما شئت قال فما لك لا تاتينا قال وما اصنع
باتيانك ان ادنيتني فتنتني وان اقصيتني احزنتني وليس عندي ما
اخافك عليه ولا عندي مال ارجوك له قال فارفع الينا حوائجك قال
قد رفعتها الى من هو اقدر منك عليها فما اعطاني منها قبلت وما منعني
منها رضيت بقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا
فمن ذا الذي يستطيع ان ينقص من كثير ما رزق الله او يزيد في قليل
ما قسم له قال فبكى سليمان بكا شديدا فقال رجل من جلسايه أسأت

الى

الى أمير المؤمنين قال ابو حازم اسكت فان الله اخذ ميثاق العلما لتبيننه
للناس ولا يكتمونه ثم خرج من عنده فلما صار الى منزله بعث اليه بمال
فرده وقال للرسول قل له يا أمير المؤمنين والله ما ارضاه لك فكيف ارضاه
لنفسي قال الفضيل ابن الربيع حج هرون الرشيد فبينما
انا نايم ذات ليلة إذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير
المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت له يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك
فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء انظر لي رجلا أسأله عنه قلت ها هنا
سفيان ابن عيينة قال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال
من هذا قلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو ارسلت
الي اتيتك فقال خذ فلما جئنا له فحادثه ساعة ثم قال عليك دين قال نعم
قال يا ابا عباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال له ما أغنى عني صاحبك شيئا
فانظر لي رجلا اساله قلت ها هنا عبد الرزاق ابن همام قال امض بنا اليه
نساله فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب امير المؤمنين
فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الينا أتيتك فقال خذ لما جئنا
له فحادثه ساعة ثم قال عليك دين قال نعم قال يا با عباس اقض دينه
ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيئا انظر لي رجلا فقلت ها هنا
الفضيل ابن عياض قال امض بنا اليه فاتيناه فاذا هو قايم يصلي يتلوا

آية من كتاب الله تعالى يرددها فقرعت الباب فقال من هذا فقلت أجب
أمير المؤمنين فقال مالي ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله أما عليك طاعة
أوليس قد روي عن النبي عليه السلام أنه قال ليس للمؤمن أن يذل نفسه
فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فطفي السراج ثم التجا إلى زاوية من زوايا
الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفي فقال آه من كف
ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى قال فقلت في نفسي ليكلمنّه
الليلة بكلام نقي من قلب نقي فقال خذ لما جئنا له رحمك الله قال وفيما
جيت خطيت على نفسك وجميع من معك خطوا عليك حتى لو سألتهم عن انكشاف
الغطاء عنك وعنهم ان يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم
حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال ان عمر ابن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا
سالم ابن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجا ابن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت
بهذا البلا فأشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها انت واصحابك نعمة
فقال له سالم ابن عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله سبحانه فصم
عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان اردت
النجاة من عذاب الله غدا فليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم أخا
واصغرهم ابنا فبر اباك وارحم اخاك وتحنن على ولدك وقال
له رجا ابن حيوة إن اردت النجاة غدا من عذاب الله فاحب للمسلمين ما تحب

لنفسك

لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت واني لا اقول لك هذا
واني لا اخاف عليك اشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل
هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هارون بكا شديدا حتى غشي عليه
فقلت ارفق يا امير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته انت واصحابك وارفق
به انا ثم افاق هارون فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني ان غلاما
لعمر بن عبد العزيز شكى اليه سهرا فكتب اليه عمر يا أخي اذكر سهر أهل
النار في النار وخلود الابدان فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظانا
واياك ان تزل قدمك عن هذه السبيل فيكون اخر العهد بك ومنقطع
الرجا منك فلما قرا كتابه طوا البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك
قال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية ابدا حتى القى الله سبحانه
فبكى هارون بكا شديدا ثم قال زدني فقال يا أمير المؤمنين ان العباس
عم النبي صلى الله عليه وسلم جاه فقال يا رسول الله امّرني على امارة فقال
له النبي عليه السلام يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها
ان الامارة حسرة وندامة يوم القيمة فان استطعت ان لا تكون اميرا
فافعل فبكى هارون بكا شديدا ثم قال زدني رحمك الله فقال يا
حسن الوجه انت الذي يسالك الله تعالى غدا عن هذا الخلق يوم القيامة
فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي

وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي عليه السلام قال من اصبح لهم غاشا لم يرح رايحة
الجنة فبكا هارون بكا شديدا ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني
عليه فالويل لي ان سايلني عنه والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم يلهمني
حجتي قال انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يامرني بهذا امرني ان اصدق
وعده واطيع امره فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم
من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له
هذه الف دينار فخذها فانفقها على عيالك وتقوى بها على عبادة ربك فقال
سبحان الله انا ادلك على النجاة وتكافيني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت
فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هارون الرشيد اذا دللتني على رجل
فدلني على مثل هذا فهذا سيد المسلمين اليوم **وروي** ان امراة من
نسايه دخلت عليه فقالت له يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال
فلو قبلت هذا المال لتفرجنا به فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان
لهم بعير ياكلون من كسبه فلما كبر نحروه فاكلوا لحمه موتوا يا اهلي جوعا
ولا تدعوا فضيلا فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى ان يقبل المال
قال فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج فجلس على التراب على السطح فجا هارون
فجلس الى جنبه فجعل يكلمه ولا يجيبه فبينما نحن كذلك اذ خرجت جارية
سودا فقالت يا هذا قد اذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحمك الله

ووعظ

ووعظ شبيب ابن شيبة فقال يا امير المؤمنين ان الله لم يجعل فوقك
احدا فلا تجعل فوق شكرك شكرا ودخل عمرو بن عبيد على المنصور فقرا
والفجر وليال عشر حتى بلغ ان ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل افعالهم فاتق الله
يا امير المؤمنين فان ببابك نيرانا تتاجج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة
رسول الله عليه السلام وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولون عما
اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك اما والله لو علم عمالك انه لا يرضيك
منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا تريده فقال له سليمان ابن مخالد
اسكت فقد غممت امير المؤمنين فقال عمرو ويلك يا ابن ام مخالد اما كفاك
ان خزنت نصيحتك عن امير المؤمنين حتى اردت ان تحول بينه وبين من
ينصحه اتق الله يا امير المؤمنين فان هولاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم
فانت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب فان هولاء لم يغنوا عنك من الله
شيئا **قال** الاوزاعي للمنصور في بعض كلامه يا امير
المؤمنين اما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة
يابسة يستاك بها ويردع المنافقين فاتاه جبريل فقال يا محمد ما هذه
الجريدة بيدك اقذفها لا تملي قلوبهم رعبا فكيف من سفك دما المسلمين
وشقق ابشارهم وانهب اموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
دعا الى القصاص من نفسه لخدشة خدشها اعرابيا من غير عمد

فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارًا تكسر قلوب رعيتك يا أمير
المومنين لو ان ثوبًا من النار وضع على ما في الأرض لأحرقه فكيف بمن
يتقمصه ولو ان ذنوبًا من النار صبت على ما في الأرض لأحرقه فكيف بمن
يتجرعه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على باسقة جبل لذاب فكيف
من يسلك فيه ويرد فضلها على عاتقه **ودخل** بعض العباد على سلطان
فقال له ان احق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه واولاهم بالانصاف
من بسطت يداه بالقدرة فاستدم ما أوتيت من النعم بتاديته ما عليك من
الحق وروي ان اعرابيًا قام بين يدي هشام ابن عبد الملك فقال ايها
الأمير اتت على الناس سنون ثلاث اما الاولى فاكلت اللحم واما الثانيه
فاكلت الشحم واما الثالثه فمصت العظم وعندك فضول اموال فان كانت
لله فاقسمها بين عباد الله وان كانت لهم فلم تحصرها عليهم وان كانت لكم
فتصدقوا بها ان الله يجزي المتصدقين فامر هشام بمال فقسم بين الناس
وامر للاعرابي بمال فقال أكل المسلمين له مثل هذا المال قال لا يقوم
بذلك بيت المال قال لا حاجة لي فيما تبعث لايمة الناس على امير المومنين
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين اذكر بمقامي
هذا مقامًا لا يشغل الله عنك كثرة من تخاصم من الخلايق يوم تلقاه بلا ثقة
من العمل ولا براة من ذنب فبكا عمر بكا شديدًا ثم استرده الكلام فجعل

يرده

يرده وعمر يبكي وينتحب ثم قال حاجتك قال عاملك باذربيجان اخذ مني
اثني عشر الف درهم قال اكتبوا له حتى يرد عليه **ولما** دخل
زياد على عمر ابن عبد العزيز قال زياد الا ترى الى ما ابتليت به من امر امة
محمد عليه السلام فقال زياد يا امير المومنين والله لو ان كل شعرة منك
نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك في الخروج مما انت فيه يا أمير
المومنين كيف حال رجل له خصم الد فقال سيء الحال قال فان كان له
خصمان الدان قال اسوا الحاله قال فان كانوا ثلاثه قال لا يهنيه عيش
قال فوالله ما احد من امة محمد الا وهو خصمك فبكى حتى تمنيت ان لا
اكون قلت له **قال** محمد بن كعب القرظي لعمر ابن عبد العزيز
يا امير المؤمنين انما الدنيا سوق من الاسواق فمنها خرج الناس بما ربحوا
فيها لاخرتهم وخرجوا بما يضرهم فكم من قوم غرهم مثل الذي اصبحنا
فيه حتى اتاهم الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لم ياخذوا من الدنيا للاخرة
فاقتسم مالهم من لا يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب
ان يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج اليه وانظر الذي تكره ان
تكون معك اذا قدمت فابتغي به البدل حيث يجوز به البدل ولا يذهبن
الى سلعة قد بارت على غيرك ترجوا جوازها عنك يا امير المؤمنين افتح الأبواب
وسهل الحجاب وانصر المظلوم **وحضر** رجل بين يدي بعض الملوك

فاغلظ له السلطان فقال له الرجل انما انت كالسما اذا ارعدت وابرقت
فقد قرب خيرها فسكن ما به واحسن اليه ولما احتاج المنصور
ابن ابي عامر ملك الاندلس ان ياخذ ارضا محبسة ويعاوض عنها خيرا منها
استحضر الفقها في قصره وشاورهم على ذلك فافتوا بانه لا يجوز فغضب
السلطان وارسل اليهم رجلا من الوزرا مشهورا بالحده والعجله فقال
لهم يقول لكم امير المومنين يا مشيخة السوء يا مستحلي اموال الناس
يا اكلي اموال اليتامى ظلما يا شهدا الزور واخذي الرشا وملقني الخصوم
وملقحي الشرور وملبسي الامور وملتمسي الروايات لدي اتباع الشهوات
تبا لكم ولارايكم فهو عز الله واقف على سوفكم قديما وخونكم اما نا نكم
مغض عنه صابرا عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في حاجة مرة واحدة
في دهره فلم تسعفوا ارادته ما كان هذا ظنه فيكم والله ليعارضنكم
وليكشفن ستوركم وليناصحن الاسلام فيكم وافحش عليهم بهذا ونحوه
فاجابه شيخ منهم ضعيف المنه فقال نتوب الى الله مما قاله امير المومنين
ونساله الاقاله فرد عليه زعيم القوم محمد بن ابراهيم بن حيون وكان
جلدا صارما فقال للمتكلم مه نتوب يا شيخ السوء البس نحن برا من
شابك ثم اقبل على الوزير فقال يا وزير بيس المبلغ انت وكلما نسبته
الينا عن امير المومنين فهي صفتكم معاشر خدمته فانتم الذين تاكلون

اموال

اموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم بالاخافه وتحتفون معايشهم
بالرشا والمصانعه وتبغون في الارض بغير الحق فاما نحن فليست هذه
صفاتنا ولا كرامه ولا يقولها لنا الا متهم في الديانه فنحن اعلام الهدى
وسرج الظلمة بنا يتحصن الاسلام ونفرق بين الحلال والحرام وبنا تنفذ
الاحكام وبنا تقام الفرايض وتثبت الحقوق وتحقن الدما وتستحل الفروج
فهلا ادعنت سيدنا امير المومنين علينا بشي لا ذنب لنا فيه وقال بالغيظ
بعض ما قاله فابيت لا بلاغا رسالته باهون من الفاسك وعرضت لنا
بانكاره ففهمناه منك واجبناك عنه بما يصلح الجواب به فكنت تزين على
السلطان ولا تفشي سره وتستحيينا بما استقبلنا به فنحن نعلم ان امير المومنين
لا يتمادى على هذا الراي فينا ولا يعتقد هذا المعتقد في صفاتنا وانه
سيراجع بصيرته في ايثارنا وتعزيزنا فلو كنا عنده على الحال التي وصفتها
عنا والعياذ بالله من ذلك لبطل عليه كلما صنعه وعقده من اول خلافته
الى هذا الوقت فلا يثبت له كتاب من حرب ولا سلم ولا بيع ولا شري
ولا صدقه ولا حبس ولا هبه ولا عتق ولا غير ذلك الا بشهادتنا هذا
ما عدنا والسلام ثم قاموا منصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر الا
والرسل تناديهم فادخلوا الى القصر فتلقاهم الوزرا بالاعظام ورفعوا
منازلهم واعتذروا عما كان من صاحبهم وقالوا لهم ان امير المومنين

يعتذر اليكم عن فرط موجدته ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ونزغته
التي حملته على الجفا عليكم ويعلمكم انه نادم على ما كان مستبصر في تعظيمكم
وقضا حقوقكم وقد امر لكل رجل منكم بما ترون من صلته وكسوته علامة
لرضاه عنكم فادعوا له فدعوا له وقبضوا ما امر لهم به وانقلبوا غالبين
لم يمسسهم سو ولما نظر مالك ابن دينار الى المهلب يجر اذياله
ويتخطر ويتبختر في اثواب خيلائه ناداه ارفع من ثيابك فقال له المهلب
اوما تعرفني قال له مالك بلى اني اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة
قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل عذره وروي ان رجلا قال لعبيد
الله العمري هذا هرون الرشيد في الطواف قد اخلا له المسعى فقال له لا
جزاك الله عني خيرا كلفتني امرا كنت فيه غنيا ثم جا اليه فقال يا هرون
فلما نظر اليه قال لبيك يا عم قال كم ترى هاهنا من خلق الله فقال لا يحصيهم
الا الله فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسل عن خاصة نفسه وانت
وحدك تسال عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكا هارون وجلس فجعلوا يعطونه
منديلا للدموع ثم قال له والله ان الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه
فكيف بمن اسرع في مال المسلمين فقيل ان هارون كان يقول بعد ذلك
اني احب ان احج في كل عام وما يمنعني من ذلك الا عبيد الله العمري ه
وروي ان الحسن بن محمد بن الحسن دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر

ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال عمر ايه اهل بيت النبوة ومعدن
الرسالة وجثا على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضي لم يدخله رضاه في
باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن اذا قدر لم يتناول ما
ليس له ولما ولي عمر بن عبد العزيز وفد عليه الوفود من كل
بلد فوفد عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن
فقال له عمر لينطق من هو اسن منك فقال الغلام اصلح الله امير المومنين
انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا وقلبا حافظا
فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو ان الامر يا امير المومنين
بالسن لكان في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك فقال عمر صدقت قل ما
بدا لك فقال الغلام اصلح الله امير المومنين نحن وفد تهنيه لا وفد مرزيه
وقد اتيناك بمن الله الذي من علينا بك لم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة
اما الرغبة فقد اتتنا منك الى بلدنا واما الرهبة فقد امنا جورك بعدلك
فقال له عمر عظني يا غلام فقال اصلح الله امير المومنين ان ناسا من الناس
غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وكثرة ثنا الناس عليهم فزلت بهم اقدامهم فهووا
في النار فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وكثرة ثنا الناس عليك فتزل
بك قدمك فتلحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحقك بصالحي هذه الامة ثم
سكت فسال عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة ثم سال عنه

فاذا هو من ولد الحسين بن علي فتمثل عمر عند ذلك **هذه الابيات**

تعلم فليس المرء يولد عالما … وليس اخو علم كمن هو جاهل

وان كبير القوم لا علم عنده … صغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يبالي ما لبس ما لك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع المرء ادبه وعقله لا حليته وحلله لحا الله امرا يرضى ان ترفعه هياته وجماله لا والله حتى يشرفه اصغراه لسانه وقلبه وتعلوا به اكبراه همته ولبه **ولما** دخل ضمرة ابن ضمرة على المنذر بن المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذا راي وعقل لحتقرته عينه لدمامته فقال لان تسمع بالمعدي لا ان تراه فقال ضمرة ابيت اللعن ان القوم ليسوا بجزر بجزر وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا نطق نطق ببيان واذا قابل قابل بجنان والرجال لا تكال بالقفزان ولا يوزن بالقبان فاعجب المنذر بكلامه **وروي** ان روح ابن زنباع كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا وضربت لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فبينما هم كذلك اذا هم براع فدعاه الى الطعام فابا وقال اني صايم فقال له روح في مثل هذا اليوم الحار قال فادع ايامي تذهب باطلا فقال روح **شعر**

لقد ضننت بايامك يا راع … اذ جاد بها روح بن زنباع

يروى

ويروى ان اعرابيا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراه ما تحب ان قبلته قال هات يا اعرابي قال اني ساطلق لساني بما خرست به الالسن لحق الله وحق امانتك انك قد اكتنفك رجال اساوا الاحسان لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تصلح دنياهم لفساد اخرتك فاعظم الناس غبنا يوم القيمة من باع اخرته بدنيا غيره فهو لك لا عليك فقال له سليمن ما انت فقد نصحت وارجوا ان الله سبحانه يعيننا على ما قلدنا وقد جردت لسانك وهو سيفك قال اجل يا امير المؤمنين وهو لك لا عليك **قال** ابن ابي عمرو به حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينه ودعا بالغدا وقال لحاجبه انظر من يتغدي معي اسله عن بعض الامر فنظر نحو الجبل فاذا هو براع بين شملتين نايم فضربه برجله وقال ايت الامير فاتاه فقال له الحجاج اغسل يديك وتغدي معي فقال دعاني من هو خير منك فاجبته فقال ومن هو قال الله تعالى دعاني الى الصوم فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو اشد منه حرا قال فافطر وصوم غدا قال ان ضمنت لي البقا الى غد قال ليس ذلك الي فقال فكيف تسالني عاجلا باجل لا تقدر عليه قال لانه طعام طيب قال لم تطيبه انت ولا الطباخ لكن طيبته العافيه **ولما**

حج هارون الرشيد بعث الى ملك ابن انس بكيس فيه خمس مائة دينار فلما قضى
نسكه وانصرف وقدم المدينة بعث الى ملك ابن انس ان امير المؤمنين يحب
ان ينتقل معه الى المدينة فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمه وقال الرسول
عليه السلام والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون **وقال**
وهب ابن منبه ان ملكا كان يفتن الناس ويحملهم على اكل لحم الخنزير فاتي
برجل افضل اهل زمانه فاعظم الناس مكانه وهالهم امره فراوده على اكل
لحم الخنزير فرق له صاحب شرطة الملك فقال له انا اتيك بجدي تذبحه
مما يحل لك اكله واذا دعاك الملك بلحم الخنزير اتيك به فتفعل ثم اتي به الملك
ان ياكله فابى فجعل صاحب الشرطة يغمزه ان ياكله فابى ان ياكله فامر الملك
صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب به قال ما منعك ان تاكل وهو اللحم الذي
انت ذبحته اظننت اني جئتك بغيره قال قد علمت انه هو ولكني خفت
ان يفتتن الناس فان اكرهوا على اكل لحم الخنزير قالوا قد اكله فلان
فيفتتن بي فاكون فتنة لهم فقتل رحمة الله عليه **وروي** ان ملكا
كان يقرب القربان الذبايح للاصنام فقيل له ان في مملكتك رجل لا
يرى رايك ولا يذبح للاصنام فامر به فاحضر فقال له تقرب ذبيحة بين
يدي هذا الصنم يكون نعم فابى فقيل له تقرب كبشا فابا فقيل له تقرب
ديكا فابا فقيل له تقرب ذبابة فابا فامر به فقتل **وروي**

ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب يا كعب خوفنا قال قلت
افليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله قال بلى يا كعب ولكن خوفنا قلت
يا امير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيمة بعمل سبعين نبيا لازدرت
عملهم مما ترى فانكس عمر واطرق مليا ثم افاق فقال يا كعب خوفنا فقلت
يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلي
دماغه حتى يسيل من حرها فانكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا قال يا
امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيمة فلا يبقى ملك مقرب ولا
نبي مرسل الا خر على ركبتيه حتى يخر ابراهيم خليل الرحمان على ركبتيه
يقول يا رب لا اسالك الا نفسي نفسي **واستاذن** ابو دهمان
على بعض الامرا فحجبه ثم اذن له فلما دخل قال ان هذا الامر الذي صار اليك
قد كان في يدي غيرك فامسوا والله حديثا فان خيرا فخيرا وان كان شرا
فشرا فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان
حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهدا الله
على خلقه **ولما** دخل محمد بن واسع سيد العباد في زمانه على بلال
ابن ابي بردة امير البصرة كان ثوبه الى نصف ساقه قال له بلال ما هذه
الشهرة يا ابن واسع فقال له ابن واسع انتم شهرتمونا هكذا لباس من مضى
وانما انتم طولتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعا وشهرة قال الشيخ

رضي الله عنه لما دخلت على ملك مصر وهو الافضل ابن امير الجيوش فقلت له
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت فقلت له ايها الملك
إنّ الله تعالى قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا ملكك
طايفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك
فلا ترض أن يكون احدا اولا بالشكر منك وانّ الله تعالى قد الزم الورى
طاعتك فلا يكن احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال
والاحسان قال الله تعالى إعملوا آل داود شكرا واعلم انّ هذا الامر الذي
اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يديك
بمثل ما صار اليك واتق الله فيما خولك من هذه الامة فالله سايلك عن النقير
والقطمير والفتيل قال الله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون
ثم قال وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين
واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد اتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود
فسخر له الانس والجن والطير والوحش والبهايم وسخر له الريح تجري بامره
رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا
فامنن أو امسك بغير حساب فوالله ما عدّها نعمة كما عددتموها
ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله
تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر

فافتح

فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم اعانك الله على ما قلدك وجعلك
كهفا للملهوف وأمانا للخايف وكتب حكيم الى حكيم اني سايلك
عن ثلاثة أشيا ان اجبت عنها صرت لك تلميذا اي الناس اولى بالرحمة
ومتى يضيع امور الناس وبم تستلقى النعمة من الله تعالى فكتب اليه أولى الناس
بالرحمة ثلاثة البر يكون في سلطان الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى في ويسمع والعاقل يكون
تدبير الجاهل فهو الدهر حزين متعوب مهموم والكريم يحتاج الى اللئيم
فهو الدهر خاضع ذليل وتضيع امور الناس اذا كان الراي عند من لا يقبل
منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتستلقى النعمة
من الله بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار تلميذا
له الى ان مات وقال يحيى ابن سعيد حج سليمان ابن عبد
العزيز فلما اشرفا على عقبة عرفات نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت
له فقال يا عمر كيف ترى فقال ارى دنيا عريضة ياكل بعضها بعضا
وانت المسؤول عنها والماخوذ بها فبينما هما كذلك إذ طار غراب
من سرادق سليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول
هذا الغراب قال عمر ما أدري ما يقول ولكن ان شئت اخبرتك بعلم
قال أخبرني قال هذا غراب من سرادقك قد طار وفي منقاره كسرة
انت بها ماخوذ وعنها مسؤول من اين دخلت ومن اين خرجت قال انك

لتخبر بالعجب قال افلا اخبرك باعجب من هذا قال بلا قال من عرف الله
كيف عصاه ومن عرف الشيطان كيف اطاعه ومن ايقن بالموت كيف
يهنيه العيش قال لقد عتبت (نغصت) علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار **وروي**
ان بلال ابن ابي بردة خرج في جنازة وهو امير على البصرة فنظر الى جماعة
وقوفا فقال ما هذا قالوا ملك ابن دينار يذكر الناس فقال لوصيف كان
معه اذهب الى ملك ابن دينار فقل له يرتفع الينا الى القبر فجا الوصيف
فادي الرسالة الى ملك فصاح به مالك لا ما لي اليه حاجة فاجبه فيها
فان يكن له حاجة فليجي في حاجة نفسه فلما دفنوا ميتهم مال بلال
بمن معه الى حلقة مالك فلما دنا منها نزل ونزل معه ثم جا يمشي الى الحلقة
حتى جلس فلما راه ملك ابن دينار سكت فاطال السكوت فقال له بلال
يا باحيى ذكرنا قال نسيت شيا اذكركه قال فحدثنا قال اما هذا
فنعم قدم علينا امير من قبلك البصرة فمات فدفناه في هذه الجبانة
ثم اتا سرحى فدفناه الى جنبه فوالله ما ادري ايهما كان اكرم على
الله سبحانه فقال له بلال يا باحيى ما الذي جراك علينا وما الذي يسكتني
عنك لانك لم تاخذ من دراهمنا شيا اما والله لو اخذت من دراهمنا شيا
ما اجترات على هذه الجراه قال مالك قد افادني الحسن علما الا فاتقوا
دراهمهم **ودخل** ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا

ابن

ابن شهاب ما حديث يحدثنا به اهل الشام قال وما هو يا امير المؤمنين قال
حدثونا ان الله سبحانه اذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب
عليه السيات قال كذب يا امير المؤمنين انبي خليفه اقرب الى الله ام خليفه
ليس بنبي قال بلى نبي خليفه قال فانا احدثك يا امير المؤمنين بما لا تشك فيه
قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الى اخر الاية يا امير المؤمنين فهذا
وعيد الله لنبي خليفه فما ظنك بخليفة ليس بنبي فقال الوليد ان الناس
ليغرونا عن ديننا **وروي** زياد عن ملك ابن انس قال بعث الي
ابو جعفر المنصور والى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد
نضدت وبين يديه انطاع قد بسطت وبين يديه جلاوزه بايديهم السيوف
يضربون الاعناق فاوما الينا ان اجلسا فجلسنا فاطرق عنا طويلا ثم رفع
والتفت الى ابن طاوس فقال حدثني عن ابيك قال نعم سمعت ابي يقول
قال النبي عليه السلام ان اشد الناس عذابا يوم القيمة رجل اشركه الله
في حكمه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر ساعة قال مالك
فضممت ثيابي مخافة ان يملاني من دمه فامسك ساعة حتى اسود ما بيننا
وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواه فامسك عنه ثم قال ناولني
هذه الدواه فامسك عنه قال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان

تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني
قال ابن طاووس ذلك ما كنا نبغي منك اليوم قال مالك فما زلت اعرف
لابن طاووس فضله **وقال** احمد بن ابي الحواري سمعت
رجلا يحدث عن ابن السماك قال بعث الي هارون الرشيد فلما انتهيت
الي باب القصر اخذني حرسيان باصبعي فاعجلاني في دهليز القصر فلما
انتهيت الي باب القاعة لقيهما صحمان فاخذاني فاعجلاني في قاعة القصر
فانتهيت الي البهو الذي هو فيه فلقيني صحمان دونهما فاخذاني فاعجلاني
الي البهو فقال لهما هارون ارفقا بالشيخ فلما وقفت بين يديه قلت
لامير المومنين ما مر بي يوم منذ ولدتني امي فيه اتعب من يومي هذا
فاتق الله في خلقه واحفظ محمدا في امته وانصح لنفسك في رعيتك
فان لك مقاما بين يدي الله سبحانه انت فيه اذل من مقامي هذا بين يديك
فاتق الله واعلم ان من اخذ الله وسطوته على اهل معصيته كيت وكيت
قال فاضطرب على فراشه حتى نزل الي مصلي بين يدي فراشه فقلت يا امير
المومنين هذا ذل الصفة فكيف لو رايت ذل المعاينة قال فكادت
روحه تخرج فقال يحيى للحصين اخرجوه فقد ابكى امير المومنين ودخل
عليه في مجلس اخر فقال عظني واوجز فقال يا امير المومنين ان الذي
اكرمك بما اكرمك به لحقيق عليك ان تحب ما احب وتبغض ما ابغض

فوالله

فوالله لقد احب دارا فابغضتها وابغض دارا فاحببتها كانما اردت
خلاف ربك او اردت سواه واعلم يا امير المومنين ان الذي في يديك
لو بقي على من كان قبلك لم يصل اليك فكذلك لا يبقى لك كما لم يبق
لغيرك فاتق الله في خلافته واحفظ وصية محمد في امته **ودخل**
هارون على الفضيل ابن عياض فسلم عليه فقال وعليك السلام ايها الملك
ثم قال له ايها الملك تحب الله قال نعم قال فتعصيه قال نعم قال كذبت
والله في حبك اياه لو احببته ما عصيته **ثم انشا يقول**

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمرك في المقال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة ... وانت لشكر ذاك مضيع

وروي زيد بن اسلم عن ابيه قال قلت لجعفر بن سليمان الهاشمي
والي المدينة احذر ان ياتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا اب وجد
فيكون اولى برسول الله منك كما كانت امراة فرعون اولى بنوح ولوط
من زوجتيهما وكما كانت زوجة لوط ونوح اولى بفرعون من زوجته
من بطا به عمله لم يسرع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وقال
بشر ابن السري بينا الحجاج جالس في الحجر اذ دخل رجل من اهل اليمن فجعل
يطوف فوكل به بعض من معه وقال اذا فرغ هذا من طوافه ايتني به

فاتاه به فقال ممن انت قال من اهل اليمن قال فكلك علم بمحمد بن يوسف قال
نعم قال فاخبرني عنه قال لقد تركته ابيض بضا سمينا طويلا عريضا قال
ويلك ليس عن هذا اسلك قال فعما تسألني قال عن سيرته وطعمته
قال اجور السير واخبث المطعم واعتا العتاة على الله واحكامه قال
فغضب الحجاج وقال ويلك اما علمت انه اخي قال بلى ثم قال افانت ما
علمت ان الله ربي والله لهو امنع لي منك لاخيك قال اجل ارسله يا غلام

قال الاصمعي حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت محمد
بن ابراهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر بالمدينه وهو ينظر فيما بين
رجل من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا بقريش فقالوا لابي جعفر
اجعل بيننا وبينه ابن ابي ذيب قال ابي جعفر لابن ابي ذيب ما تقول في
بني فلان قال اشرار من اهل بيت اشرار قالوا سله يا امير المؤمنين
عن الحسن ابن يزيد وكان عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال يأخذ
بالاحنه ويقضي بالهوى قال الحسن والله يا امير المؤمنين لو سألته عن
نفسك لرماك بداهية وبلغك بشر قال ما تقول في قال اعفني قال لا
بد ان تقول قال لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية قال فتغير وجه
ابي جعفر فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل فقال طهرني بدمه
يا امير المؤمنين قال له اي ابن ذيب اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد ان

لا

لا اله الا الله طهور ثم تدارك ابن ابي ذيب الكلام فقال يا امير المومنين
دعنا مما نحن فيه بلغنا انك رزقت ابنا صالحا بالعراق يعني بالمهدي قال
اما ان قلت ذلك انه لصوام اليوم البعيد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن ابي
ذيب فخرج فقال ابو جعفر اما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال
بذات نفسه

ودخل ابو النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل
للخليفه فقال له يا ابا النضر انه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها
ولا نجد بدا من انفاذها فما ترى فقال له ابو النضر قد اتاك كتاب الله
قبل كتاب الخليفه فايهما اتبعت كنت من اهله

الباب الثالث في القضاة والولاة

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جا في التفسير من اتباع الهوى
ان يحضر الخصمان بين يديك فتود ان يكون الحق للذي له منك خاصة وبهذه
الخصلة سلب سليمان ابن داود ملكه قال ابن عباس كان الذي اصاب
سليمان بن داود ان ناسا من اهل جراده امراة من اكرم نسايه عليه
تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب ان يكون الحق لاهل جراده فقضى لهم
فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا ومن ذلك اية الملوك التي انزلها الله
تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها يقال بقا الملك

وثبوت الدول قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز
ثم سمي المنصورين واوضح شرايط النصر فقال الذين إن مكناهم في الأرض
اقاموا الصلاة واتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله
تعالى النصر للملوك وشرط عليهم اربع شرايط كما ترى فمتى تضعضعت
قواعدهم أو انتقض عليهم من اطراف ممالكهم أو ظهر عليهم عدوا أو باغي
فتنة أو حاسد نعمة أو اضطربت عليهم الامور او راوا أسباب الغير فليلجوا
الى الله تعالى ويستجبوا من سواقدار باصلاح ما بينهم وبينه سبحانه باقامة
الميزان بالقسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق
الذي قامت به السموات والأرض واظهار شعاير الدين ونصر المظلوم
والأخذ على يد الظالم وكف يد القوي عن الضعيف ومراعات الفقرا
والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين وليعلموا انهم
قد اخلوا بشيء من الشروط الأربع التي شرطت في النصر **وروي**
ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل
راع على أهل بيته وهي مسئولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده
وهو مسئول عنه ألا وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فجعل النبي
عليه السلام كل ناظر في حق غيره راعيا له واللفظة ماخوذة من الرعاية

والمراعاة

والمراعاة فإذا تقدم لرعاية غنم من ياكله فهو الهلاك كما **قال الشاعر**

وراعي الشاة يحمي الذيب عنها فكيف إذا الذياب لها رعاة

وروي مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امري يلي امر
المسلمين ولا يجهد لهم وينصح الا لم يدخل معهم وقال معقل ابن يسار سمعت النبي
عليه الصلاة والسلام يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحفظها
بنصيحة الا لم يجد رايحة الجنة **وقال** عبد الرحمن ابن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن ابن سمرة لا تسل الامارة
فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت
عليها **وروى** أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إنكم
ستحرصون على الامارة وستكون عليكم ندامة يوم القيمة فنعمة المرضعة
وبيست الفاطمة وقال ابو ذر قلت امرني يا رسول الله قال إنها أمانة وانها
حسرة وندامة يوم القيمة الا من اخذها بحقها وادي الذي عليه فيها
وروي البخاري ان النبي عليه السلام قال تجدون من خير الناس
اشد الناس كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه وفي الحديث من ولي من أمر
المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط أهل بيته فليتبوا مقعده من النار
وروي ان عمر ابن الخطاب بعث الى عاصم ان يستعمله على الصدقة فابا وقال
سمعت النبي عليه السلام يقول إذا كان يوم القيمة يوتا بالوالي فيقف

على جسر جهنم فيأمر الله تعالى فينتفض به انتفاضه يزول كل عظم عن مكانه
ثم يأمر الله سبحانه وتعالى العظام فترجع الى اماكنها ثم يسائله فان كان
لله مطيعًا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته فان كان لله عاصيًا انخرق
به الجسر فهوى به في جهنم مقدار سبعين خريفًا فقال عمر سمعت من النبي
عليه السلام ما لم اسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان
اي والله يا عمر ومع السبعين سبعين خريفًا في واد ملتهب التهابًا فقال
عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال
سلمان من سلب الله انفه وألصق خده بالأرض وروي أن
العباس قال أمرني رسول الله فاصبت واستريت فقال له يا عباس يا عم
النبي عليه السلام نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ألا احدثكم عن
الامارة أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها حسرة يوم القيامة
وروى أبو ذر في السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان ابي عريفًا على الماء وانه يسألك ان تجعل لي العرافة من بعده
فقال النبي عليه السلام العرفاء في النار وروى الساجي عن ابي
سعيد الخدري قال قال لي النبي عليه السلام أشد الناس عذابًا يوم القيمة
الامام الجائر قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سمعت النبي
عليه السلام يقول ليس من والي ولا قاضي الا ويؤتى به يوم القيمة حتى يوقف

به بين يدي الله سبحانه وتعالى على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤها
على رؤوس الخلائق فان كان عدلًا نجاه الله بعدله وان كان غير ذلك
انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو ين من اعضائه مسيرة سنه ثم
ينخرق به الصراط فما يلتقي قعر جهنم الا بحر وجهه وروى معاذ
بن جبل ان النبي عليه السلام قال ان القاضي ليزل في مزلقة ابعد من عدن
في جهنم وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى
بالقاضي العدل يوم القيمة فيلقى من شدة الحساب ما يود انه لم يقض بين
اثنين في تمرة وروى الحسن البصري ان النبي عليه السلام دعا عبد
الرحمن ابن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله اختر لي فقال اقعد في بيتك وفي
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن اقوام يوم القيمة لو وقعوا
من الثريا ولم يكونوا أمرا على شيء وكم من متخوض في مال الله ومال رسوله
له النار غدًا وفي الحديث ان النبي عليه السلام قال صنفان من أمتي لا تنالهما
شفاعتي يوم القيمة امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق عنه وقال
حذيفه ابن اليمان من اقتراب الساعة ان يكون امرا فجرة وزراء كذبة
وامنا خونة وعلما فسقة وعرفا ظلمة وقال عبيد بن عمر ما ازداد رجل
من السلطان قربًا الا ازداد من الله بعدًا ولا كثر اتباعه الا كثرت
شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابو هريرة

ما من أمير يؤمر على عشرة إلا جيء به يوم القيمة مغلول أنجاه عمله أو أهلكه
وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين
من أشد الناس عذابا يوم القيمة فقال سليمان قل فقال طاوس أشد
الناس عذابا يوم القيمة من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه
فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي وما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وفي
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القضاة ثلاثة اثنان في النار
وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم فجار فهو في
النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ابن سيرين جاء صبيان الى عبيدة السلماني يتخايرون
إليه في ألواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم ولا أتولى حكما أبدا
وتخاير غلمان الى ابن عمر فجعل ينظر في كتابتهم وقال هذا حكم ولا بد من
النظر والمصنفون يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود
في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم للقضاء فقد ذبح بغير
سكين وفي أخبار القضاة أن قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل
له عقل ودين وتقدمه فقال له أيها القاضي ما بلغك قول النبي عليه السلام
من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك أن أمور المسلمين
ضايعة في بلدنا فجئت تحرها قال لا قال فاكرهك السلطان على ذلك قال
لا

لا قال فاشهد اني لا أطأ لك مجلسا ولا أؤدي عندك شهادة أبدا وروي
أن أبا بكر الصديق قال في بعض خطبه أن الملك إذا ملك زهده الله في ماله
ورغبه فيما في يد غيره وأشرب قلبه الإشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط
الكثير جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره ومحا
ظله حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عفوه فقال ابن مسعود قال النبي عليه
السلام أن أشد الناس عذابا يوم القيمة رجل قتل نبيا أو قتله نبي وإمام
ضلالة وممثل من الممثلين قال أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ستة أيام اعقل يا أبا ذر ما أقول لك ثم لما كان في اليوم السابع قال
أوصيك بتقوى الله في أمر سرك وعلانيتك وإذا أسأت فأحسن ولا تسألن
أحدا وإن سقط سوطك ولا تؤوين أمانة ولا تؤوين يتيما ولا تقضين بين
اثنين وقال أبو ذر أيضا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر إني
أحب لك ما أحب لنفسي وإني أراك ضعيفا فلا تأمرن على اثنين ولا تلين
مال يتيم وروي أبو ذر أيضا قلت يا رسول الله ألا تستعملني فضرب
بيده على منكبي وقال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيمة
خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها وقال
علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثني النبي عليه السلام الى اليمن وأنا
حديث السن فقلت يا رسول الله انك بعثتني الى قوم شيوخ ذوي أسنان

وَلا علم لي بالقضاء فقال إنّ الله سبحانه هادٍ قلبك ولسانك فاذا اجلس الخصمان
فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الآخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضي
فان قال قايل كيف نهي ابا ذر عن القضاء وأمر عليا بالقضا مع ما فيه من
التغير وما روي ان من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد عن
حضرته والتيمن بمشاهدته وتعلم سننه وشرايع دينه والتخلق باخلاقه
وشيمه وايهما أفضل المثول بين يديه والكون بحضرته ومشاهدته
والصلاة خلفه او القضا في غيبته مع البعد عنه قلنا انما نهي ابا ذر عن القضا
لمعنًا فيه يقصر به عن رتبة القضاء مما كان منده في علي من استجماع
شرايط القضاء وقوته عليها الا تراه قال لأبي ذر اني اراك ضعيفا ثم قال
في اخر الامر اخذها بحقها وادي الذي عليه فيها فاستدللنا بذلك
على من استجمعت فيه شروط القضاء وكان قويا على انفاذه لم يدخل تحت
النهي **ومما** يعد ضعفا عن القضاء طلبته اياه إذا لم يدر يدعوا
فيه وقد وصف الله سبحانه المسرع الى الامانات بالجهل والضعف فقال
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اي ظلوما لنفسه
جهولا بعاقبة امره والدليل على صحة هذا التاويل قول النبي عليه السلام
القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو

في الجنة ورجل عرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار قلت فهذان الرجلان
ضعيفان عن رتبة القضا احدهما بفسقه وظلمه والاخر بجهله وقد عاب
جهله بني اسرايل طالوت فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق
بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين الفقر وانه ليس
من سبط المملكة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فبين شروط الولايات والممالك
وانها تفتقر الى العلم الذي به يحكم والى القوة التي بها ينفذ الاحكام دون
ما طلبته بنوا اسرايل وانما قولك ايهما أفضل القضا في غيبته والحضور بين
يديه والكون في حضرته **فالجواب** ان امر فرض
يعصي بتركه ولبكن في حضرته مستحب بعد الهجرة لا يعصي بتركه
فعلمنا بهذا انه انما بعث عليا للقضاء لانه افضل من سكناه بحضرته
لأنه مبلغ عنه الى الخلايق شريعته التي بعثه الله تعالى بها فهو خليفته
في ذلك يدل على هذا انه اوجب الجنة لمن قضى بالحق **وذكر**
السلطان لاعرابي فقال والله لئن عزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة
بالعدل وبقليل فان رضوا من كثير باق وانما يكون العدم حيث
لا ينفع الندم **وقال** ابو بكر بن ابي مريم حج قوم فمات
صاحب لهم بارض فلاة فلم يجدوا ماء فاتاهم رجل فقالوا لو دللتنا على الماء

قال احلفوا لي ثلاثة وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا
ولا بريدا ولا شرطيا ولا عرافا وانا ادلكم على الماء فحلفوا له ثلاثة وثلاثين
يمينا فدلهم على الماء ثم قالوا اعاونا على غسله قال احلفوا لي ثلاثة وثلاثين
يمينا كما تقدم ذكره فحلفوا له فاعانهم على غسله ثم قالوا تقدم وصلي
عليه قال لا حتى تحلفوا لي اربعا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى
عليه ثم التفتوا فلم يجدوا احدا فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام

الباب الرابع في معرفة ملك سليمان

ووجه طلبه الملك وسواله ان لا يوتى لاحد من بعده ونفي البخل عنه فان
قال لنا قايل ليس سليمان بن داود عليه السلام قال هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي ثم زاد على ذلك بان لا يوتى مثله احدا بعده وظاهر يوذن
بالبخل وظاهر هذه الاية من وجوه احدها انما سال هذا بعد ان سلبه
الله الملك ثم اعاده عليه فحين طلب الملك كان ملكا فكانه قال هذا الملك
الذي حددته لي هبه لي على صفات لا اعصيك فيه فتسلبني اياه وتعاقبني
بذلك عليه انه بدا بالمغفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا اي ملكا
لا اعصيك فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عطاونا
فامنن او امسك بغير حساب فكانه اجاب دعاه فقال تصرف كيف شيت
بلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت اجرت وان امسكت فلا تبعة عليك

وهذا التخصيص لسليمان ابن داود لم يخص بها احد من ولد ادم سواه
لان الله تعالى قال للخلايق اجمعين فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون
واما قوله فلا ينبغي لاحد من بعدي فقال عطا لا اسلبه في باقي عمري
فيصير لغيري كما سلبته في ماضي عمري وقيل لا اسلط علي فيه شيطانا
مثل الذي قد سلطت علي وقيل انما سال ذلك ليكون علما على المغفرة
وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل انما سال ذلك ليكون
اية لنبوته وعلما على معجزته قال مقاتل كان سليمان ملكا
ولكنه اراد بقوله ولا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير يدل
عليه ما بعده وهو قوله فسخرنا له الريح الى اخر الايات وقيل ان سليمن كان
ملكه في خاتمه ولهذا ذهب ملكه بذهاب خاتمه فقال لا ينبغي لاحد
من بعدي يعني اجعل ملكي في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملكه غيري فان
ابليس لما اخذ خاتم سليمان تحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على كرسي
سليمان يحكم فيه حتى انكرت بنوا اسرايل احكامه وكان قد القي عليه
شبهه قال عمرو بن عثمان المكي انما اراد به ملك النفس وقهر
الهوى يدل عليه ما روى سلامه عن الشعبي قال بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ارايتم سليمان وما اتاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى
السماء تخشعا لله تعالى حتى قبضه الله سبحانه وزاد غيره انما اراد ملك النفس

وقهرها ليلا يغتر بالمملكة ولهذا قدم سؤال المغفرة على طلب المملكة
وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى انتقم لادم ابي من ابليس وذريته حيث
كان سببا في اخراجه وذريته من الجنة **وروى** البخاري في
صحيحه ان النبي عليه السلام قال ان عفريتا من الجن جعل يتقلب على البارحة
ليقطع علي صلاتي وان الله تعالى امكنني منه فصرعته فلقد هممت ان
اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون اليه كلكم
فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله
خاسيا فان قيل فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزاين الارض
اني حفيظ عليم قلنا يستفاد من الاية ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف
قدره او امة لا يعرفون فضله تخاف على نفسه او اراد ابراز فضله جاز
ان ينبههم على مكانه وما يحسنه دفعا للشر عن نفسه او اظهارا لفضله
فيجعل في مكانه وفيه فايدة اخرى وهو انه اذا راى الامور في يد الخونة
واللصوص ومن لا يؤدي الامانة ويعلم من نفسه اداء الامانة مع الكفاية
جاز ان ينبه السلطان على امانته وكفايته ولهذا قال بعض العلما
من اصحاب الشافعي من كملت فيه ايات الاجتهاد وشروط القضا جاز
ان ينبه السلطان عليه ويخطب خطبة القضا وقال بعضهم بل يجب
ذلك عليه اذا كان الامر بين يدي من لا يقوم به

الباب الخامس في فضل القضاة والولاة

إذا عدلوا قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض يعني لولا ان الله تعالى اقام السلطان في الارض يدفع القوي
عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوي الضعيف وتواثب
الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض
ومن عليها ثم امتن الله على الخلق باقامة السلطان فقال ولكن الله ذو
فضل على العالمين يعني في اقامة السلطان فيامن الناس به فيكون فضله
على المظلوم امانه وكف يد الظالم عنه **وروى** ابو هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصايم
حتى يفطر ودعوة المظلوم وروي ان النبي عليه السلام قال سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله
سبحانه ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه
وتفرقا عليه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف
الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه
ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه **وروى** كثير ابن
مرة قال قال لي النبي عليه السلام السلطان ظل الله في الارض
ياوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية

الباب الخا

الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعيه الصبر **وقال** ابو هريره يرفعه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما افضل من عبادة العابد في اهله مايه سنة او خمسون سنة وقال قيس ابن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة وقال مسروق لان اقضي يوما بالحق احب الي من ان اغزوا سنة في سبيل الله **وروي** ان سعد بن ابراهيم وابو سلمة ابن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب ابن شرحبيل ومحمد بن صفوان قال لسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت لقضا يوم بالحق افضل عند الله من صلاتك في عمرك وسيتضح لك صحة هذه الاقوال اذا وقفت على ما نالته الرعيه من الصلاح بصلاح السلطان **واعلم** ارشدك الله ان الانسان اعز جواهر الدنيا واعلاها قدرا واشرفها منزلة والسلطان صلاح الانسان فهو اعز اعلاق الدنيا واعمها بركة وكذلك خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الاخرة ثم كان بالسلطان العادل صلاح الدارين فاخلق بشخص يعم نفعه العباد والبلاد ويصلح بصلاحه الدنيا والاخرة ان يكون شرفه عند الله تعالى عظيما كما كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه العباد عميما وعلى قدر عموم المنفعه تشرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة الا ترى

ان الانبيا عليهم السلام اعم خلق الله نفعا فهم اجل خلق الله قدرا لانهم تعاطوا اصلاح الخلايق واخراجهم من الظلمات الى النور كذلك سلطان الله في الارض هو خلافة النبوة في اصلاح الخلايق ودعايهم الى فنا الرحمان واقامة دينهم وتقويم اودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك مقرب فاتخذ عظم قدر السلطان عندك حجة لله تعالى على نفسك وناصحة على قدر ما نفعك وليس نفعه مقصورا على عاجله من حطام الدنيا حبوك بها ولكن صيانة جمجمتك وحفظ حريمك وحراسة ما لك عن البغاة اعم نفعا لك ان عقلت وليس لله في الارض سلطان الا وقد اخذ عليه شرايط العدل ومواثيق الانصاف وشرايع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة الشرير الجاير رتبة لشرير لان شره يعم كما ان خير الاول يعم وكما ان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتنال الزلفا الى الله تعالى والفوز جنة المأوى كذلك بالسلطان الجاير تفسد البلاد والعباد ويقترف المعاصي والاثام ويورث دار البوار وكذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته فاقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين الحق فمات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق

فأرسلت السماء غياثها وأخرجت الأرض بركاتها ونمت تجاراتهم وزكت
زروعهم وتناسلت أنعامهم فدرت أرزاقهم ورخصت أسعارهم وامتلأت
أوعيتهم فواسى البخيل وأفضل الكريم وقضيت الحقوق وأعيرت المواعين
وتهادوا فضول الأطعمة والتحف فهان الحطام لكثرته وذل بعد عزته
فتماسكت الناس على مرواتهم وانحفظت عليهم أديانهم **وهذا**
يبين لك أن الوالي مأجور على ما يتعاطاه من إقامة العدل ومأجور
على ما يتعاطاه الناس بسببه وإذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد
وعم العباد فرقت أديانهم واضمحلت مرواتهم وفشت فيهم المعاصي
وذهبت أماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا
الباطل وبخسوا المكيال والميزان وزوجوا البهرج فرفعت منهم البركة
وأمسكت السماء غياثها ولم تخرج الأرض زرعها ونباتها فقل في أيديهم
الحطام فقنطوا وأمسكوا الفضل الموجود وتاجروا على المقصود فمنعوا
الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة وقبضوا أيديهم على
المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجاحدوا القدر الخسيس ففشت
فيهم الأيمان الحانثة الكاذبة والحيل في البيع والشرا والخداع في
المعاملة والمكر والحيلة في القضا والاقتضا فلا يمنعه من السرقة
إلا العار ومن الزنا إلا الحيا فيظل أحدهم عاريا من محاسن دينه متجردا

عن

عن جلباب مروته أكبر همته قوت دنياه وأعظم مسراته أكله من هذا
الحطام ومن عاش كذلك فبطن الأرض خير له من ظهرها **وقال**
وهب ابن منبه إذا هم الوالي بالجور أو عمل به أدخل الله النقص في
أهل مملكته وفي الأسواق والزرع والضرع وكل شيء وإذا هم
بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك
وقال عمر ابن عبد العزيز تهلك العامة بعمل الخاصة ولا
تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال
الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقال
الوليد بن هشام إن الرعية لتفسد بفساد الوالي وتصلح بصلاحه
وقال سفيان الثوري لأبي جعفر المنصور إني لأعلم رجلا إن
صلح صلحت الأمة قال ومن هو قال أنت وقال ابن عباس إن ملكا
من الملوك خرج يسير في مملكته مستخف بمكانه فنزل على رجل له بقرة
فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فعجب الملك لذلك
وحدث نفسه بأخذها فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف
فقال له الملك ما بال حلابها نقص أرعت في غير مرعاها بالأمس
قال لا ولكن أظن ملكنا هم بأخذها فنقص لبنها فإن الملك إذا
ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه في

نفسه ان لا ياخذها فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين بقرة فتاب
الملك وعاهد ربه لا عدلن ما بقيت **ومن المشهور** في
ارض المغرب ان السلطان بلغه ان امراة لها حديقة فيها القصب الحلو
وان قصبة منها تعصر قدحا فعزم على أخذها منها ثم اتاها وسالها عن ذلك
فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها اين الذي
كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان قد عزم على
أخذها مني فارتفعت بركتها فتاب السلطان واخلص لله نيته ان
لا ياخذها ابدا ثم امرها فعصرت قصبة فجات ملو قدح **وحدثني**
بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة
تحمل عشرة ارادب تمرا ولم يكن في الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها
السلطان فلم تحمل في ذلك العام شيا وقال لي شيخ من أشياخ الصعيد
أعرف هذه النخلة في الغربية تجي عشرة ارادب ستين ويبه وكان
صاحبها يبيعها في سنين الغلا كل ويبه بدينار **وقال**
الشيخ رحمه الله وشهدت أنا بالاسكندريه والصيد في الخليج مطلق
للرعيه والسمك فيه يعلي الما به كثير وتصيده الاطفال بالخرق ثم
حجر الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك منه حتى لا يكاد يوجد
منه الا الواحد بعد الواحد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سراير

الملوك وعزايمهم ومكنون سرايرهم الى الرعية ان كان خيرا فخيرا وان كان
شرا فشرا **وروي** أصحاب التواريخ في كتبهم قال كانوا الناس
إذا اصبحوا في زمان الحجاج فتلاقوا يتسالون من قتل البارحه ومن
صلب ومن جلد ومن قطع في امثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع
واتخاذ مصانع فكان الناس يتسالون في زمانه عن البنيان والمصانع
وشق الانهار وغرس الاشجار **ولما** ولي سليمن وكان صاحب
نكاح وطعام فكان الناس يتحدثون الاطعمة الرفيعة ويتوسعون
في الانكحة والسراري ويوسعون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولي عمر
ابن عبد العزيز كان الناس يتسالون كم تحفظ من القران وكم وردك
في كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتى يختم وكم تصوم من الشهر وامثال ذلك

الباب السادس في ان السلطان

مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح • اعلموا ارشدكم الله ان
خطر السلطان عظيم وبليته عامه وقد تطرقه من الافات وتحتوشه
من الامور المهلكات ما يجب على كل ذي لب أن يستعيذ بالله مما حمله
ويشكره على ما عصمه لا يهدي فكره لا تسكن خواطره ولا يصفوا قلبه
ولا يستقر لبه الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا
واحدا وهو يخاف الف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته واماله

صنعته وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع أهل مملكته وكلما
رتق فتقا من حواشي مملكته انفتق آخر وكلما رمّ منها شيئا رثّ آخر
وكلما قمع عدوا ارتصد له عدو إلى سائر ما يعانيه من الاخلاق الناس وتقاسيه
من خصوماتهم ونصب الولاة والقضاة وبعث الجيوش وسدّ الثغور
واستجبا الأموال ودفع المظالم ثم من العجب العجاب أن له نفسا واحدة
وانما يرزأ من الدنيا قوتها كما يرزأ آحاد الرعايا ثم يسأل غدا عن
جميعهم ولا يسألون عنه فيا لله ويا للعجب من رجل رضي أن ينال رغيفا
ويحاسب منها على الألف والآلاف ويأكل في معاء واحد ويحاسب
على الآف ألف معا ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب عن الآف ألف من
الأنفس وعلى هذا النمط في جميع أحواله يحمل أثقالهم ويريح أسرارهم ويجاهد
عدوهم ويسد ثغورهم ويدافع مساويهم ومناصبهم ويعصي ربه فيهم ويخالف
أمره ويركب نهيه من أجلهم ويقتحم جرائم جهنم على بصيرة فيهم ثم
تجدهم له قالين وعنه غير راضين ولولا أن الله تعالى يحول بين المرء
وقلبه لم يرض عاقل بهذه المنزلة ولا اختارها لبيب مرتبة وكلما
ذكرته في هذا الباب أحكمه النبي عليه السلام في كلمة فقال
ما لكم والأمر لكم صفوه وعليهم كدره ومثال
السلطان مع الرعية كالطباخ مع الأكلة له العناء ولهم المهنا

وله الحار ولهم العار طلب القوم الراحة فحصلوا على التعب طلب القوم
الراحة والنعيم فاخطؤوا الصراط المستقيم ومن هذا قالوا سيد القوم
أشقاهم وفي الحديث ساقي القوم آخرهم شربا وكان
بعض سلاطين المغرب يسير يوما وبين يديه الوزراء إذ نظر إلى جماعة
من التجار قال لوزيره أتحب أن أريك ثلاث طوايف طايفة لهم الدنيا
والآخرة وطايفة لا دنيا لهم ولا آخرة وطايفة دنيا بلا آخرة قال وكيف
ذلك أيها الملك فقال أما الذين لهم الدنيا والآخرة فهم هؤلاء التجار
يكسبون أقواتهم ويصلون صلواتهم ولا يؤذون أحدا وأما الذين
لا دنيا لهم ولا آخرة فهؤلاء الشرط والخدم والذين بين أيدينا وأما
الذين لهم الدنيا بلا آخرة فأنا وأنت ولسائر السلاطين فحق على جميع
الورى أن يمدوا السلطان بالمناصحات ويخصوه بالدعوات ويعينوه
في سائر المحاولات ويكونوا له أعينا ناظرة وأيدي باطشة وجفنا
واقية وألسنة ناطقة وقوادم منهضة وقوائم تقله وهيهات منه
السلامة وأنى له بالسلامة وعن هذا قال بعض
السلاطين يوما لأصحابه اعلموا أن السلطان والجنة لا يجتمعان وروي
عن بعض الخلفاء وأظنه عبد الملك أنه لما ولي الخلافة أخذ المصحف
ووضعه في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك وحدثني رجل

لهٗ قدر قال ارسل الى السلطان ان طلق امرأتك وكان قد ارادها
لبعض اصحابه فابيت ذلك وراجعت الرسل غير مرة فقال لي ناصحًا منهم
خذ الامر مقبلا فانه لا حيلة لك فان السلطان لا يخاف في الدنيا عارًا ولا
في الآخرة نارًا ففارقتها **وروي** عن عبد الملك بن مروان انه لما
ولي الخلافة اخذ المصحف ووضعه في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك
ولما حج هارون الرشيد لقيه عبد الله العمري في الطواف فقال له يا هرون
قال لبيك يا عم قال كم ترى ها هنا من الخلق قال لا يحصيهم الا الله عز
وجل فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وانت
وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هرون وجلس فجعلوا
يعطونه منديلا للدموع ثم قال له والله ان الرجل ليسرع في مال نفسه
فيستحق الحجر عليه فكيف بمن اسرع في مال المسلمين ويقال ان هرون
كان يقول والله اني لاحب ان احج كل سنة ما يمنعني الا رجل من ولد
عمر يسمعني ما اكره **وقال** ملك ابن دينار قرأت في بعض
الكتب القديمة يقول الله تعالى من احمق ممن اطاع السلطان ومن
أجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايا راعي السوء دفعت اليك
غنمًا سمانًا صحاحًا فاكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت
بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظامًا تتقعقع ۝

الباب السابع

الباب السابع في

كون السلطان في الأرض ۞ إعلموا ان في وجود السلطان في
الأرض حكمة الله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة لان الله تعالى
جبل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان
مثل الحوت في الماء يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر
لم ينتظم لهم امر ولم يستقم لهم معايش ولم يتهنوا بالحياة ولهذا قال
بعض القدماء لو رفع السلطان من الأرض ما كان لله في اهل الأرض من
حاجة **ومن الحكم** التي في اقامة السلطان انه من حجج الله
تعالى على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده لانه كما انه لا يمكن
استقامة امر العالم واعتداله بغير مدبر منفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم
وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقايق الصنعة بغير خالق خلقه
وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لم يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم
إلاهان للعالم والعالم باسره في سلطان الله كالبلد الواحد في يد
سلطان الأرض ولهذا **قال** علي رضي الله عنه امران
جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد ولا يصلح الاخر الا بالمشاركة وهما
الملك والراي فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الراي بالتفرد به
ومثال السلطان القاهر للرعية ورعيته بلا سلطان مثال بيت

فيه سراج منير وحوله قيام من الخلق يعالجون صنايعهم فبينما هم كذلك
طفي السراج فقبضوا ايديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان
الشرير وخشخش الهوام الحشيش فدبت العقرب من مكمنها وفسقت
الفار من جحرها وخرجت الحية من معدنها وجا اللص بحيلته وهاج
البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطالت فيهم المضار
كذلك السلطان اذا كان قاهرا لرعيته كانت المنفعة به عامة
فكانت الدما في اهلها محقونة والحرم في خدورهن مصونة والاسواق عامرة
والاموال محروسة والحيوان الفاضل ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان
الشرير من اهل الفسوق والدعارة خامل واذا اختل من السلطان دخل الفساد
على الجميع ولو جعل ظلم السلطان حولا في كفة ثم جعل فساد الرعية وظلمهم
وهرجهم في ساعة واحدة اذا اختل امر السلطان في كفة كان هرج
ساعة اعظم وارجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفي زوال السلطان
او ضعف شوكته سوق اهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق اهل العيارة
والسرقة واللصوص والمباهية وقال الفضيل جور ستين
سنة خير من هرج سنة فلا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور
او فاسق يتمنى كل محذور فحقيق على كل رعية ان يرغب الى الله تعالى
في صلاح السلطان وان يبذل له نصحه ويخصه بصالح دعايه فان في

صلاحه

صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساده فساد العباد والبلاد وكان
العلما يقولون ان استقامت لكم امور السلطان فاكثروا حمد الله وشكره
فان جاكم منه ما تكرهونه وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه
باثامكم واقيموا عذر السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده
من ضبط جوانب المملكة واستيلاف الاعدا وارضا الاوليا وقلة الناصح
وكثرة المدلس والطامع وفي كتاب التاج هموم الناس صغار وهموم
الملوك كبار والباب الملوك مشغولة بكل شي والباب السوقة مشغولة
بايسر شي والجاهل منهم يعد رغبته عند ما هو من الرسله ولا يعذر
سلطانه مع شدة ما هو عليه من المونه من هناك يعز الله بسلطانه
ولين شده ويبصر على هذا قالت حكما العجم لا توطنن الا بلدا فيه
سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قايمة وطبيب عالم ونهر جار

الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره

قالت حكما العرب والعجم مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث
الذي هو سقيا الله وبركات السما وحياة الارض ومن عليها وقد يتادى
به المسافر ويتداعى له البنيان ويكون فيه الصواعق ويدر سيوله فيهلك
الناس والدواب والدخاير ويموج له البحر فتشتد بليته على اهله فلا
يمنع ذلك الخلق اذا نظروا الى اثار رحمة الله في الارض التي احيا بها النبات

الذي اخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر أن يعظموا نعمة
ربهم ويشكروها ويلغوا ذكر خواص الأدية التي دخلت على خواص
الخلق ومثاله ايضا مثل الرياح التي يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته
فيسوق بها السحاب وجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد يتنسمون
منها ويتقلبون فيها وتجري فيها مياههم وتتقد بها نيرانهم وتسير بها في
البحر افلاكهم وقد تضر كثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص
الى انفسهم فيشكونها الشاكون وقد يتاذى بها كثير من الناس فلا يزيلها
ذلك عن منزلتها من قوام عباده وتمام نعمته ومثاله ايضا مثال الشتا
والصيف الذي جعل الله تعالى في حرهما وبردهما علاجا للحرث والنسل
ونتاجا للحب والثمر وجمعهما البرد باذن الله ويخرجهما الحر باذن الله
فتصبح على اعتدال الى غير ذلك من منافعها وقد يكون الأذى في
حرهما وبردهما وسمايمهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان الا
الى الخير والصلاح وقد عم صلاحهما أذيتهما **ومثاله**
ايضا مثال الليل الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة
وسباتا وقد يستوحش له اخوا الفقر ويسارع فيه اهل الدعارة والفساد
واللصوص وتعدوا فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات الحمة والسموم
القاتله ثم لا ينس العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يدري صغير ضرره

بكبير

بكبير نفعه **ومثاله** ايضا مثال النهار التي جعله الله ضيا ونشورا
واكتسابا وانتشارا وقد يكون فيه الحروب والغارات والتعب
والنصب والشخوص والخصومات فتستريح الخلق فيه الى الليل ثم لم
ينس العباد نعمة الله عليهم فيه وهكذا كل جسيم من امور الدنيا يكون
ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شي يكون نفعه خاصا
فهو بلا عام ولو كانت نعم الله صفوا من غير كدر وميسورها من غير
معسور لكانت الدنيا هي الجنة التي لا نصب فيها ولا تعب وقال الشاعر

لا ترج شيا خالصا نفعه فالغيث لا يخلو من العيب

الباب التاسع في منزلة السلطان

من الرعية اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من
الجسد فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وجرت
في جميع اجزا الجسد فأمن الجسد من الغير واستقامت الجوارح والحواس
وانتظم امر الجسد وان تكدرت الروح او فسد مزاجها فاوجع الجسد
فيسري الى الحواس والجوارح كدورة منحرفه عن الاعتدال فاخذ كل
عضو او حاسه بقسطه من الفساد فمرضت الجوارح وتقطعا فتعطل
نظام الجسد وجري الى الفساد والهلاك. **ومثال السلطان**
ايضا مثال النار ومثال الخلق مثال الحطب فما كان منها معتدلا لم يحتج

الي النار وما كان منها معوجا احتاج الي النار ليقام اوده ويعدل عوجه
فان افرط النار احترق الخشب قبل ان يستقيم اوده وان قصر النار لم يكن
الخشب لقبول الاعتدال فيبقى معوجا وان كانت النار معتدلة اعتدل
الخشب كذلك السلطان في اطواره ان افرط اهلك الخلق وان فرط لم
يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا **ومثاله** ايضا مثال عين جاريه
في الارض خوارة فكان جلا مشربه وعذب طعمه وسلمت من الكدورة
والفساد اوصافه فتخلخل الارض فابتلعته صافيا صرفا ثم شربته عروق
الاشجار فاعتدلت كذلك فغلظ سوقها وفرعت اغصانها وامتدت افنانها
ثم اخرجت اوراقها وابرزت ازهارها ثم قذفت ثمراتها فجاءت على اتم
طبيعتها كثرة وطعما ولونا ورايحة فتقوت بها العباد واكلت حظوظها
البهايم والحشرات وسقط عليها الطير واحرز كل واحد منها قوته ودام
النظام وان كان في حواشي الارض ما تروق عن الانبات والنفع ويكري
عن الذكاة والريع او كان فيه من الشجر ما يبرز حمله ويقل ريعه
اعطى كل ذلك الغاية من نفسه واطلع ما في قواه ولم يغادر ممكنا
الا وفاه وان كان في العين كدرا وفسادا او ملحا شربتها الاشجار
كذلك فيفسد مزاجها واظهر الجز الفاسد بالطبيب فدقت سوقها
وصفقت اغصانها وتغيرت اوراقها ودقت ازهارها وثمارها ودخل

الفساد

الفساد على جميع ذلك فجات الثمر نزرا قدرها رديّ طعمها كاسف لونها
فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل من المنافع عليهم
في الاولى ولهذا قال الرسول عليه السلام ان الحشرات لتموت في جحرها
هزلا بذنب ابن ادم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السما
غياثها ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والدواب والحشرات

الباب العاشر في امور

وردَ الشرع بها فيها نظام الملك والدول وهي ثلاثة اشيا اللين وترك
الفظاظة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغب فيها
ولا طالب لها ولما علم الله سبحانه ما فيها من انتظام امر الملة واستقامة
الامر نص عليها الله ورسوله **اعلم** ان هذه الخصال
من اساس الممالك وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان نزلتا من السما وواحدة
قالها الرسول عليه السلام اما الايات الالاهية فقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف
عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وفي الاية اشارتان احداهما
ان الفظاظة تنفر الاصحاب والجلسا وتفرق الجموع والحشم وانما الملك
يملك بجلسايه واصحابه وحشمه واتباعه فاخلق بخصلة تنفر الاوليا ان
تطمع الاعدا فتعين بكل ذي سلطان رفضها والاحتراز من سو مغبتها

وليكن كما قال الله سبحانه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
وروي ان النبي عليه السلام كان جالسا مع اصحابه فجا رجل فقال
أيكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الأبيض المتكي فقال الرجل يا ابن عبد المطلب
فقال النبي عليه السلام قد اجبتك دل الاثر علي انه الامر ما استاثر بشرف
المجلس ولا يا تيهم بري ولا مقعد وقد يبلغ باللين ما لا يبلغ بالفظاظة
ألا ترى ان الرياح يهول اصواتها فتداخلها الشجر وتعطف الافنان
والاغصان وفي العرط تكسر الاغصان والما يلينه في اصول الشجر تقلعها
من أصلها واذا كانت الحية مع صعوبتها وسمها وتغيبها في جحرها
ترقى بالكلام حتى تستعطف فتخرج فالانسان أحري ان يستها ل بلين
القول وحسن المنطق وإذا اردت ان تنتقم ممن يسي اليك فكافه بكل
كلمة سوء قالها كلمة جميلة وحسن ثنا عليه والاشارة الثانية انه قال
وشاورهم في الامر فاذا قيل لنا كيف يشاورهم وهو نبيهم وامامهم
فواجب عليهم مشاورته وان لا يفصلوا أمرا دونه قلنا هذا ادب ادّب
الله به نبيه عليه السلام وجعله مادبة لساير الملوك والامرا والسلاطين
لما علم الله سبحانه ما في المشاورة من حسن الأدب مع الجليس ومساهمته
في الامور وان نفوس الجلسا والنصحا والوزرا تصلح عليه وتميل اليه
وتخضع عنده بين يديه شرعة لنبيه عليه السلام ولذوي الامره
من

من أهل ملته الا ترى ان النبي عليه السلام كان في غزاه فامرهم بالنزول
فقال له سعد يا رسول الله ان كان هذا بأمرك فسمع وطاعه وان
يك علي غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا
ومن اقبح ما توصف به الرجال ملوكا كانوا أو سوقه الاستبداد بالراي
وترك المشاورة وسنعقد للمشاورة بابا ان شا الله تعالى والخصلة الثالثه
ما روي البخاري ومسلم وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال
النبي عليه السلام انا لا نستعمل علي عملنا من اراده والسر فيه ان الولايات
امانات وتصرف في أرواح الخلايق وأموالهم والتسرع الي الامانه دليل
علي الخيانه وانما يخطبها من يريد اكلها واذا اؤتمن خاين علي موضع الامانات
كان كمن استرعي الذيب والغنم ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا
علي ملوكها لانه إذا اهتضمت حقوقهم وأكلت اموالهم فسدت
نياتهم واطلقوا ألسنتهم بالدعا وذكروا ساير الملوك بالعدل والاحسان
فكانوا كالبيت الذي انشدناه اولا **وهو**

ورا عي الشاة يحمي الذيب عنها فكيف اذا الذياب لها رعا

وإذا خان اهل الامانات وفسد أهل الولاة كان الامر كما قال الأول

بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح ان حلت به الغير

وقال اخر ذيب تراه مصليا فاذا مررت به ركع يدعو وجل

ذعاية ما للفريسة ما تنقع ؛ عجل بها يا ذا العلا ان الفؤاد قد انقطع ؛

ومن أشراط الساعة التصدي للامانه وخطبة الولايه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانه مغنما فحينئذ يدعوا عليه الضعيف واهل الصلاح وتقعد له بالمرصاد الشرير وخامر عليه القوي وقبح ثناه عند الجماعة وتمنوا الراحة منه ونظروا امن يصلح لها سواه ؛

الباب الحادي عشر

في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها

فاول الخصال واحقها بالرعاية العدل التي هي قوام الملك ودوام الدول ورأس كل مملكة سوا كانت نبوية او اصلاحية اعلم ارشدك الله ان الله تعالى امر بالعدل ثم علم سبحانه انه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتا ذي القربى فلو وسع الخلق العدل ما قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزاد على العدل فكيف يصلح اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله في الارض الذي به يوخذ للضعيف من القوي والمحق من المبطل وليس موضع الميزان بين الرعية فقط بل بين السلطان والرعية ايضا فمن ازال ميزان الله الذي وضعه في

القيامة

القيامة بالقسط فقد تعرض لسخط الله واعلم ايها الوالي ان الملك بمنزلة رجل فراسه انت وقلبه وزيرك ويداه اعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك وما بقا جسد بلا روح واذا اردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة انفس كبير وصغير ووسط فاجعل كبيرهم ابا واوسطهم اخا وصغيرهم ابنا فبر اباك واكرم اخاك وارحم ابنك فانك واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورحمته واعلم ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه وعدل الملك حياة رعيته وفي منثور الحكمة سلطان جاير اربعين يوما خير من رعية مهملة ساعة واحدة من النهار اذا عدل السلطان فيما قرب منه وصلح له ما بعد عنه فضل الملوك في الاعطاء وشرفها في العفو وعزها في العدل ؛ عزة السلطان ثلاثة مشاورة الفصحا وثبات نيات الاعوان واقامة سوق العدل افضل الازمنه ازمنة ايمة العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم الاهي جات به الرسل والانبيا عليهم السلام عن الله تعالى والثاني ما يشبه العدل وهو السياسة الاصطلاحيه التي هرم عليها الكبير ونشا عليها الصغير وبعيد ان يبقى سلطان او تستقيم رعيته في حال ايمان او كفر بلا عدل قيم وعدل بلا تدبير قايم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك ما لا يجوز ولا يمكن قيل

أرسل ملك الروم قيصر الى كسرى كتابا يساله بماذا دام لكم الملك فكتب
جوابه دام لنا الملك بست خصال أولها بأننا ما هزلنا في امر ونهي ولا
كذبنا في وعد ولا وعيد ولا قابلنا الا على قدر الذنب لا على قدر غضبنا
واستخدمنا ذوي العقول ووليّنا ذوي الاصول وفضلنا على الشباب
الكهول قال فلما قرا الكتاب قام وقعد وقال يحق لمن كانت هذه
سياسته ان تدوم له رياسته وقد ذكرنا في اول الكتاب
ان سليمان ابن داود عليه السلام سلب ملكه حين جلس الخصمان بين يديه
وكان لاحدهما خاصة بسليمن فقال في نفسه وددت ان يكون الحق
لخاصتي فاقضي له فسلبه الله ملكه وقعد الشيطان على كرسيه
فاجعل العدل راس سياستك فتسقط عنك جميع الافات المفسدة للسياسة
ويقوم لك جميع الشرايط التي تقوم بها المملكه وقال
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم
خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم وقال ابن
مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر وان كان
جايرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان ابن داود الرحمة والعدل
يحرزان الملك واتفق حكما العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك
بنا والجند اساسه فاذا قوي الاساس دام البنا وان ضعف الاساس

انهار

انهار البنا ولا سلطان الا بجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجبايه
ولا جبايه الا بعماره ولا عماره الا بعدل فصار العدل اساسا لساير
الاساسات فاما العدل النبوي فجملة القول فيه ان يجمع السلطان الى
نفسه حملة العلوم الذين هم حفاظه ورعاته وفقهاؤه وهم الادلا
على الله والقايمون بامر الله والحافظون لحدود الله والناصحون لعباد
الله وقال ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال ان الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولايمة المسلمين
وعامتهم فاتخذ ايها الملك العلما شعارا والصالحين دثارا فتدوم المملكة
بين نصايح العلما ودعوات الصلحا واخلق بملك يدوم بين هاتين
الخصلتين ان يقوم عموده ويطول امده وكيف لا وقد قرنهم الله في
سلطانه واصطفاهم بخالصة معرفته فقال جل من قايل شهد الله انه لا اله
الا هو والملايكة واولوا العلم فبدا بنفسه وثنا بملايكته وثلث
باولي العلم وهم ورثة الانبيا عليهم السلام والمتفقهون عن الله تعالى
لان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ففي تعظيمهم
وتعزيرهم وتوقيرهم امتثال لامر الله وتعظيم لمن اثنى الله عليه وحب
ترفيع مجالسهم وتمييز مجامعهم على من سواهم قال الله تعالى يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وفيه اسما له قلوب

الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته وتوقيره فواجب
على السلطان أن لا يوقع امرا دونهم ولا يفصل حكما الا بمشاورتهم
لانه في ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف واقل الواجبات على
السلطان ان ينزل نفسه مع الله تعالى في منزلة ولاته معه اليس اذا
خالف واليه امره وما رسم له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يأمن
سطوته واذا امتثل اوامره وازدجر عن زواجره حل منه محل الرضى فلا
عجبا على من يغضب على واليه اذا خالفه ثم كيف لا تخاف سطوة
ربه عليه اذا خالفه فهذا طريق اقامة العدل الشرعي والسياسة
الاسلامية الجامعة لوجوه المصلحة الاخذة لازمة التدبير السالمة
من العيوب الممهدة لاستقامة الدنيا والدين وكما ان الملك الحازم
لا يتم حزمه الا بمشاورة الوزرا الاخيار كذلك لا يتم عدله الا باستفتا
العلما الابرار **وقد** وقع المامون في قصة متظلم ابن عمرو بن
مسعدة يا عمرا عمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها وفي اشاعة العدل
قوة القلب وطيبة النفس ولزوم اليقين وامان من العدو **ولما**
استاذن الهرمزان على عمر ابن الخطاب ولم يجد عنده حاجبا ولا بوابا
فقيل له هو في المسجد فاتا المسجد فوجده مستلقيا متوسدا كوما من
الحصبا ودرته بين يديه فقال له عدلت فامنت فنمت وقال

الحسن

الحسن رايت عثمان ابن عفان رضي الله عنه وقد جمع الحصبا في مسجد النبي
عليه السلام عند راسه وقد وضع احدى جانبي رداه عليه وهو يومئذ
امير المومنين ما عنده احد من الناس ودرته بين يديه **وكتب**
عامل حمص الى عمر ابن عبد العزيز ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت
الى الاصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور والسلام
وقالت الحكما من حرم علم العدل فلا خير له ولا للناس في سلطانه وقال
يحيى بن اكثم ماشيت المامون في بستان والشمس عن يساري والمامون
في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس ايضا علي فقال لي المامون تحول
مكاني واتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت واقيك الشمس
كما وقيتني فان اول العدل ان يعدل الرجل في بطانته ثم الذين
يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى فعزم علي فتحولت مكانه وكان يقال
ليس شي ابعد من بقاء ملك الغاصب **وقيل** للاسكندر
لو اكثرت من النسا حتى يكثر نسلك ويحيى ذكرك فقال انما يحيى الذكر
الافعال الجميلة والسنن الحميدة ولا يحسن بمن يغلب الرجال ان يغلبه
النسا وقال الحكيم من اتخذ العدل سنة كان له احسن جنة ومن استشعر
خلة العدل استكمل رتبة الفضل وقال ابو عبيدة ابن عبد الله ابن
مسعود ان الامام العادل ليسكت الاصوات عن الله تعالى وان الامام

الجابر لتكثر منه الشكاة الى الله تعالى **وقال** الحكيم لا
يزال السلطان ممهلاً حتى يتخطا الى اركان العمارة ومباني الشريعة
فحينئذٍ يزيح الله منه وقالوا لا تظلمن الضعفا فتكون من ايام الاقويا
وقال بعض الحكما امير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا
ورع كارض بلا نبات وشاب بلا توبه كشجرة بلا ثمر وغني بلا
سخا كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضو وامراة بلا حيا
كطعام بلا ملح **وقال** كسرى اتفقت ملوك العجم
على اربع خصال ان الطعام لا يوكل الا عن شهوة والمراه لا تنظر الا الى
زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل
واحق الناس باجبار نفسه على العدل عدل الملوك الذين بعدلهم يعتدل
من دونهم والذين اذا قالوا وفعلوا كان نافذاً غير مردود وقال
بعض الحكما رُم ما شيت بالانصاف وانا زعيم لك بالظفر به والظلم
اعيا شي الى تغيير نعمه وتعجيل نقمه **وقال** الحكيم شر الزاد
الى المعاد الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدوان على العباد
ومتى اراد السلطان بعد الصيت وجميل الذكر فليقم سوق العدل
وان احبها الزلفى عند الله وشرف المنزله عنده فليقم سوق العدل
وان احبهما جميعاً فليقم سوق العدل والذي يخلد به ذكر الملوك على غابر

الدهور

الدهور عدل واضح او جور فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له
اللعنة **فصل** واما القسم الثاني من العدل وهو
السياسة الاصطلاحية وان كان اصلها على الجور فيقوم بها امر الدنيا
وكانها تشاكل مراتب الانصاف على نحو ما كانت عليه ملوك الطوايف
في ايام الفرس وكانوا كفاراً بالله يعبدون النيران ويتبعون هواجس
الشيطان فتواضعوا بينهم سنناً واسسوا لهم احكاماً واقاموا لهم
مراتب في النصفه بين الرعايا واستجبا الخراج وتوظيف المكوس على
التجارات كل ذلك بعقولهم على وجوه ما انزل الله بها من سلطان ولا نصب
عليها برهان سدانه لما جات الشريعة من عند الله سبحانه على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم صاحب المعجز محمد عليه السلام فمنها ما اقربه في نصابه
ومنها ما نسخته وابطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى امر الله سبحانه
والحكم بما انزل الله وبطل ما سواه فكان ملكهم محفوظاً برعايتهم
للقوانين المالوفة بينهم فما نقطع بذلك حبل الهمل وكانوا يقيمون بها
واجب الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم وعن هذا كان يقال
ان السلطان الكافر الحافظ لشرايط السياسة الاصطلاحية ابقى
واقوى من السلطان المومن العدل في نفسه المضيع للسياسة النبوية
العدلية والجور المرتب ابقى من العدل المهمل اذ لا شي اصلح لامر السلطان

من ترتيب الامور ولا شي افسد له من اهمالها واعلم ان درهما يوخذ
من الرعية على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا افسد لقلوبها
من عشرة يوخذ منها بسياسة على زمام معروف ورسم مالوف وان كان
جورا فلا يقوم السلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفر الا باقامة
العدل النبوي او ما يشبه العدل من الترتيب الاصطلاحي وقال
ابن المقفع الملوك ثلاثة ملك دين وملك حرص وملك هوي فاما ملك الدين
فانه اذا اقام لاهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط
فيهم بمنزلة الراضي واما ملك الحرص فيقوم له الامور ولا يسلم من الطعن
والسخط ولم يضر طعن الذليل مع حرص القوي واما ملك الهوي فغلب
ساعة ودمار دهر **ولقد** بلغنا ان ملكا من ملوك الهند نزل
به صمم فاصبح مسترجعا مهتما بامور المظلومين وانه لا يسمع استغاثتهم
فامر منادية ان لا يلبس احد في مملكته ثوبا احمر الا مظلوم وقال
لان منعت سمعي لم امنع بصري فكان كل من ظلم لبس ثوبا احمر
ووقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال شيخنا واخبرني ابو
العباس الحجازي وكان ممن دخل الصين بسنن عجيبة غريبة لملوكها
في سياستهم وذلك ان البيت الذي يكون فيه الملك فيه ناقوسا موصولا
بسلسلة وطرف السلسلة في خارج الطريق وعليها امنا للسلطان حفظها

فياتي

فياتي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيامر
بادخال المظلوم فكل من حرك السلسلة تمسكه تلك الحفظة حتى تدخل به على
السلطان

الباب الثاني عشر

في التنصيص على الخصال التي زعم الملوك انها ازالت دولتهم وهدمت
سلطانهم ● ايها الملك احرص كل الحرص ان تكون خبيرا بامور
عمالك فان المسيء يفرق من معرفتك به قبل ان تصيبه عقوبتك والمحسن
يستبشر بعلمك به قبل ان ياتيه ثوابك قال ابو جعفر المنصور ما زال امر
بني امية مستقيما حتي افضي امرهم الي ابنايهم المترفين وكانت همتهم
من عظيم شان الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار اللذات والدخول
في معاصي الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله وامنا لمكره فسلبهم
الله العز ونقل عنهم النعمة قال عبيد الله بن مروان هذا هو المعروف
بمروان الحمار وهو اخر ملوك بني امية قتل في ارض مصر في اكرم بوصير
قال لما زال ملكنا وهربت الي ارض النوبة فيمن اتبعني من اصحابي
فسمع ملك النوبة خبري فجاني فقعد على الارض ولم يقعد على فراش
افترشته فقلت له الا تقعد على ثيابنا قال لا قلت ولم قال لاني ملك وحق
على كل ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفعه فقال لي لم تشربون
الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطون الزرع بدوابكم والفساد

محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الديباج والحرير
وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انتصارنا فانتصرنا بقوم من
الاعاجم دخلوا دِيننا ولنا عبيد واتباع ففعلوا ذلك على كره منا فاطرق
مليا يقلب كفيه وينكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم
استحللتم ما حرم الله عليكم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم العز بذنوبكم
فأحل الله فيكم نقمته ولم تبلغ غايتها واخاف ان يحل عليكم العذاب
وانتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاثا فتزودوا ما احتجتم
اليه وارتحلوا عن بلدي **وسئل** ابن زجمهر ما بال الملك
آل ساسان صار الى ما صار اليه بعد ما كان فيه من قوة السلطان
وشدة الأركان فقال ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال
وعن هذا قالت الحكما موت الف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد
من السفلة وفي الامثال زوال الدول باصطناع السفل **قال**
الشافعي اظلم الناس لنفسه اللئيم الذي اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر
معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل وسئل بعض
الملوك بعد زوال ملكه ما الذي سلبك ما كنت فيه قال دفع
عمل اليوم الى غد والتماس عدة بتضييع عدد **وسئل**
ملك بعد ذهاب ملكه ما الذي سلب ملكك فقال باعطا ابطر

واضغن

واضغن وكفي عمل اليوم الى غد **وسئل** ايضا بعض الملوك بعد
سلب ملكهم ما الذي سلب ملككم وهدم عزكم فقال شغلتنا الدنيا
عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فآثروا مرافقهم علينا وظلم عمالنا
رعايانا فانفسدت نياتهم لنا وتمنوا الراحة منا وحمل على اهل خراجنا فقل دخلنا
وبطل عطا جندنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان
اعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا وقالت الحكما اسرع الخصال
في هدم السلطان واسرعها في افساده وتفريق الجمع عنه اظهار المحاباة لقوم
دون قوم والميل الى قبيلة دون قبايل فمن اعلن حب قبيلة فقد عدي من
قبايل وقد يما قيل المحاباة مفسدة **وقال** مهيرد المريدان
من زوال السلطان بقرب من ينبغي ان يباعد ومباعدة من ينبغي ان
يقرب فحينئذ حان اوان الغدر وقيل لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي
اذهب ملككم قال ثقتي بدولتي واستبدادي بمعرفتي واعفالي
عن استشارتي واعجابي برأيي واضاعتي الحيلة في وقت حاجتي والتاني
عند عجلتي ولما احيط بمروان الجعدي وهو آخر ملوك بني امية قال
يا لهفاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه
نسيل وكان من اولاد اشراف الروم من اغفل الصغير حتى يكبر والقليل
حتى يكثر والخفي حتى يظهر اصابه مثل هذا **وسئل** بعض العلما

ما الذي اذهب ملك بني مروان فقال تحاسد الاكفاء وانقطاع الأخبار وذلك
ان يزيد بن عمر كان يحب ان يضيع نصر بن سيار وكان لا يمده بالرجال
ولا يرفع إلى السلطان ما يورد عليه من أخبار خراسان فلما راى ذلك
نصر بن سيار قال هذه الأبيات

اري خلل الرماد وميض نار • فيوشك ان يكون لها ضرام

وان النار بالعودين تذكا • وان الحرب اولها كلام

فقلت تعجبا يا ليت شعري • أأيقاظ امية ام نيام

وكان العباسيون يوسوسون لدولتهم ولا تصل اخبارهم الى
سلطان بني امية حتى استفحل امرهم وضعف بني امية

الباب الثالث عشر في الخصال

التي زعم الحكما انه لا يدوم معها مملكة ومن اعجب العجايب دوام
الملك مع الكبر والاعجاب • اعلموا ان الكبر والاعجاب يسلبان
الفضايل ويكسبان الرذايل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون
بالفضيلة والمتكبر يحل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله
عن استزادة المتادبين وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول
التاديب فالكبر يكسب المقت ويمنع من التالف فكل كبر ذكره
الله في القرآن مقرون بالشرك ولذلك قال النبي عليه السلام للعباس

انهاك

انهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله يغضب منهما وقال ازدشير
ابن تابك ما الكبر الا فضل حمق لم يدر صاحبه اين يذهب به فصرفه الى
الكبر وقال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الا من ذلة يجدها في
نفسه ولم تزل الحكما تتحاما الكبر وتالف منه وقال الشاعر

فتا كان عذب الروح لا من غضاضة • ولكن كبرا ان يقال له كبر

ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب فقال وددت اني مثلك في ظنك وان
اعدائي مثلك في الحقيقة قالت الحكما وقد يدوم الملك مع معظم النقايص
فرب فقير ساد قومه ورب احمق راس عشيرته منهم الأقرع بن حابس
الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الأحمق المطاع قالوا ولا
يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة واعظم من ذلك
ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تلك الدار الآخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد ومنعا من
دخول الجنة فقال عز وجل سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في
الأرض وتلى بعض العلما الكبار هذه الاية فقال اللهم انك تعلم اني
لا احب الفساد في الأرض واما العلو فلا يكاد احد يسلم منه وقال
تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الأرض فقال بعض الحكما

ما رايت متكبرًا قط الا تحول داوه فيّ يعني اني اتكبر عليه **وَاعلم** ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن ابغضته بطانته كان كمن غص بالماء ومن كرهه الحماه تطاولت اليه الاعدا وامّا الاعجاب فيحمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا يقوم معها للمملكة الكذب والغدر والخبث والجور والسخف وقد قالت حكما العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كاذبا لم يوثق بوعده ولا بوعيده فلم يرج خيره ولم يخف سطوته ولانها السلطان لا يرهب وقالت الحكما خراب البلاد وفساد العباد مقرونات بابطال الوعد والوعيد من الملوك والكذب اسقط الاخلاق واغلب شي على صاحبه واحرا ان لا ينزع عنه لضراوته **قيل** لاعرابي لم تكذب فقال لو تغرغرت به ما تركته وهو نوع من الفحش وضرب من الدناة واصله استعذاب المني وهو استضعاف فكر الحمقي ومن بليته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره واذا سمعت كذبة طائحة نسبت اليه **قال الشاعر**

حسب الكذوب من المهانة بعض ما يحكى عليه
واذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه

وقال غيره

وَقَال غيرُه

لي حيلة فيمن ينم وليس لي في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليله

وقال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وامّا الحسد فانه اذا كان حسودا لم يشرف احدا واذا اضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح الناس الا على اشرافهم لا يصلح الناس فوضى لا سراه لهم ولا سواه اذا جهالهم سادوا وامّا البخل فاذا كان بخيلا لم يناصحه احد ولا تصلح الولاية بالمناصحة وليس للملك ان يبخل لان تموت الاموال في يده وامّا الجبن فانه اذا كان جبانا اجترا عليه عدوه وضاعت ثغوره واذا كان حديدا اعضوبا اثم وعجل والقدرة من وراه هلكت رعيته وليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراحاجته **وَلمّا** دخل اسقف حران على مصعب ابن الزبير ضرب وجهه بالقضيب فادماه فقال الاسقف ان شا الامير اخبرته بما انزل الله على عيسى عليه السلام فقال لا ينبغي للامام ان يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم ولا جائرا ومنه يلتمس الحلم والعدل وقال الاوزاعي يهلك السلطان بالاعجاب والاحتجاب فامّا الاعجاب فقد ذكرناه وامّا الاحتجاب فهي اوحى الخلال في هدم السلطان واسرعها خرابا للدول فانه اذا احتجب السلطان فكانه قد مات لان الحجبة موت حكمي فبعثت بطانته في ارواح

الخلايق وحريمهم واموالهم لان الظالم قد امن ان لا يصل المظلوم الى السلطان
ومعظم ما رايناه في اعمارنا وسمعنا عن من سبقنا من دخول الفساد على الملوك
في حجبهم عن مباشرة الامور ولا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا
الى سلطانهم فاذا احتجب فهنالك السلاطين كثيرة يا ايها الملك المغرور
احتجبت عن الرعية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم جبال مشيدة
وحطا بالحجارة والما والطين ما نعه وباب الله مفتوح للسايلين
ليس هناك حاجب ولا بواب قال الله تعالى الا من شا اتخذ الى ربه
سبيلا وقال معاويه ليس بين ان يملك السلطان رعيته
او يملكه الا الحزم والتواني وكما له امران شده في غير افراط
ولين في امتهان وسيل بزرجمهر اي الملوك احزم فقال من ملك جده
هزله وقهر لبه هواه واعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه
عن سخطه ولا غيظه عن كيده وقال بعض الحكما زوال
الدول في اصطناع السفل ومن طال عداوته زال سلطانه وقالوا
من لم يستظهر باليقظه لم ينتفع بالحفظه وقال يحيى ابن خالد اخر ما وجدت
في طراز الحكم من البلاغة البخل والجهل مع التواضع خير من العلم
والسخا والحلم مع الكبر فيا لها حسنة غطت سيئتين .
ويا لها سيئة غطت على حسنتين

الباب الرابع عشر في الخصال المحموده

وقد اتفقت العلما والحكما عليها ايها الملك ان قصرت قوتك عن عدول
فتخلق بالاخلاق الجميلة التي ليس لعدوك فيها فانها انكا فيه من الغارات
الشعوا وقال معاوية لصعصعه ابن صوحان صف لي عمر
بن الخطاب فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من الكبر
قبولا للعلم سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف
غير محاب للقوي ولا جاف للغريب وقالوا المنفعه توجب المحبة والمضرة
توجب البغضه والمضاره توجب العداوة والمتابعه توجب
الالفه والصدق يوجب الثقه والامانه توجب الطمانينه والعدل
يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقه وحسن الخلق يوجب
المودة وسو الخلق يوجب المباعده والانبساط يوجب المؤانسه
والانقباض يوجب الوحشه والكبر يوجب المقت والتواضع
يوجب المقه والجود يوجب الحمد والبخل يوجب المذمه والتواني
يوجب التضييع والجد يوجب رجا الاعمال والهوسا يوجب
الحسن والحزم يوجب السرور والتغرير يوجب الندامه والجود
يوجب الغدد واصابة التدبير يوجب بقا النعمة وبالتاني تسهل .
المطالب وبلين كرم المعاشرة تدوم المودة وبخفض الجانب

تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانه توجب
التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبه وبعدل المنطق تجب الجلاله
وبالنصفه تكثر المواصله وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق
تزكوا الاعمال وباحتمال المون يجب السودد وبالحلم عن السفيه تكثر
انصارك عليه وبالرفق والمودة يستحق اسم الكرم وبترك مالا يعنيك
يتم لك الفضل واعلم ان السياسه يكسب اهلها المحبة والفظاظه تخلع
صاحبها ثوب القبول ومن صغر الهمه الحسد للصديق على النعمة والنظر
في العواقب نجاه ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن
خاف حذر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع
هواه ظل ومع العجلة تكون الندامه ومع التأني السلامه زارع
البر يحصد السرور صاحب العاقل مغبوط صديق الجاهل تعب اذا جهلت
فاسل واذا زللت فارجع واذا اسات فاندم واذا ندمت فاقلع
واذا افضلت فاكتم واذا امنعت فاجمل واذا اعطيت فاجزل واذا
غضبت فانظر من بداك بين فقد شغلك بشكر المروات كلها تبع
للعقل والراي تبع للتجربة العقل اصله التثبت وثمرته السلامه
والتوفيق اصله العقل وثمرته النجح والتوفيق والاجتهاد روحان.
فالاجتهاد سبب والتوفيق نجح بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا

فينا

فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت شرعت كتابا في ان التوفيق هل هو
كسب للعبد وهل الى اقتناصه سبيل ام لا والاعمال كلها تبع
للقدور واختار الحكما كلمات من اربع كتب من التوراة من قنع شبع
ومن الزبور من سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القران
من يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم الحلم شرف والصبر
ظفر والمعروف كنز والجهل سفه والايام دول والدهر عبر والمرء
منسوب الى فعله وماخوذ بعمله اصطنع المعروف يكسب الحمد اكرموا
الجليس يعمر ناديكم انصفوا من نفوسكم يوثق بكم اياكم والاخلاق
الدنيه فانها تضيع الشرف وتهدم المجد نهنهة الجاهل اهون من جريرته
راس العشيرة تحمل اثقالها واجمعت حكما العرب والعجم على اربع كلمات
فقالوا لا تحمل نفسك ما لا تطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر
بامراة ولا تثق بمال وان كثر

الباب الخامس عشر

في بيان الخصال التي يعز بها السلطان وهي الطاعة قال ملك فارس
لموبذان يا موبذ ما شي واحد يعز به السلطان قال الطاعه قال وما
ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة قال صدقت
الامانه معقل الطاعة والطاعة زينة الملة وكان يقال الطاعة الى

ولما السلطان على اربعة اوجه على الرغبه والرهبه والمحبة والديانه
دخل سعد العشيره على بعض ملوك حمير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال
معدله شايعه وهيبة وارعه ورعيه طايعه فان في المعدله حياة الايام
وفي الهيبة نفي الظلام وفي الطاعة الرعية التالف والالتيام طاعة الايمه
فرض على كل الرعية طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله سبحانه اتقوا الله
حق وأتقوا السلطان بطاعته من اجلال الله تعالى اجلال السلطان
عاد لا كان او جايرا الطاعة تولف شمل الدين وتنظم امور المسلمين ن
عصيان الايمة يهدم اركان الملة اولى الناس بطاعة السلطان ومناصحته
اهل الدين والنعم والمروات اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان ولا يكون النعم
والحرم محفوظة الا به الطاعه ملاك الدين الطاعة معاقل السلامه
وارفع منازل السعادة الطاعة الطريقة المثلى والعروة الوثقى
قوام الامة وقوام السنة بطاعة الايمة الطاعة عصمة من كل فتنه
ونجاة من كل شبهة طاعة الايمة عصمة لمن لجا اليها وحرز لمن دخل
فيها ليس للرعية ان تعترض على الايمة في تدبيرها وان سولت لها
انفسها بل على الرعية الانقياد وعلى الايمة الاجتهاد بالطاعة تقام
الحدود وتؤد الفرايض وتحقن الدما وتامن السبل اولى الناس
بطاعة السلطان ومناصحته اهل الدين والنعم والمروات اذ لا يقوم

الدين الا بالسلطان ولا يكون الحرم والنعم محفوظة الا به الامانه عصمة
للعلما وحياة للبلاد اوجب الله تعالى لمن خصته بفضلها وحمله عنها الطاعه
فقرنها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم طاعة الايمة هدا لمن استضا
بنورها وامن لمن حافظ عليها الخارج من الطاعة منقطع العصمة
بري من الذمه مبدل بالكفر لنعمة طاعة الايمة حبل الله المتين ودينه
القويم وجنته الواقية وكفايته الغالبه اماكم والخروج من انس
الطاعة الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الايمة وعليكم باخلاص
النصيحة ما مشي قوم الى سلطان ليذلوه الا اذلهم الله قبل ان يموتوا
الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة افضل من طاعة الهيبة للرعية
على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم
والعدل عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامه
والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة الى الراعي ما ليس بالراعي من الحاجة
اليهم لولا الرعاه هلكت الرعية ولولا المسيم هلكت السوام

الباب السادس عشر

في بيان الخصال التي هي ملاك امور السلطان قال سليمان
ابن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك وقال زياد

ملاك السلطان ثلاثة أشيا الشدة على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول
ولما غزى سابور ذو الاكتاف ملك الروم واخرب بلاده
وقتل جنوده وأفنى بطارقته قال له ملك الروم انك قد فتكت واخربت
فاخبرني ما الامر الذي تسببت به حتى قويت على ما ارى وبلغت في السياسة
ما لم يبلغه ملك فان كان مما يضبط الامر مثله اديت اليك الخراج وصرت كبعض
الرعية في الطاعة لك فقال له سابور اني لم ازد في السياسة على ثمان خصال
لم اهزل في امر ولا نهي ولم اخلف في وعد ولا وعيد ووليت أهل
الكفاية واثبت على الغنا لا على الهوى وعاقبت وضربت للادب لا للغضب
واودعت قلوب الرعية المحبة من غير جراه والهيبة من غير ضغينه وعممت
بالقوت ومنعت الفضول فاذعن له وادى الخراج **وكتب**
الوليد الى الحجاج ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني ايقظت رايي
وانمت هواي وادنيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم
في امره وقلدت الخراج الموفي لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي
قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى
المبطر المسيء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب
وقال ابو عبيدة اذا كان محصنا لسره بعيدا من ان يعرف ما في
نفسه متخيرا للوزراء مهيبا في انفس العامة مكافيا بحسن البلا لا يخافه

البري ولا يامنه المجرم كان خليقا لبقاء ملكه

الباب السابع عشر

في معرفة خير السلطان وشر السلطان أفضل الملوك من كان بين الرعايا
لكل واحد منهم فيه قسطه ليس احد احق به من احد لا يطمع القوي في
حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
ياخذ بيد الامة من اماء المدينة فيطوف بها على سكك المدينة
حتى تقضي حاجتها **وفي** حكم الهند أفضل السلطان من امنه
البري وخافه المجرم وشر السلطان من خافه البري وامنه المجرم وقال
عمر للمغيرة لما ولاه الكوفة يا مغيرة ليامنك الابرار وليخفك الفجار
وفي حكم الهند ايضا قالوا شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان
الخاذل وشر السلطان من خافه البري وشر البلاد ما ليس فيه خصب
ولا امن وخير السلطان من اشبه النسر حوله الجيف لا من اشبه الجيفة
حولها النسور وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية
من سلطان يخافها وفي الامثال رهبوت خير من رحموت وكان يقال
اشر خصال الملوك الجبن عن الاعدا والقسوة في الضعفا والبخل عند
الاعطا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاثة من الغوايل جار ملازم
ان راى حسنة سترها وان راى سيئة اذاعها وامراة ان دخلت

عليها السنتك وان رغبت عنها لم تامنها وسلطان إن احسنت لم يحمدك
وان أسأت قتلك وقال رجل لبعض العلما متى اضل وأنا
اعلم فقال إذا ملكتك إمرة إن اطعتهم أذلوك وان عصيتهم قتلوك وقال
أبو حازم لسليمان بن عبد الملك سوق ما نفق عنده اتي به وفي كتاب
ابن المقفع الناس على دين السلطان إلا القليل فان يكن للبر والمروة
عنده نفاق فسيكتسب بذلك الفجور والزناة في افاق الأرض وسمع
زياد رجلا يذم الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته إن
الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن الكندي صف لي الزمان
فقال انت الزمان ان تصلح تصلح وان تفسد تفسد والمثل السائر في كل
زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكما إن أحق
الناس ان يحذر العدو الفاجر والصديق الغادر والسلطان الجائر
وقال بزرجمهر ادوم التعب صحبة السلطان السيء الخليقه وقال
بعض الحكما إذا ابتليت بصحبة السلطان ولا يريد صلاح رعيته فقد
خيرت بين خصلتين ليس فيهما خيار اما الميل مع الوالي على الرعية
فهو هلاك الدنيا ولا حيلة لك إلا الموت أو الهرب منه وقال الدين واما الميل مع الرعية على الوالي فهو هلاك
الملك العادل كالنهر الصافي ينتفع به الاشرار والأخيار ولا يضر
أحدا والملك السوء مثل الجيفة يسرع اليها شرار الحيوان وتحاماها الناس

الباب الثامن عشر في منزلة السلطان

الباب الثامن عشر في منزلة السلطان

روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله سبحانه ليزع بالسلطان
ما لا يزع بالقرآن معناه ليدفع وقال كعب مثل الاسلام والسلطان والناس
مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد فالفسطاط الاسلام
والعمود السلطان والاطناب والاوتاد الناس لا يصلح بعضهم الا ببعض
وقال اردشير لابنه يا بني ان الملك والدين اخوان لا غنا لأحدهما عن
الآخر فالدين اس والملك حارس ومن لم يكن له اس فمهدوم وما
لم يكن له حارس فضايع يا بني اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك وليكن
من أهل العقل وكان يقال الدين والسلطان توأمان

الباب التاسع عشر

في خصال جامعة لأمر السلطان وقالوا اظفر الملك بعدوه على حسب عدله
في رعيته ونكوبه في حروبه على حسب جوره في عساكره واصلاح
الرعية انفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحصنه
انصافه وسلاحه كفاته وماله رعيته وقالت الحكما الهند لا ظفر
مع بغي ولا صحة مع نهم ولا ثنا مع كبر ولا شرف مع سوء ادب ولا بر
مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا اصابة حكم مع عدم فقه

ولا سودد مع استقام ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزرا **وقال**
ولي ابوبكر رضي الله عنه خطب تعالى ايها الناس انه لا احد اقوى
عندي من المظلوم حتى اخذ له بحقه ولا اضعف من الظالم حتى اخذ
الحق منه وقيل للاسكندر بما نلت ما نلت قال باستمالة الاعدا والاحسان
الى الاصدقا **وقال** بزرجمهر سوسوا احرار الناس بمحض
المودة والعامة بالرغبة والرهبة والسفلة بالمخافة وقال
الموبذان السياسة التي بها صلاح الملك الرفق بالرعية واخذ الحق منهم
في غير مشقة وسد الفروج وامن السبل وان ينصف المظلوم من الظالم
ولا يحمل القوي على الضعيف وقالوا الوالي من الرعية كالروح
من الجسد لا حياة له الا به وكالراس من الجسد لا بقا له الا به وبعد
الوالي من اصلاح الرعية مع افساد نفسه كبعد الجسد من البقا
بعد ذهاب الراس والسلطان خليق لان يعود نفسه الصفح على من خالف
رايه من ذوي النصيحة والتجرع لمدارة قولهم ولا ينبغي ان يحسد
الا الولاة على حسن التدبير ولا ان يكذب لان احدا لا يقدر على استكراهه
ولا ان يغضب لان الغضب والقدرة لقاح الشرف والندامة
ولا ان يبخل لانه اقل الناس خوفا من الفقر ولا ان يحقد لان قدره يجل
عن المجازاة ولا ينبغي للوالي ان يستعمل سيفه فيما يكفي به الحبس ولا حبسه

فيما يكتفي فيه بالجفا والوعيد وقال معوية اني لا اضع سيفي حيث
يكفيني سوطي ولا سوطي حيث يكفيني لساني ولو ان بيني وبين الناس
شعرة ما انقطعت اذا مدوها خليتها واذا اخلوها مددتها ونحو هذا
قول الشعبي كان معوية كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بالمشي
لا يضع يده الا حيث يبصر وينبغي له ان يعلم رعيته انه لا يصاب خيره
الا بالمعونة له على الخير ولا ينبغي له ان يدع تفقد صغير امور الرعية
اتكالا على نظره في جسيمها فان للصغير موقعا ينتفع به وقد اتى الله ملك
الدنيا سليمان ابن داود عليهما السلام ثم تفقد الطير فقال ما لي لا ارى
الهدهد ولان التهاون باليسير اساس الوقوع في الكثير وقد قال الشاعر

لا تحقرن شبيبا كم جر شرا شبيب

وقالوا اصل الاشيا كلها شي واحد لا يدع مباشرة جسيم امره فالجسيم
موضع ان غفل عنه تفاقم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير ابدا فيضيع الكبير
وقال زياد لحاجبه وليتك حجابتي وعزلتك عن اربع المؤذن للصلاة وصاحب
الطعام فان الطعام اذا اعيد تسخينه فسد وصارخ الليل لشر ذهاه وصاحب
البريد فالتهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة وكان ابو العباس
السفاح يقول لاعملن اللين حتى لا ينفع الا الشدة ولاكثرن من الخاصة
ما امنتهم على العامة ولاغمدن سيفي حتى يسله الحق ولاعطين حتى لا ارى

للعطية موضعا وقال اردشير لما كمل ملكه واباد اعداه انه لا حكم
حاكم على العقول كالغير ولم يحكمها بحكم كالتجربة وليس شي اجمع للعقل
من خوف وحاجة يتامل بها صفحات حاله وكان عمر يقول ان هذا الامر
لا يصلح له الا اللين في غير ضعف والقوة من غير عنف وقال
الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق
يقل لفظها ويسهل حفظها تكون لاغراضها الفقا ولمقاصدها وقفا
يشرح المستبهم وتوضح المستعجم قلت نعم يا امير المؤمنين دخل اكثم بن صيفي
حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له اني سايلك عن اشيا لا تزال
بصدري معتلجة وما تزال الشكوك عليها والجة فانبئني بما عندك
فيها فقال ابيت اللعن سالت خبيرا واستنبات بصيرا والجواب يشفعه
الصواب فسل عما بدا لك قال ما السودد قال اصطناع المعروف عند
العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف قال كف الاذى وبذل الندا
قال فما المجد قال حمل المغارم وابتنا المكارم قال فما الكرم قال صدق
الاخا في الشدة والرخا قال فما العز قال شدة العضد وثروة العدد
قال فما السماحة قال بذل النايل وحب السايل قال فما الغني قال
الرضى بما يكفي وقلة التمني قال فما الراي قال لب تعينه تجربه
قال له الملك اوريت زناد بصيرتي واذكيت نار خبرتي فاحتكم

قال لكل كلمة هجمة قال هي لك قال الاصمعي فقال لي الرشيد ولك بكل
كلمة بدرة فانصرفت بثمانين الفا وكان قس بن ساعدة يفد على
قيصر ويكرمه فقال له يوما ما افضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال
فما افضل العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال فما افضل المروة قال استبقا
الرجل ما وجهه قال فما افضل المال قال ما قضي به الحقوق

الباب العشرون

في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان قال ابو جعفر المنصور ما كان
احوجني ان يكون على بابي اربعة لا يكون على بابي اعف منهم قيل من هم
يا امير المومنين قال هم اركان الملك ولا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير
لا يصلح الا باربع قوايم فان نقص قايمة واحدة عابه احدهم قاض لا تاخذه
في الله لومة لايم والاخر صاحب شرطه ينصف الضعيف من القوي والثالث
صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فاني غني عن ظلمهم والرابع ثم عض
على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة اه اه اه قيل من هو يا
امير المؤمنين قال صاحب بريد ان يكتب بخبر هولاء على الصحة وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا باربع خصال ان
نقصت واحدة لم تصلح له امن قوة على جمع المال من ابواب حله
ووضعه في حقه وشدة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه

الباب الحادي والعشرين

في حاجة السلطان الى العلم قال ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال
أو سلطان فلا يعجبك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن
يعجبك ان اكرموك لعلم او ادب أو دين اعلم ارشدك الله ان احوج
الناس الى النفقه أكثرهم عيالاً واتباعاً وحشماً واصحاباً والخلق كلهم
مستمدين من السلطان الخلايق السنيه والطرايق العليه مفتقرين اليه
في الأحكام وقطع التشاجر وفصل الخطاب فهو أحوج خلق الله الى معرفة
العلوم وجميع الحكم وشخص بلا علم كبلد بلا أهل وأفضل ما في السلطان
خصوصا وفي الناس عموما محبة العلم والتحلي به والتشوق الى استماعه
والتعظيم لحملته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده عن البهيميه
ومضاهاته للعالم العلوي وهو من أوكد ما يتحبب به الى الرعيه
واذا كان الملك خاليا من العلم ركب هواه واضر برعيته كالدابة
بلا رسن تمر في غير طريق وقد تتلف ما تمر عليه واعلم ان زهر الفضايل
وحسن المناقب وبها المحاسن وما ضاد ذلك من قبيح المثالب وفحش
الرذايل كل ذلك يظهر عليك ويعظم عليك بقدر ما اوتيته من علو
المنزلة وشرف الحظوة فيكون حسنك احسن كما يكون قبحك اقبح
وليس احد من أهل الدرجات السنيه والمراتب العليه أحوج الى مجالسة

العلما وصحبة الفقها ودراسة كتب العلوم والحكم ومطالعة الدواوين
العلما ومجامع الفقها وسير الحكما من السلطان وانما كان كذلك لوجهين
أحدهما انه قد نصب نفسه لممارسة اخلاق الناس وفصل خصوماتهم
وتعاطي حكوماتهم وكل ذلك يحتاج الى العلم البارع والنظر الثاقب وبصيره
بالعلم قويه ودراسة طويلة فكيف يكون حاله ان لم يعد لهذه الامور
عدتها ولم يقدم لها أهبتها والثاني ان من سواه من الناس لا يقدمون
من يكسر عليهم ويعارضهم فيذكر لهم مساويهم ويخالفهم في مذاهبهم
فيكون ذلك مما يعينهم على رياضة أنفسهم ويعلمهم من اشدهم ومناظرة
الاكفا ومعاشرة النظرا تلقيح للعقول وتهذيب النفوس وتدريبها
لماخذ الاحكام بخلاف السلطان فان ارتفاع درجته تقطع عنه جميع ذلك
إذ لا يلقاه ولا يجالسه الا معظم لقدره مبجل لشانه وساتر لمساويه ومادح
له بما ليس فيه وانما جوابهم له صدق الأمير وعلى قدر علو المرتبة يكون قبح
السقطه كما ان على قدر الارتفاع تكون صوت الوجبه **فصل**
يا ايها الملك ليس احد فوق ان يومر بتقوى الله ولا لأحد دون ان يامر بتقوى
الله ولا احد اجل امرا من ان تقبل امر الله ولا ارفع خطرا من ان يتعلم
حكم الله ولا اعلا شانا من ان يتصف بصفات الله ومن صفات الله تعالى
العلم الذي وصف الله تعالى به نفسه وتمدح بسعته فقال وسع

كرسيه السموات والارض فالكرسي العلم والكراسي هم العلما
واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوي الاقدار والاشراف والشيوخ
فيه اولى لان الخطا منهم اقبح والابتلا بالفضيلة فضيلة **وحكي**
ان ابراهيم بن المهدي دخل على المامون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه
فقال له يا عم ما عندك فيما تقول هولاء فقال يا امير المومنين شغلنا في
الصغر واشتغلنا في الكبر فقال المامون لم لا تتعلم اليوم فقال او يحسن
مثلي طلب العلم فقال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خيرا من ان تعيش
قانعا بالجهل قال والى متى يحسن بمثلي في طلب العلم قال ما حسنت بك
الحياة **وروي** ان بعض الحكما راى شيخا يحب النظر في العلم ويستحيي
فقال يا هذا اتستحيي ان تكون في اخر عمرك افضل مما كنت في اوله
ولان الصغير اعذر وان لم يكن في الجهل عذر وفي منثور الحكم جهل الشاب
معذور وعلمه محقور فاما الكبير فالجهل به اقبح ونقصه عليه افضح
لان علو السن اذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما كان الصغير افضل
منه لان الامل فيه اقوى وحسبك نقيصة في رجل يكون الصغير المساوي
له في الجهل افضل منه وكل ما ذكرناه من حاجة الشيخ الى العلم فحاجة
السلطان اليه اكبر ودواعيه الى اكتسابه اشد لان من عداه
انما يخصه نفسه الواحد فيقرب عليه تحصيل ما يقومها به والملك

منتصب

منتصب لسياسة اهل مملكته وتعليمهم وتقويم اودهم فهو الى العلم
احوج وقال الشاعر

اذا لم يكن مر السنين مترجما عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما تنفع الاعوام حين تعدها ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا
ارى الدهر من سوء التصرف مايلا الى كل ذي جهل كان به جهلا

وقال بعض الحكما كل عز لا يوكده علم مذلة وكل علم لا يويده عقل مضلة وكيف
يستنكف ملك او ذو امرة عليته من طلب العلم وهذا موسى عليه
السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين في اقصى المغرب على بحر الظلمات
الى لقا الخضر ليتعلم منه فلما ظفر به قال له هل اتبعك على ان تعلمني مما
علمت رشدا هذا وهو نبي الله وكليمه وهذا محمد رسول الله وصفوته
من جميع خلقه وقد وصاه ربه سبحانه وعلمه كيف يستنزل ما في خزاينه
فقال وقل رب زدني علما فلو كان في خزاينه اشرف من العلم لنبهه عليه
وهذا ادم عليه السلام لما فخرت الملايكة بتسبيحها وتقديسها
لربها تعالى وفخر ادم بالعلم فقال انبيوني باسما هولاء ان كنتم صادقين
فلما عجزوا امرهم بالسجود له فاخلق بخصلة يستدعي السجود حاملها
ان يتنافس فيها كل ذي لب وهذا فصل الخطاب لمن تدبر ولا ينبغي
لك عذرا بما روي في بعض الاخبار مثل الذي يتعلم العلم في الصغر

كالرسم في الحجر والذي يتعلم في الكبر كالنقش على الماء وقد سمع الاحنف
رجلا يقول التعلم في الصغير كالنقش في الحجر فقال الاحنف الكبير
أكثر عقلا ولكنه أشغل قلبا فتمحص عن المعنى ونبه عن العله وقد
كان اصحاب النبي يسلمون شيوخا وكهولا واحداثا وكانوا
يتعلمون العلم والقرآن والسنن وهم بحور العلم وأطواد الحكمة ومعادن
الفقه غير ان التعلم في الصغر ارسخ اصولا وابسق فروعا وليس اذا لم
يحز كله يترك كله وقال رجل لأبي هريرة اني اريد أن اتعلم العلم
واخاف ان اضيعه فقال ابو هريرة كفى بتركك له تضييعا وبعض
الخير خير من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت غي الجهل مثل الجمال تحت حمل
ثقيل فان هو كلما أعيى نقصه قليلا يوشك ان ينقصه كله فيستريح منه
وان هو لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما اوشكه ان يطرحه
جملة وكذلك الجاهل اذا تعلم قليلا قليلا يوشك ان يأتي على بغيته وان
لم يتعلم في الكبر لما فاته في الصغر فاوشك به ان يموت تحت غي الجهل

الباب الثاني والعشرين

في وصية أمير المؤمنين علي ابن طالب رضي الله عنه لكميل ابن زياد
بالعلم واهله قال كميل ابن زياد النخعي خرجت مع علي ابن طالب الى
الجبال فلما اضحى تنفس الصعدا ثم قال يا كميل ابن زياد القلوب اوعية

فخيرها

فخيرها أوعاها للخير احفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثه فعالم رباني ومتعلم
على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم
يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا منه الى ركن وثيق العلم خير من المال
العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكوا على الانفاق والمال ينقصه
النفقه والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العلم دين يدان الله به
يكسبه الطاعه في حياته وجميل الاحدوثه بعد وفاته مات خزان الاموال
وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر اشخاصهم مفقوده وامثالهم في القلوب
موجوده وها ان ها هنا واشار بيده الى صدره لعلما جما لو اصبت له
حمله بلا قد اصبت له لقنا غير مامون عليه يستعمل الدين للدنيا وليستظهر
بحجج الله على كتابه أو كما قال وبنعمه على عباده او منقادا لاهل الحق لا
بصيرة له في حياته ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهه الا لا ذا
ولا ذاك او مغرم باللذات سريع الانقياد للشهوات ام اخرشانه جمع
المال والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء اقرب شبها بهما الانعام
السايمة اللهم فكذلك يموت حامليه ولكن لن تخلوا الارض من قايم لله
بحجته لئلا تبطل حجج الله وأنبيايه ومن اوليك واين اوليك الاقلون
عددا الاكبرون عند الله قدرا اعزن الحكمة في قلوبهم حتى يزرعونها
في قلوب اشباههم ويدعوها في صدور نظرايهم هجم بهم العلم على حقيقة

الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوحشه المترفون واستأنسوا
بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها معلقة بالمحل
الأعلا أولئك خلفا الله في أرضه ودعاته الى دينه هاه شوقا الى رؤيتهم
وقال بعض الحكما كل عز لا يوطده علم مذله وكل علم لا يؤيده عقل مضله

الباب الثالث والعشرين

في معرفة العقل والدها والخبث والمكر قد ذكرت في كتاب الأسرار
حقيقة العقل واقسامه ومحله وأحكامه بما لا مزيد عليه ونذكر
هاهنا منافعه ومداركه ولباب ما يجري من القول فيه انه من
الاستشهاد بالشاهد على الغايب فمن كان في طوقه ان يستدل بما
شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل وسمي عاقلا عند الموحدين
وبه يتوجه التكليف عليه وذلك ان من نظر الى قصر كمل بنيانه
وحصنت أركانه وجعلت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنوه فاشرف
عليه انسان فرأى بيوتا مقطوعة وأبوابا منصوبة وفرشا مفروشة
وزرابي مبثوثة وموايد موضوعة وصحاف مصفوفة وأرايك
منصوبة وحجال مسدوله وطشوتا وأباريق وبيوت ماء
وسطوحا وميازيب لصب الما وتحتها بلاليع لغياض الما وطيقانا
للضيا الواقع ومداخن للدخان الخارج ومنافس للرياح والهوي

الي ساير ما يستعده العقلا للانتفاع به ثم فكر هل هذا القصر بما
حواه صنعة صانع قادر عالم مريد حي أو اتفق لنفسه وتركب على صورته
بلا صانع فيستقر في عقله بالضرورة استحالة وجوده من غير صانع
وانه مفتقر الى صانع صنعه وهذا علم يهجم على العقول لا يفتقر الى نظر
واستدلال وانما ضربت لك هذه الأمثلة لأن ما في الانسان من
الاعضا والمنافس ولطيف الصنعة والعجايب أكثر مما في القصر
بأضعاف مضاعفة فاذا نظر الى نفسه فرأى ما فيها من العجايب ○
والتركيب ومنفعة كل عضو وتخصيصه اما لجلب نفع أو دفع ضرر
فلينعم نظره في عضو واحد مثلا وهو فمه فيرى في أوله اسنانا تشبه
بالفاس تصلح للقطع وفي آخره طواحين تصلح للطحن وشد فيه كالبها
بغال الرحا يمنعان ان ينهرق الطعام الي خارج ولسان يرد ما
انفلت من الطعام اليه على الطواحين ثم يلي ذلك بلعوم يصلح لازدراد
هذا الطحين علم بادي تأمل ان هذه الخلقة ما انفعلت بنفسها
اتفاقا بل هي مفتقرة الى قصد قاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط
لو ذهبنا نذكر منفعة كل عضو لوقفت على العجب ولكن تركناه كراهية
التطويل وعلى هذا المعنى فمعرفة الصانع للقصر يعلم ضرورة ومعرفة
الصانع للخلق يعلم بالاستدلال والنظر المرتب على الضروري وعلى هذا

نبّه الكتاب المهيمن فقال وفي أنفسكم افلا تبصرون وبهذه العبر
تستقل العقول باثبات الصانع وتستغني عن النظر في الجواهر والاعراض
والعلم المفيد لاثبات الصانع في الشاهد مثل البنا والنجار والخياط
واشباههم بعد النظر في صنايعهم علم اضطرار والعلم المثبت للصانع
سبحانه عند النظر في حدوث العالم علم استدلال اعتبارًا للغايب
بالشاهد اذ لا فرق في العقول بين صنعته وصنعته في اقتضا صانع
وانما كان للعلم في الشاهد ضرورة لان الانسان لم يزل يرى البنا
يبني والخياط يخيط والنجار ينجر الخشب ولم يرا العقلا القديم سبحانه
يخلق ويخترع وانما استفادوه من النظر في الشاهد فان قيل فاي
العلمين اقوى في النفوس واثبت في العقول عند النظر في السرير
واقتضايه للنجار ام العلم بالاله عند النظر في السموات والارضين
وما بينهما فالجواب ان هذا يستدعي تفصيلاً وتدقيقًا وهذا الكتاب
ليس هو موضوعًا لذلك فحينيذ يعلم ان معه عقلاً غريزيًا وسميه
عاقلاً ويوجه التكليف عليه وهو العقل التكليفي واذا اثبت
هذا فاعلم ان الله تعالى خلق الحيوان على اربعة انحا ملايكة وادميون
وشياطين وبهايم فاما الملايكة فعقل بلا شهوات ولا هوى.
يقارنه واما البهايم فشهوات بلا عقل واما الشياطين والجن فركب الله

تعالى

تعالى فيهما العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بني ادم العقل
والهوى والشهوة فغلبت شهوات الشياطين هواهم عقولهم فقطعوا اوقاتهم
بالاخلاق المذمومة كالكبر والعجب والمقت والفخر والدعوى
والحسد والاذية وساير الاخلاق المهلكة واما البهايم فتقضت اوقاتها
في شهوات البطن والفرج واما الادميون فركب الله فيهم عقول
الملايكة واخلاق الشياطين وشهوات البهايم فمن غلب عقله على هواه
منهم فكانه من عالم الملايكة كالانبيا والرسل عليهم السلام
والاوليا والاصفيا وقليل ما هم واما من كان عقله مغلوبًا بهواه
وشهواته فان كان ذلك في المباحات من المطاعم والملابس
والمراكب والنسا والخيل المسومة والانعام والحرث فاكل وتمتع
بعد ان كسبه من حله فهذا من عالم البهايم وانما الحقناه بعالم
البهايم لانه لا تكليف على البهايم وكذلك هذه المباحات لا حرج في
الاستمتاع بها بعد ان يكون كسبها من حله وان كان الغالب عليه
اخلاق الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش الى ساير الاخلاق
المذمومة فهذا في عالم الشياطين وان اجتمع في الشخص افراط الشهوات
.واتباع الهوى والاخلاق المذمومة فيكون ادميًا في صورته
شيطانًا في خلايقه بهيمة في شهواته فلا يصلح للصحبة واذا ثبت هذا

فاعلم ان هذا العقل الغريزي اطول الى رقله من العين و احوج الى التعهد
من السيف **فصل** فاما العقل المكتسب و هو نتيجة العقل
الغريزي فهو نهاية المعرفه و اصابة الفكره وليس له حد ينتهي اليه لانه
ينمي ان استعمل و ينقص ان اهمل و نماه يكون باحد وجهين اما ان يقارنه
من مبتدا البشرية ذكا وحس فطنه كالذي قال الاصمعي قلت لغلام حدث
السن من اولاد العرب كان يحادثني فامتعني والله بفصاحته وملاحته
فقلت له ايسرك ان يكون لك مايه الف درهم وانك احمق قال لا والله
قلت ولم قال اخاف ان يجني علي حمقي جنايه يذهب مالي و يبقى علي حمقي
فاستخرج هذا الصبي بفرط ذكايه ما يدق على فهم من هو اكبر منه سنا وقيل
لبعض الصبيان الك اب قال فانا عيسى ابن مريم وقد قالت الحكما
بداية العقل سرعة الفهم وغايته اصابة الوهم وليس للذكا غايه
ولا لجودة القريحة نهايه الا ان اياس ابن معويه الذي يضرب المثل
بذكايه قال لابيه وهو طفل وكان ابوه يوثر اخاه عليه يا ابه
تعلم ما مثلي ومثل اخي معك الا كفرخ الحمام اقبح ما يكون اصغر ما يكون
وكلما كبر ازداد حسنا وملاحة فيبنى له العلالي ويتخذ له المربعات
ويستحسنه الملوك ومثل اخي مثل الجحش الصغير املح ما يكون اصغر ما يكون
وكلما كبر قبح وصار القهقري انما يصلح لحمل الزبل والتراب

والوجه

والوجه الثاني ما يحصل لذوي الحنكة وصحة الروية بطول ممارسة
الامور وكثرة التجارب ومرور الغير على اسماعهم وتقلب الايام
وتصرف الحوادث وتناسخ الدول فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت
لاسماعهم انواع الاخبار واثار الغير **وقال**
بعض الحكما كفى بالتجارب تادبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربه
مراة العقل والغر ثمرة الجهل ولذلك حمدت ارا الشيوخ حتى قالوا
المشايخ اشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم
وعليكم بارا الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكا الطبع فقد افادتهم
الايام حنكة وتجربه **وقال الشاعر**
الم تر ان العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب
اذا طال عمر المرء في غير افة افادت له الايام في كرها عقلا غير ان للعقل
افات كما قال بعض الحكما كيف يرجوا العاقل النجاة والهوى
والشهوة قد اكتنفاه والهوى ابعد من ان ينفذ فيه حيلة الحازم
المحتال وهو اغمض مسلكا في الجنان من الروح في الجثمان و املك
بالنفس من النفس والمالك للشي املك به ولهذا قيل كم من عقل امير
اسير عند هوى لمن احب ان يكون حرا فلا يهوى والا صار عبدا كما
قال علي بن الجهم انفس حرة ونحن عبيد ان رق الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب إذا تناهى وزاد في الإنسان هل يكون
فضيلة أم لا فقال معظم العقلا إنه فضيلة لأنه إذا كان مجموع احاد
والآحاد فضايل فلا شك أن كثرة الفضايل فضيلة وإنما الشي المحدود
تكون الزيادة فيه نقصان من المحدود كالتهور في الشجاعة والتبذير
في الكرم فأما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالأمور وحسن
اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان وروي
عن النبي عليه السلام أنه قال أفضل الناس أعقل الناس وقال عليه
السلام العقل حيث كان الف مالوف وقال القاسم بن محمد من لم يكن
عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب الخصال عليه الا ترى
أنه لما مات بعض الخلفا اختلفت الروم واجتمعت ملوكها وقالوا
الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم
فضربوا في ذلك مشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات واجمعوا على أنه فرصة
الدهر وثغرة النحر وكان رجل من ذوي الراي منهم والمعرفة غايبا عنهم فقالوا
ان الحزم اعراض الراي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا ارى
ذلك صوابا فسالوه عن علة ذلك فقال غدا اخبركم ان شا الله تعالى
فلما اصبحوا غدوا عليه فقالوا الوعد قال نعم فامر باحضار كلبين
عظيمين قد اعدهما ثم حرش بينهما والب كل واحد منهما على الاخر فتواثبا

وتهاوشا

وتهاوشا حتى سالت دماوهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل
منه على الكلاب ذيبا قد اعده فلما ابصرته الكلاب تركا ما كانا
عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذيب فنالا منه ما احبا ثم
اقبل الرجل على أهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذيب
مع الكلاب لا يزال الهرج والقتال بينهم ما لم يظهر عدو من
غيرهم فإذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتألفوا
على العدو فاستحسنوا قوله وتفرقوا عن رايهم وأما المذموم في هذا الباب
صرف العقل إلى الدها والمكر وقال الشعبي وعد
الفتنة ودهاة العرب ستة معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص
والمغيرة بن شعبة وزياد بن امية وقيس بن سعد بن عباده وعبد الله
ابن ورقا وقال الاصمعي كان معوية يقول انا للاناة وعمرو للبديهه
وزياد للصغار والكبار والمغيرة للأمر العظيم قال قبيصة بن جابر
ما رايت اعطا للجزيل مال بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رايت
اثقل حلما ولا اطول اناة من معاوية ولا رايت اغلب للرجال ولا ابديهم
حين يجتمعون من عمرو بن العاص ولا اشبه سرا بعلانية من زياد ولو
ان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية ابواب لا يخرج من باب منها الا
بالمكر لخرج من ابوابها كلها وقال ابو الدردا قال النبي صلى الله عليه

وسلم يا عويمر ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً قلت بأبي وأمي ومن لي
بالعقل قال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلاً ثم تنفل صالح
الأعمال تزدد في الدنيا عقلاً وتزدد من ربك قرباً وعليه عزاً ويروى
لعلي ابن ابي طالب رضوان الله عليه ان المكارم اخلاق مطهرة فالعقل
أولها والدين ثانيها والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف
سادسها والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشرها
والنفس تعلم اني لا اصدقها ولست ارشد الاحين اعصيها والعين تعلم في
عيني محدثها إن كان من حزبها أو من اعاديها وقال
بعض الحكما العاقل في عقله في ارشاد ومن رايه في امداد فقوله سديد
وفعله حميد والجاهل من جهله في اغواء فقوله سقيم وفعله ذميم
فاما من صرف فضله الى الدها والمكر والشر والحيل والخديعة
كالحجاج وزياد واشباههم فمذمومون قد قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه لست بالخب والخب لا يخدعني وقال المغيرة كان والله عمر
ابن الخطاب افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع والموصوف بالدها
والمكر مذموم وصاحبه محذور يخاف غوايله ويحذر عواقب حبايله
وقد امر عمر ابن الخطاب ابا موسى الاشعري ان يعزل زياداً عن ولاية
فقال زياد عن موجدة او خيانة يا امير المومنين قال لا عن واحدة منهما

عملها

عملها ولكن كرهت ان احمل على الناس فضل عقلك وكتب
زياد الى عمر ان العراق في شمالي ويميني فارغة فولني الحجاز اكفيك
اهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم اكفنيه فطعن في اصبعه بعد ايام
فمات ونحن وان كنا نرغب عن الدها والمكر فانا نرغب في الحيلة
ونرضى بها والاتساع في الحيلة مما تواصى بها العقلا قديماً وحديثاً
وليس شي من امور الدنيا لطلب الرفعة وبلاغ الوسيلة ومن باداء
امر كان دق او جل خير من الحيلة واضعف الحيلة انفع من كثير الشدة
وقالت الحكما ملاك العقل الحيلة في التأني للسبب القوي والضعيف
من الامور وروي ان رجلاً وقف بكسرى قال انا اصنع
ما تعجز الخلايق عنه قال ما هو قال تشد برجلي حبل طرفه برقبة الفيل
ثم ساق الفيل بالضرب والزجر ولا اتزحزح ففعل ذلك فتمت حيلته
ثم تعاطى ان يفعل ذلك باربع من الفيلة فمزقت حدتها فقسموه شطرين
فقال كسرى من لم يكن اكثر ما فيه العقل هلك باكثر ما فيه
نظمه بعض الشعرا فقال

من لم يكن اكثر عقله اهلكه اكثر ما فيه

قال الشيخ وسمعت استاذنا القاضي ابا الوليد يحكي ان رجلاً استاذن
على هرون الرشيد وقال اني اصنع ما تعجز الخلايق عنه قال الرشيد

مات فاخرج ابنوبه قصب فيها ابر علو ثم وضع واحدة بالارض وقام على
قدميه وجعل يرمي ابر ابر من قامته فتقع كل ابر بعين الابرة الموضوعة
حتى فرغ دسته فامر الرشيد بضربه ماية سوط ثم امر له بماية دينار فسيل
عن جمعه بين الكرامة والاهانه فقال وصلته بجودة ذكايه وادبته
كيلا يصرف فرط ذكايه في الفضول ومن زعم ان العقل المكتسب اذا
تناهي لا يكون فضيلة قال لان الفضايل هيات متوسطة بين فضيلتين
ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة كالكرم الذي
هو وسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط بين التهور والجبن
وقالت الحكما للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور
فان الزيادة عيب والنقصان عجز **وفي الحديث**
ان النبي عليه السلام قال خير الامور اوساطها فقال علي ابن ابي طالب
خير الامور الاوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي قالوا فلان زيادة
العقل تفضي بصاحبه الى الدها والمكر وذلك مذموم قلنا هذا كله
باطل بما قدمناه لنص القول الاول وهو منوط بالعقل الغريزي
وبالعلوم وساير الفضايل واما قولهم انه يفضي بصاحبه الى الدها
والمكر قلنا الدها والمكر كسب معان اخر غير العقل ليست من
لوازم العقل فان شا تداهي ومكر وان شا كف كما نقول في كل شي

يكسبه العاقل باختياره ليس عقله اوقعه فيه بل انما اوقعه قلة عقله
وكان بزرجمهر لما فرغ من كتاب امثاله وسوكل باب على حياله
يقول ليس العجب ممن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما العجب ممن حفظها
ولم يصر عالما قال الشيخ وانا اقول ليس العجب ممن قرا في كتابي هذا
فصار مهذبا كاملا انما العجب ممن قراه ولم يصر مهذبا كاملا

الباب الرابع عشرين

في الوزرا وصفاتهم وجلسايهم واداابهم قال الله تعالى في قصة موسى
عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي فلو كان السلطان يستغني عن
الوزرا لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى ابن عمران ثم ذكر
حكمة الوزرا فقال اشدد به ازري واشركه في امري دلت الاية
على ان موضع الوزارة ان يشد قواعد المملكة وان يفضي اليه
السلطان بحزمه اذا استكملت فيه الخلال المحمودة ثم قال كي نسبحك
كثيرا دلت هذه الكلمات على ان نصيحة العلما والصالحين واهل
الخير والمعرفة ينتظم امور الدنيا والاخرة وكما يحتاج اشجع الناس
الى السلاح يحتاج اجل الملوك الى الوزير وكما يحتاج اعتق الخيل الى السوط
واحد الشفار الى المسن يحتاج اجل الملوك الى الوزير **وروي**
ابو سعيد الخدري قال ما بعث الله نبيا ولا استخلف من خليفة الا كانت

له بطانتان بطانه تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانه تامره بالشر
وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى وانما اشتق الوزارة من
الوزر وهو الثقل يراد به يحمل من الامور مثل الاوزار اسعد الملوك ملك
له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال وهب قال
موسى عليه السلام امن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى اشاور هامان لفرعون
فشاوره في ذلك فقال له هامان بينما انت الاها تعبد اذ صرت
تعبد فانف واستكبر فكان من امره ما كان وعلى هذا لم
كان وزير الحجاج يزيد بن ابي مسلم مع الحجاج ولبئس القرين شر قرين
لشر قرين **واعلم** ان اول ما يستفيد الملك من الوزرا امران
علم ما كان جهله ويقوى عنده علم ما كان علمه فيزول شكه
واشرف منازل الادميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة والوزير عون
على الامور وشريك في التدبير وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة
الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال
نعم الظهير الوزير واول ما يظهر نبل السلطان في قوة تمييزه وجودة
عقله في استنخاب الوزرا واستنقاد الجلسا ومحادثة العقلا فهذه
ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل في الخلق ذكره ويجل
في العقول قدره ويرسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان

يقال

يقال حلية الملوك وزينتهم وزراوهم وفي كتاب كليله ودمنه لا يصلح
السلطان الا بالوزرا ولا الاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا المودة
والنصيحة الا بالراي والعفاف واعظم الاشيا ضررا على الناس عامة
ولا الولاة خاصة ان تحرموا صالحي الوزرا والاعوان فتكون اعوانهم
غير ذي مروة وغنا وحذر الملوك ان يولي الوزارة بغير طبيب كي لا
تضيع الامور كما حذر ان يتطبب المتحير بصيرا بالامور قال شريح
بن عبيد لم يكن في بني اسرايل ملك الا ومعه رجل حكيم فاذا راه غضبان
كتب له صحايف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر
الاخرة فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه وقال
اردشير حق على ان يكون الملك الطف ما يكون نظرا اعظم ما
يكون خطرا ولا يذهب حسن اثره في الرعية خوفه لها ولا يستغني
بتدبير اليوم عن تدبير غد وان يكون حذره للملاقين اكبر من
حذره للمتباعدين وان تبقى بطانته اشد من ابقايه العامة ولا
يطمعن في اصلاح العامة الا باصلاح الخاصة وقال اردشير لكل ملك
بطانة حتى يجمع ذلك جميع المملكة فاذا اقام الملك بطانته على حال
الصواب اقام كل امري منهم بطانته مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح
عامة الرعية ومثل الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا

يمكنهم من الدنو منه كما ان الصائد في نهر التمساح فلا يستطيع المرء
دخوله وان كان سابحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل
الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضا ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضا
والاطبا فان كذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير اذا اراد أن
يقتل احدا من المرضا وصف الطبيب نقيض دايه فاذا اسقاه الطبيب
علي صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل للملك ما ليس في
الرجل فيقتله الملك فمن ها هنا شرطنا ان يكون الوزير صدوقا
في لسانه عدلا في دينه مامونا في اخلاقه بصيرا بامور الرعية وتكون
بطانة الوزير ايضا من أهل الامانه والبصيرة ويحذر الملك أن يولي
الوزارة لئيما فاللئيم إذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف
بالاشراف وتكبر علي ذوي الفضل **ولما** أراد سليمان
بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحجاج يزيد ابن أبي مسلم قال له عمر ابن
عبد العزيز اسئلك بالله يا أمير المومنين ان تحيي ذكر الحجاج باستكتابك
اياه فقال يا ابا حفص اني لم اجد عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر
انا اوجدك من هو اعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال
ابليس ما مس دينارا ولا درهما وقد اهلك هذا الخلق ودخل بعض من له
عقل وادب علي بعض الخلفا فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفه يميل

اليه ويقربه فقال يا ملك طاعته لازمه وجه معترض واجب ان الذي
شرفت من أجله يزعم هذا انه كاذب واشار الى الذمي فاسئله يا أمير
المومنين عن ذلك فسئله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف
بالاسلام لا يعرف وزير الملك ما له وما عليه حتي يراعي من صاحبه الواثق
به ما يراعيه العاشق الغيور من المعشوقة المتهمه **وكان**
بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره إذا رأيتني غاضبا فادفع
الي رقعة رقعة في الواحدة إنك لست بإلاه وإنك ستموت وتعود
الي التراب فياكل بعضك بعضا وفي الثانية إرحم من في الارض يرحمك
من في السما وفي الثالثه اقض بين الناس بحكم الله فانه لا يصلحهم الا ذلك
وإذا كان الوزير يساوي الملك في المال والهيبة والطاعة فليصرعه
الملك فان لم يفعل فليعلم انه المصروع وفي الامثال إذا سكنت الدهما
خافت الوزرا ولما كانت أمور المملكة عايدة الى الوزرا فازمة
الملوك في أكف الوزرا سبق فيهم من بين العقلا المثل السايرفقالوا
لا تغتر بمودة الأمير اذا اغشيك الوزير واذا احبك الوزير فلا تخش
الأمير ويقال الخرق مماراة الامرا ومعاداة الوزرا ورب امر كرهه
الأمير فتمم بالوزير وكم من أمر ارادة الأمير فنهاه عنه الوزير وانما
[من اتى الدار من بابها]
السلطان كالدار والوزير بابها ولج ومن اتاها من غير بابها ازعج

كاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه في افاق مملكته والمخصوص
بقربه ولزومه دون نظرايه طهير الامير وزينته حاجبه ولزومه
دون نظرايه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكتابه قوام الخلافه وقرينه
وقرينه الرياسة وعمود المملكه للكاتب على الملك ثلاثة اشيا يرفع
الحجاب عنه وتهم الوشاة عليه ويفشي سره اليه وقال
انوشروان لا يتم للملك امر حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له
جليس مامون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من
المملكه كموقع المراة من البصر وكما ان من لم ينظر في المراة لا يرى
محاسن وجهه وعيوبها كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعرف
محاسن دولته وعيوبها وقد قالت الحكما لا يطمعن ذو الكبر في الثنا
ولا الخب في كثرة الصديق ولا السي الادب في الشرف ولا الشحيح في البر
ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزرا في بقا
الملك وكما ان المراة لا تريك وجهك الا بصفا جوهرها وجودة صقلها
ونقايها من الصدا كذلك الملك لا يكمل امره الا بجودة عقله
وصحة فهمه وصفا يقينه ونقا قلبه ومن شروط الوزير ان يكون
مكثر الرحمة للخلق ورفيقا بهم ليانسوا برحمته ما جرحه السلطان
بغلظته ومن شروطه ان يكون نقي الجيب ناصح الغيب لا يتبلد فيقفه
ولا يكتم

ولا يكتم نصيحه وقال بعض الملوك لوزيره لا تكونن الى
ما تسرني به اسرع مبادرة منك الى انذاري فيما تخاف علي منه وقال
بعض الملوك اعط من اتاك بما تكره كما تعطي من اتاك بما تحب فان
من انذرك بشر ومن شروطه ان يكون معتدلا لا كليل بهامه لا احرق لا
قو وموقع الوزير من الملك كموقع الملك من العامة وكما ان السلطان
اذا اصلح صلحت الرعية واذا فسد فسدوا كذلك الوزرا اذا فسدوا
فسد الملك واذا صلحوا اصلح الملك وكان يقال افة العقل الهوى
وافة الامير مخالفة الوزير وقال المقتدر بالله لوزيره
علي ابن عيسى اتق الله يعطفني عليك ولا تعصه فيسلطني عليك وقال
المامون لمحمد بن يزداد اياك ان تعصي الله فيما تتقرب به الي فيسلطني
عليك واعلم ان ليس للوزير ان يكتم السلطان نصيحة وان استثقلها
وموقع الوزير من المملكة كموقع العينين من الانسان وكاليدين
فانه اذا صح قبضهما وبسطهما صح التدبير واذا سقما دخل النقص على الجسد
ولا تصلح الوزارة ان تكون في غير اهلها كما لا يصلح الملك في غير اهله
وشر الوزرا من كان له الاشرار انصارا وبطانة ودخلا واوصى
امراة ابنها وكان ملكا فقالت يا بني ينبغي للملك ان يكون له ستة
اشيا وزير يثق برايه ويفضي اليه باسراره وحصن يلجا اليه اذا فزع

وسيف إذا نازل الاقران لم يخف ان يخونه ودجين خفيفه المحمل إذا نابته
نايبه كانت معه وامراة إذا دخلت عليه أذهبت همه وطباخ اذا
لم يشتهِ الطعام صنع له ما يشتهيه

الباب الخامس عشرين

في الجلسا وآدابهم قال الله تعالى الأخلآ يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌ إلا
المتقين وقال تعالى يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ليتني لم اتخذ
فلانا خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان
للانسان خذولا فكل خليلين أو صفيين أو صاحبين أو متوادين
اجتمعا على معصية فهم الاعدا حق الاعدا وينبغي للملك ان يجالس أهل
العقل والأدب وذوي الرأي والحسب وذوي التجارب والعبر
فمجالسة العقلا لقاح العقل ومادته ولذلك حمدت آرا الشيوخ وقال
القدما المشايخ أشجار الوقار وينابيع الأخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط
لهم وهم وقالوا عليكم بآراي المشايخ فانهم ان فقدوا ذكا الطبع فقد
مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار الغير وقالوا
رأي المشايخ خير من مشهد الغلام وقال عبد الملك ابن مروان لجلسائه
جنبوني ثلاثا لا تطروني فأنا اعرف بنفسي منكم ولا تكذبوني
فانه لا راي لكذوب ولا تغتابون عندي احدا فيفسد قلبي عليكم

وقال

وقال بعض الحكما كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب الأيام عظة وقالوا
التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل وقد قال هرم بن قطبة وهو
احد حكما العرب حين سافر اليه عامر ابن الطفيل وعلقمة ابن علاثة عليكم
بالحديث السن الحديد الذهن وقال كثير من حكما العرب
عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجبون رايا لم تغلقه طول القدم ولا استولت
عليه رطوبة الهرم والمذهب الأول أصدق على العقول وقال عبد العزيز
بن زرارة لمعاوية يا أمير المومنين عليك بمجالسة الادبا اعداءً كانوا أو اصدقا
فان العقل يقع على العقل وقال ابن عباس مجالسة العقلا تزيد في الشرف
وقال سفين ابن عيينة ان الرجل ممن كان قبلكم ليلقى الرجل
العاقل فيكون بعقله عاقلا اياما وكان ملك ابن انس مر سليمان بن داود
بقصر بأرض مصر فوجد فيه مكتوبا هذه الابيات

غدونا من قرى اصطخر الى القصر غلوناه
فمن سال عن القصر فمبنيا وجدناه
يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء هو ماشاه
وفي الشي على الشي علامات واشباه
فلا تصحب اخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين واخاه

قال ووجد عليه نسرا واقعا فدعاه فقال من بنا هذا القصر قال لا
أدري قال كم لك منذ وقعت عليه قال تسع ماية سنة وفي الامثال
يظن بالمرء ما يظن بخليله ولما حج عبد الله بن جعفر نزل مكة
ليلا فلما اصبح قال يا اهل مكة عرفنا اخياركم من اشراركم في ليلة واحدة
قالوا وكيف ذلك قال نزلنا ومعنا اخيار واشرار فنزل اخيارنا على اخياركم
واشرارنا على اشراركم فعرفناكم واعلم انه ليس الدخان على النار بادل
من الصاحب على الصاحب وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة
في الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غادٍ
ورايح والسلطان ظل زايل والاخوان كنوز وافرة وقال
الاصمعي تناظر رجلان واعرابي حاضر فقال لاحدهما مناظرة مثلك في
الدين مرض والاستماع منك ادب ومجالستك زين ومعرفتك عز
ومذاكرتك تلقيح العقول وشحذ واخبارك شرف وفخر وقال
السمستاني انشد مخارق بين يدي المامون هذه الابيات

وانّي لمشتاق الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه
عذيري من الانسان لا ان جفوته صفا لي ولا ان صرت طوع يديه

فطرب المامون وقال ويحك يا مخارق خذ مني نصف الخلافة واعطني
هذا الصاحب لا انسان وقال ملك بن سعد بن الاخنف ابن قيس

يا

يا ابا عمرو ما اشتاق الى غايب اذا حضرت ولا انتفع بحاضر اذا غبت اخذه
ابراهيم بن العباس الكاتب فنظمه وقال

وانت هوى النفس من بينهم وانت الحبيب وانت المطاع
ومابك ان بعدوا وحشة وما بهم ان بعدت اجتماع

وقالت الحكما النظر في عواقب الامور تلقيح العقول وقالوا العاقل لا ينقطع
صداقته والاحمق لا تدوم مودته فاتخذ من نصحا اصحابك مراة
لطبايعك ونعايلك كما تتخذ لوجهك المراة المجليه فانك الى اصلاح
طبايعك احوج منك الى تحسين صورتك وقال المامون
للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة خلا سبعا
قال وما السبع يا امير المومنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والما البارد
والثوب الناعم والرايحة الطيبة والفراش الوطي والنظر الى الحسن من كل
شي قال فاين انت يا امير المومنين من محادثة الرجال قال صدقت
وهي اولاهن وقال هشام ابن عبد الملك قد قضيت الوطر من
كل شي واكلت الحلو والحامض حتى لا اجد لواحد منهما طعما
وشممت الطيب حتى ما اجد له رايحة واتيت النسا حتى ما ابالي امراة
اتيت ام حايطا فما وجدت شيا الذ من جليس يسقط بيني وبينه مونة
التحفظ وقال عبد الملك ابن مروان قد قضيت الوطر

من كل شيء الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر علي التلال العفر
وقال عبد الملك من قرب من السفلة وادناهم وباعد ذوي العقل
واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من الحمد ورثه من لا يحمده ومن
الكلام الشريف قول الحكما ما احوج ذا القدرة الي دين يحجزه وحيا
يكفه وعقل يعدله والي تجربه طويله وعز محفوظه والي اعراق
تسري اليه والاخلاق تسهل الامور عليه والي جليس ورفيق ورايد شفيق
والي عين تبصر العواقب وعقل يخاف الغير ومن لم يعرف لو مطر الايام
لم يحترس من سطوات الدهر ولم يتحفظ من فلتات الزلل ولم يتعاظمه
ذنب وان عظم ولا ثنا وان سمح واذا رايت من جليسك امرا تكرهه
او خلة لا تحبها او صدرت منه كلمة عورا او هفوة عبرا فلا تقطع حبله
ولا تصرم مودته ولكن داو كلمته واستر عورته واتقه وابرا من
عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني بري مما تعملون فلم يامر
بقطعهم وانما امر بالبراة من عملهم السو **وقال الشاعر**

اذا راب مني مفصل فقطعته بقيت وما لي للنهوض مفاصل
ولكن اداويه فان صح سرني وان هو اعيا كان فيه تحامل

واتي رجل الي بعض الحكما فشكي اليه صديقه وعزم علي قطعه والانتقام
منه فقال له الحكيم اتفهم ما اقول لك فاكلمك امريكه من فورة الغضب

ما يشغلك عنه فقال اني لما تقول واع قال اسرورك بمودته كان اطول
ام غمك بذنبه قال بل سروري قال افحسناته عندك اكثر ام سياته
قال بل حسناته قال فاصفح بصالح ايامك عن ذنبه وهب لسرورك جرمه
واطرح مونة الغضب والانتقام منه ولعلك لا تنال ما املت فتطول
مصاحبة الغضب لك وانت صاير الي ما تحب

الباب السادس والعشرين

في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان وقد ذكرنا الخصال التي
تجري في المملكة مجرى الاساس من البنيان ونذكر الان الخصال
التي تجري من المملكة مجرى التاج والطيلسان وحسن الهية والكمال
واصلها وقاعدتها العفو قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين فلما نزلت هذه الاية علي النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي عليه
السلام يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال العالم فذهب جبريل
ثم عاد فقال يا محمد ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفوا عن من ظلمك **واعلموا** ارشدكم الله ان الله سبحانه
وتعالى امر بالعفو وندب اليه وذكر فضله وحث عليه ووصف
نفسه به فقال سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين فاوجب الله تعالى محبته للعافين واثنا عليهم بالاحسان

فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعزايم الامور من صفات
المصطفين من الرسل عليهم السلام قال الله تعالى فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل وقال واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال سبحانه
وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم فاستعطف الخلق وندبهم
الى ان يعفوا عن الجناة والظالمين والخاطئين كما يحبون ان يفعل الله بهم
وقال فيمن انتصر ولم يعفوا ولمن انتصر من بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من
سبيل فرفع الحرج عن المنتصر والمنتقم ولم يوجب لهم فضيلة ثم كشف الغطا
وازاح الغدر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين والواهبين
حقوقهم على المنتقمين فقال سبحانه وان عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولين
صبرتم لهو خير للصابرين فهذا نص لا يحتمل التاويل والتحقيق القول في
ذلك ان الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله احب الينا من عدله
لانه فان عدل علينا فاخذنا بحقه هلكنا وان عفا عنا برحمته تخلصنا
ولو كان العدل يسع الخلايق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان في
العدل استقصا ومناقشه وذلك مما تضيق عنده النفوس وتحرج له
الصدور ربط الاحسان بالعدل فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله
والاحسان وايضا فان الانتصار انتقام سيئة والعفو حسنة قال الله

تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الانتصار يسمى سيئة
قوله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها غير انه انما سميت سيئة لما كانت
نتيجة سيئة لانه لا تجوز الانتصار وانما هو كقول عمرو بن كلثوم
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ؞ فسمى الجزا على الجهل
جهلا وان لم يكن في الحقيقة جهلا وعن هذا روت عايشة رضي الله عنها
قالت ما رايت النبي عليه السلام منتصرا من مظلمة ظلمها قط غير انه كان اذا
انتهك شي من محارم الله فلا يقوم لغضبه شي وروي انه قال ينادي مناد
يوم القيمة من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفى في الدنيا فان
عفوت ايها الطالب كان اجرك على الله وان لم تعف كان حقك قبل من ظلمك
ولان يكون اجرك في ضمان الله تعالى اولى ان يكون قبل مخلوق وايضا
فانك ان لم تعف ثبت حقك فلا زيادة عليه وان عفوت كانت حسنة اسديتها
لاخيك والله تعالى يقول من جا بالحسنة فله عشر امثالها ولما دخل عيينة
ابن حصن على عمر ابن الخطاب قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل
ولا تامر فينا بالعدل فغضب عمر وهم بان يوقع به فقال ابن اخيه
يا امير المومنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه
وكان وقافا عند كتاب الله تعالى وقال النبي عليه السلام ارحموا

من في الارض يرحمكم من في السما وقال ارحم ترحم وكان يقال اولى الناس
بالسلطان احقهم بالرافة والرحمة وفي الانجيل افلح اهل الرحمة
لانهم سيرحمون وقال سليمان ابن داود عليه السلام لقد ابغض الله المسرعين
الى هرق الدما والى هرق الدما انتهت القسوة والغلظة والتباعد من
الرحمة ولما تمكن داود من قتل جالوت ابقا عليه وهو يومئذ عدوه
وطالبه وقال رب اعظم ذمي في اعين اعداي كما عظمت في عيني ذم
عدوي وكذلك خلصني من جميع الهموم وقال حكما
الهند لا سودد مع انتقام ولا رياسة مع عزازة نفس وعجب وقالت
الحكما ليس الافراط في شي اجود منه في العفو ولا هو في شي اقبح منه
في العقوبة وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العقوبة واعلم
انك ان تخطي في العفو في الف قضية خير من ان تخطي في الفعل في قضية
واحدة قال معاويه لان ارفع نفسي ان يكون ذنب اعظم
من عفوي وجهل اكبر من حلمي وعورة لا يواريها ستري وقال المامون
ليس علي في الحلم موونه ولوددت ان اهل الجرايم علموا راي في العفو
فيذهب الخوف فتخلص لي قلوبهم وقال رجل للمنصور يا امير المومنين
ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف
ونحن نعيذ امير المومنين ان يرضى لنفسه باوكس النصيبين وان لا يرتفع

الى اعلا الدرجتين فاعف يعف الله عنك فعفى عنه وانشدوا

وإذا باغ بغا عليك بجهله فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال بعضهم لمسلم ابن قتيبة لما عفى عنه والله ما ادري ايها الامير
اي يوميك اشرف ايوم ظفرت او يوم عفوت وقال الشاعر

ما زلت في العفو للذنوب واطلاق جان بجرمه غلق
حتى تمنى العفاة انهم عندك امسوا في القيد والحلق

ورفع الى انوشروان ان العامة تونب الملك في معاودة الصفح عن المذنبين
مع تتابعهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضا ونحن اطبا وليست
معاودة الدا اياهم بما نعنا من معاودة العلاج اياهم وقال عمر ابن عبد
العزيز ما قرن شي الى شي افضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة وشفع
الاحنف ابن قيس في محبوس الى السلطان وقال ان كان مذنبا وسعه
العفو وان كان بريا وسعه العدل وقيل لبعض الكبرا
بلغ امير المومنين عنك امر سو فقال اذا لا ابالي ميل له ولم لا تبالي
قال ان كان صدق الناقل حقا وسعني عفوه وان كان كذبا
وسعني عدله وقال رجل لعبد الملك ابن مروان لما ظفر بالمهلب
ما رايت احدا يا امير المؤمنين ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا
عفوك وقال بعض التابعين المعاقب مستدع لمعاوية اوليا المذنب

والعافي مستدع لشكرهم اومكافاتهم ايام قدرتهم ولان حنى عليك باتساع
الصدر خير من ان ينسب الى ضيقته وامّا له العثرة موجها اقاله عثرتك من
ربك وعفوك عن الناس موصول بعفو الله عنك وعقابك لهم موصول بعقاب
الله لك والله تعالى يحب العافين **وقال** المنصور عقوبة
الاحرار التعريض وقال المامون لما رايت الذنوب جلت عن المجازاة بالعقاب
جعلت فيها العقاب عفوا امضى من الضرب للرقاب وقال الاحنف
لا تزال العرب بنيه الفضل ما لم تعد العفو ضيما والندا سرفا ومن الحكمة
اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت **وقال**
بعض الحكما اقبل العذر وان كان مصنوعا الا ان تكون ممن اوجب المروة
قطيعته او يكون في قبولك عذره تشجيعه على المكروه او عونه على الشر
فان قبول العذر فيه اشتراك في المنكر **وروي** في بعض الاخبار
ان ملكا من الملوك امر بصنع طعام واحضر رؤسا دولته وامر خادم
ان ينقل الطعام الى مجلسهم فدخل الخادم على كفه صحن مرق فمر في
السماط فلما قرب من الملك ادركته الهيبة فدهش وعثر وانهرق
من مرق الصحن شي على طرف ثوب الملك فامر بضرب عنقه فلما راي
الخادم العزيمة عليه عمد الى الصحن فصب جميع ما كان فيه على راس الملك
فقال له ما هذا فقال يا مولاي انا صنعت هذا شحا علي وغيرة عليك

لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذي قتلتني به لقلة ذنب خفيف
لم يضر واخطا فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور
فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال
فاطرق الملك طويلا ثم رفع راسه وقال يا قبيح الفعال ويا حسن
العذر قد وهبنا عظيم ذنبك لحسن عذرك وانت حر لوجه الله تعالى
فاذهب حيث شئت **ولما** دخل الفيل دمشق حشر
الناس لرؤيته وصعد معاوية في عليته له متطلعا فبينما هو كذلك
اذ نظر في بعض الحجر في قصره رجلا مع بعض خدمه فاتى الحجرة ودق
الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا في
قصري وتحت جناحي تهتك حرمتي وانت في قبضتي ما حملك على ذلك
فبهت الرجل وقال حلمك اوقعني فقال له معاوية فان عفوت عنك
تسترها علي قال نعم فخلى سبيله وهذا من الدها العظيم والحلم الواسع
ان يطلب الستر من الجاني وهو عروض **قول الشاعر**
اذا مرضنا اتيناكم نعودكم وتذنبون فناتيكم فنعتذر
واتي موسى الهادي برجل قد جنى فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال
الرجل ان اعتذاري مما تقرعني به رد عليك واقراري بما ذكرت ذنب
ولكن اقول **شعر**

فإن كنت ترجوا في العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر
فأمر باطلاقهم وقال المهلب لا شيء ابقى للملك من العفو فإن
الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العفو لم يوحشها الذنب وان عظم واذا
خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب وان صغر حتى يضطر ذلك الى
المعصية ومن الحكمة البالغة في هذا قول سابور وقد جمع اولاده
قال يا بني ان اعجزكم ان تملوا قلوب الرعية حبا فاملوها خوفا وليس
ذلك بان تحمل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تجعلها لمستحقها وفي
هذا المعنى قول الله تعالى فشرد بهم من خلفهم وهذا معنى قول سابور
ولا تخالف هذا اما قررنا من حسن العفو بل هذا محمول على الواجب المستحق
أو على ما في تركه اغرا بركوب امثاله فها هنا يكون مفسده فيا ايها
المعاقب إذا اقمت على مذنب عقوبة لا يكن كالمتشفي بعداوة لانك
واياه اخوان لاب وام ادم وحوا لم تفضله بحولك وقوتك بل بها فضلك
الله به طولا عليك فاذكر لو كنت في مقامه وكان في مقامك ولانا من
تقلب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم ولا تنظر في العواقب
فاحذر التفريط والتقصير واقم نفسك مذنبا كمن اقسم اقيم للعقوبة
وليكن عقابك مقدرا كما كان عطاؤك مقدرا وليكن عقابك للتقويم
لا للانتقام وللزجر لا للهوى وعن هذا قال بزرجمهور لا ينبغي للملوك

ان يكرموا احدا بهوان من ليس للهوان اهلا ولا ان يهينوا احدا بكرامة
ما ليس للكرامة اهلا لا تكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا الى
البخل اسرع منك الى البذل وقال الشاعر

صفوح على الاجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي ان يكون به الاذى اذا ما الاذى بالكرم لم يغش مسلما

وقال سليمان بن داود التنكيل والعقوبة امنية الملك الشرير وعلى مثله
يبعث الله ملكا غير رحيم وقال معوية لا ينبغي للملك ان يظهر به غضب
أو رضا الا ثواب أو عقاب وقال اردشير فضل الملوك على السوقة انما هو
بقدرته على اقتنا المحامد واستفادة المكارم وكلما استكثر منها بانت
فضيلته واستحقاقه لموضعه من الولاية عليهم وكلما نقص منها قرب
من السوقة وقال المامون اني لاجد لعفوي لذة اعظم
من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك او امان على ظن بغير يقين
ادخل على نفسه من قبح الخطاء في الرأي اعظم مما ادخل على صاحبه من
العقوبة وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الغالب بالشر مغلوب
وما ظفر من ظفر بالاثم وقيل لافلاطون أي شيء من افعال الناس
يشبه افعال الله تعالى فقال الاحسان الى الناس وقال الحكيم
الحلم افدام السفيه والعفو زكاة العقل قال الحكيم السيد الذي لا يشين

حُسن الظفر بقبح الانتقام وخير مناقب الملوك العفو وكان يحيى بن معاد
يقول سبحان من اذل العبد بالذنب واذل الذنب بالعفو الهي ان
عفوت فخير راحم وان عذبت فخير ظالم الاهي ان كنت لا ترضى الا عن
أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطيون وان كان لا يرجوك الا اهل وفاك
فبمن يستغيث المستغيثون واما قول الشاعر

فان الله ذو حلم ولكن بعين الحلم ينتقم الحليم

ويروي ان الحجاج اخذ قطري ابن الفجا فقال لاقتلنك قال ولم قال
لخروج اخيك علي فقال ان معي كتاب امير المومنين ان لا تاخذني بذنب
أخي قال هاته قال فان معي أوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة
وزر أخرى فتعجب من جوابه وخلى سبيله ولما
وفد عقيل ابن ابي طالب على معاوية امر له بماية الف درهم فلما اراد
الانصراف راى في الطريق جارية باربعين الف درهم فرجع إلى
معاوية فأخبره قال وما تصنع بها قال تلد لي غلاما إن أغضبتني
يضرب مفرقك بالسيف فامر له بها فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل
ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معاوية ضيعة فبلغ الحسن ابن علي فكتب
الى معوية اني لا اجيز بيع مسلم فارسل معاوية الى مسلم فقال هذا الكتاب
للحسين يامر برد المال فقال له مسلم امادون ان اضرب مفرقك بالسيف

فلا فضحك معاويه وقال والله لقد هددني ابوك بذلك قبل ان يشتري
أمك وسوغه المال قال الحسين حين بلغه ذلك فقال غلبنا معاويه حلما
وجودا

الباب السابع والعشرين

في المشاورة والنصيحة وهذا الباب مما يعده الحكما من اساس المملكة
وقواعد السلطنة ويفتقر اليه الرئيس والمروس وقد ذكرنا في باب
الخصال الفرقانيه ونذكرها هنا فوايدها ومحاسنها إعلموا أن
المستشير وان كان افضل راي من المشير فانه يزداد برأيه رأيا
كما تزداد النار بالسليط ضوا فلا يقذفن في روعك انك اذا استشرت
الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى راي غيرك فيقطعك ذلك عن
المشاورة فانك لا تريد الراي للفخر به ولكن للانتفاع به وإن
اردت الذكر كان اخر لذكرك واحسن عند ذوي الالباب لسياستك
ان يقولوا لا ينفرد برايه دون ذوي الراي من اخوانه لا يمنعك عرضك
عن انفاد رايك بطهور صوابك لك عن الاستشارة الا ترى ان ابراهيم
عليه السلام امر بذبح ولده عزيمة لا مشورة فيها فحمله حسن الادب
وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة فيه فقال لابنه فانظر ماذا
ترى وقد امر الله تعالى نبيه عليه السلام بمشاورة من دونه في الراي
والحزم فقال تعالى جل ذكره وشاورهم في الامر قال عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه الراي المنفرد كالخيط السحيل والرايان كالخيطين
والثلاثة الارا لا تكاد تنقطع وروي ان روميا وفارسيا تفاخرا
فقال الفارسي نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومي نحن لا نملك علينا
من لا يشاور والصواب مع الرومي وقال بزرجمهر اذا اشكل الراي على
الحازم كان بمنزلة من اضل لولوة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها
كذلك الحازم يجمع وجوه الراي في الامر المشكل ثم يضرب بعضها
ببعض حتى يخلص له الصواب وكان يقال من كثرة استشارته
حمدت اماراته وفي حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك
الحازم يزداد براي الوزرا الحازمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار
وينال بالحزم والراي ما لا يناله بالقوة والجند ولم تزل حزمة الرجال
يستحلون مرارة قول النصحا كما يستحلي الجاهل المساعدة على الهوى
قال المامون لطاهر بن الحسين صف لي اخلاق المخلوع يعني اخاه الامين
فقال كان واسع الصدر ضيق الادب يبيح من نفسه ما تاباه همم
الاحرار ولا يصغي الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برايه فيرى سوء
عاقبته ولا يردعه ذلك عما يهم به قال فكيف كانت حروبه قال كان
يجمع الكتايب بالتدبير ويفرقها بسوء التدبير فقال المامون كذلك
ما حل محله اما والله لو ذاق لذات النصايح واختار مشورات الرجال

وملك

وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به وقال بعضهم اسعاد الملك الامور
بغير روية يرويها فيه كالعبادة بغير نية ولم تزل العقلا على اختلاف مذاهبهم
يتهدون الغيوب ويستشيرون صواب الراي من كل احد حتى الامة الوكعا
هذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي
وكان يقال من اعطا اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن
اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة
لم يمنع الصواب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ندم من
استشار ولا خاب من استخار وقال بعضهم خمير الراي خير من فطيره
وتاخيره خير من تقديمه وكان عامر بن الطفيل حكيم العرب يقول
دعوا الراي يغب حتى يختمر واياكم والراي الفطير فيحب الاناة في
الراي والتثبت وذكر صاحب التاج ان بعض ملوك العجم استشار
وزراوه فقال احدهم لا ينبغي للملك ان يستشير منا احدا الا خاليا
فانه اصون للسر واحزم في الراي واجدر في السلامة واعفى لبعضنا
من غايلة بعض وكان بعض ملوك العجم اذا شاور مرازبته فقصروا
في الراي دعا الموكلين بارزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطي مرازبتك
وتعاقبنا فيقول نعم لم يخطيوا الا لتعلق قلوبهم بارزاقهم وكانوا اذا
اهتموا اخطوا وكانوا اذا اهتموا بمشاورة رجل بعثوا اليه بقوته وقوت

عيالِه سَنة لتفرغ لبه وكان يقال النفس اذا احرزت قوتها اطمانت واذا
شاوَرْت فاصدق الخبر تصدق فك المشورة ولا يكتم المستشار فتوتى من
قبل نفسك **وَقَالَ** بعض ملوك العجم لا يمنعنك شدة باسك
في باطنك ولا علو مكانك في نفسك من ان تجمع الي رايك راي غيرك فان
احمدت اجبت وان احمقت عذرت فان في ذلك خصالا لا منها ان وافق
رايك راي غيرك ازداد رايك شدة عندك وان خالف رايك عرضته
علي نظرك فان رايته متعليا لما راته قبلته وان رايته متضعا عنه
استغنيت وذلك انه يجدد لك النصيحة ممن شاورته وان اخطى يحصن
لك مودته وان قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة الا انك ان
اصبت مشيرا سلبت فضيلة الاصابه بالسنة الحسدة وقال قايل
هذا اتفاق فلو فعل كذا لكان احسن واذا شاورت واصبت احمد
الجماعة رايك لانهم لنفوسهم يحمدوا وان اخطات حمدت الجماعة خطاك
لانهم عن انفسهم يكافحوا واعلم ان القول الغليظ يستمع لفضل غا قبته
كما يتكاره على شرب الدوا المر لفضل منفعته وقال اعرابي ما غبرت
قط حتى عير قومي قيل له وكيف ذلك قال لا افعل شيا حتى اشاورهم
وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم يا بني عبس فقالوا نحن الف رجل
وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكانا الف حازم وكان ابن هبيرة

امير

امير البصرة يقول اللهم اني اعوذ بك من صحبة من غايته اخوخاصته
نفسه والانحطاط في هوى مستشير وفي حكم الهند من التمس من
الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الاطبا عند المرض ومن الفقها
عند الشبهة اخطا الراي وازداد مرضا وحمل الوزر وقالت الحكما لا
تشاور معلما ولا راعي غنم ولا من يرهقه احد السبيلين وقالوا لا راي
لحاقن ولا لحازق ولا لحاقب ولا تشاور من لا دقيق عنده والحازق
هو الذي ضغطه الخف الضيق والحاقب هو الذي يجد في بطنه ززا
وقالوا من شكا الي عاجز اعاره من عجزه وقالوا مشاورة المشفق
الحازم ظفر ومشاورة المشفق الغير الحازم خطر وقال الاسكندر لا
تستحقر بالراي الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا تستهان لهوان
غايصها **وَقَالَ الشَاعِر**

الراي كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلي الا بمصباح
فاضمم مصابيح ارا الرجال الي مصباح رايك تزدد ضو مصباح

وَقَالَ اخر وعاجز الراي مضياع لفرصته حتى اذا فات امر عاتب
القدرا
يقول يا ليتني او ليت كان كذا ويقبح العتب في امر مضى
وجرا

ومن لطيف ما جري في الاستشارة ان زياد بن عبيد الله الحارثي إستشار
عبيد الله بن عثمان في أخيه ابي بكر ان يوليه القضا فاشار به فبعث
الى ابي بكر فامتنع عليه فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على ابي بكر
فقال أبو بكر لعبيد الله أنشدك الله اتري لي القضا قال اللهم لا قال
زياد سبحان الله استشيرك فاشرت علي به ثم اسمعك تنهاه فقال أيها
الأمير استشرتني فاجهدت لك الراي ونصحتك ونصحت المسلمين
واستشارني فاجهدت له رايي ونصحته **وروي** ان الحجاج
بعث الى المهلب يستعجله حرب الازارقة فكتب اليه المهلب ان من البلا
أن يكون الراي لمن يملكه دون من يبصره **فصل**
في النصيحة إعلم ان النصح للمسلمين وللخلايق اجمعين من سنن المرسلين
قال الله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد
أن يغويكم وقال شعيب النبي عليه السلام ونصحت لكم فكيف أسي
علي قوم كافرين ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وقال النبي عليه
السلام ان العبد إذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين
وروي ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال إن الدين النصيحة
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه
ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم فالنصح في الجملة فعل الشي الذي به الصلاح

والملامة ماخوذ من النصاحة وهي السلوك التي يخاط بها وتصغيرها نصيحة
تقول العرب هذا قميص منصوح اي مخيط ونصحته نصحا إذا خطته ويختلف
النصح في الأشيا لاختلاف أحوال الأشيا فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله
وتنزيهها عن ما ليس باهل له عقدا وقولا والقيام بطاعته وبتعظيمه والخضوع
له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد في مساخطه وموالاة من اطاعه
ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا وارادة
وبث جميع ما ذكرناه في عباده والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة
وتحسينه عند القراة وفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تاويل المحرفين
وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلايق اجمعين قال الله تعالى كتاب
انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر أولوا الألباب والنصيحة للرسول
صلى الله عليه وسلم موازرته ونصرته والحماية من دونه والذب عنه
حيا وميتا واحيا سنته بالطلب واحيا طريقته في بث الدعوة وتاليف
الكلمة والتخلق بالأخلاق الطاهرة والنصيحة للايمة ومعاونتهم على ما
تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة
وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السو واعلامهم باخلاق
عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم في
جميع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم والنصح لجماعة المسلمين

والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم ودعوتهم الى ما يسعدهم وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوساوس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع مونه ونفسه وحوائجه عنهم قال الاصمعي لقط عمر ابن الخطاب رضي الله عنه نواة من الطريق وامسكها بيده حتى مر بدار قوم فالقاها بالدار وقال يا كلها داجنهم والنصح لجميع الملك ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر او بالسيف ان كان ذا سلطان ليكفوا عن قتال المسلمين فيكونوا ذمة والا فالقتل نصحا لله لاقامة امر فيهم روي معاذ ان النبي عليه السلام قال ثلاثة لا يغل عليهن قلب مسلم العمل لله ومناصحة ولاة الامر والاعتصام لجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم وقال جابر بن عبد الله بايعت النبي عليه السلام على السمع والطاعة ولقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم وروي انس ان النبي عليه السلام قال لا يؤمن المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال ابو الدردا العلم يبلغه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر والنصيحة لله لا تثبت الا في قلوب المنتخبين الذين صحت عقولهم وصدقت نياتهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا اولوا العزم كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله من اهدى الي عيوبي وقال ميمون بن مهران قال

لي عمر بن عبد العزيز قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه وقال مالك النصيحة لله في ارضه هي التي بعث الله تعالى بها انبياءه ومن امور الاسلام القصد والنصيحة لعباد الله في امورهم فالنفوس مستثقلة للنصح نافرة عن اهله مايلة الى ما وافق هواها وفي منثور الحكم وذلك من نصحك وولاك من مشى في هواك وكان يقال اخوك من احتمل ثقل نصيحتك وقال بعضهم

عرضت نصيحة مني لزيد فقال غششتني والنصح مر
وما لي ان اكون غششت زيدا او زيدا طاهر الاثواب حر
ولكن قد اتاني ان زيدا تقال عليه في بقعا شر
فقلت له تجنب كل شيء يقال عليك ان الحر حر

وقال اخر وعلى النصوح نصيحتي وعلى عصيان النصوح . وللعطامي ومعصية الشفيق عليك مما يزيدك مرة منه استماعا . وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ولورقة

لو نصحت لاقوام او قلت لهم انا النذير فلا يغرركم احد
لا شيء مما يرى تبقى بشاشته الا الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال ابن وهب انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه

فلا خير لك فيمن لا خير له في نفسه وقال العلما لن ينصحك امرؤ ولا ينصح نفسه
وقال بعضهم رايي ورايك في المعرفة امثل لنفسك من رايك لانه خلو امر
هواك وقال ابو الدردا ان شيتم لانصحن لكم ان احب عباد الله الى الله
الذين يحببون الله الى عباده ويعملون في الارض نصحا **وروي**
ان رجلا لطم ابراهيم ابن ادهم فرفع راسه الى السما وقال الهي انك تعلم انك
بليتني وتعاقبه فلا تبتليني ولا تعاقبه ومن الخصال
التي تجري مجرى الجمال والكمال الحلم

الباب الثامن والعشرين في الحلم

قال الله تعالى إن ابراهيم لحليم اواه منيب وقال تعالى فاصفح الصفح الجميل
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصفح الجميل الرضا بلا عتاب وقيل الصفح
الجميل الرضي بلا توبيخ فيه ولا حقد معه وفي الامثال القديمة كاد الحليم
أن يكون نبيا **ويروي** ان رجلا قال يا رسول الله علمني كلمات
أعيش بهن ولا تكثر علي فانسى قال لا تغضب واعلم ان الحلم أشرف
الاخلاق واحمدها بذوي الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد
واحق الناس به السلطان لانه منصوب لاقامة امور الخلايق ومما رسة
اخلاقهم ولا يطيقون به في حال سلمهم وانما يخشون بابه حين تنازعهم
وخصومتهم وشرودهم وتكدر نفوسهم وضيق اخلاقهم فإن لم يكن معه

حلم يرد به بوادرهم والا وقع تحت حمل ثقيل وكان انوشروان ذو حلم واناة
وكان يقول في خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما
ذرعا يعني الحلم والاناة **وروي** أن يحيى بن زكريا لقي عيسى ابن مريم
عليهما السلام فقال يا روح الله أخبرني باشد الاشيا في الدارين قال غضب الله
تعالى قال يا روح الله وما ينجي من غضب الله قال ترك الغضب قال يا روح
الله كيف بدو الغضب قال التعزز والتكبر والفخر على الناس وفي الحديث
عن النبي عليه السلام قال وجبت محبة الله على من اغضب فحلم والذي بحلمه يضرب
المثل به في هذا الباب قصة اسحاق عليه السلام فقال له ابراهيم يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان
شا الله من الصابرين ثم تله للجبين وامر على حلقه السكين فلم يقل الا خيرا
فقال الله فيه وبشرناه بغلام حليم وفي الاخبار يقول ابليس لعنه الله ان
الحديد من الرجال لم اياس منه وان كان يحيى الموتى بدعايه لانه ياتي
عليه ساعة يحقد فيها فيصير منه الى ما اريد **وروي** ان جعفر
بن محمد دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال له يا امير المومنين
إنك انما تغضب لله فلا تغضب له باكثر من غضبه لنفسه واعلم ارشدك
الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله يعلم حيث يجعل رسالاته فما
افخمها واجل قدرها واعظم شانها لانك إذا كنت أيها السلطان إنما

تتصرف في ملك الله بأمر الله تعالى فالله تعالى قد حدّ حدودًا وشرع شرايع
واقام فرايض وسننًا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خصلة عند
مخالفته حدًا محدودًا ونهى ان يتجاوز ذلك الحد فلا تقتل من استحق القطع
والحبس والادب والحد ولا يقطع من استحق القتل او الادب ولا الحبس
الا من استوجب الحبس وكانت الخلفا يؤدبون الناس على قدر منازلهم
فمن عثر من ذوي المروات أقيلت عثرته ولم يقابل بشي لقول النبي عليه
السلام اقيلوا ذوي الهيات عثراتهم ومن سواهم كان يقابل بشي لقول النبي
عليه السلام اقيلوا ذوي المروات عثراتهم ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته
وهفوته فكان يقام قايمًا في مجلس يقعد فيه نظراوه فتكون هذه
عقوبته وثانٍ دِيْنِه وآخر يشق جيبه وآخر تنزع عمامته من راسه وآخر
يكلم بالكلام الذي فيه بعض الغلظة **وقال** الشعبي كانت
القضاة في زمن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم إذا اخل الرجل منهم بثغره
نزعت عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا اخل بثغره فلما
ولي زياد ضربهم ونزع عمايمهم فلما ولي مصعب ابن الزبير حلق مع الضرب
رؤوسهم فلما ولي بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم مدت ايديهم
وسمرها بمسامير ثم نزع الكراسي من تحت رجليه حتى تخرم أيديهم
فمن ميت ومن حي فلما ولي الرجل المعروف بالحجاج قال كل هؤلاء يلعب

ثمن اخل بثغره ضربت والنفس الشريفة يوثر فيها يسير الكلام **كما قيل**

«من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام»

واعلم ان من تجاوز في العقوبة فوق ما حد الله تعالى فيها شارك المجرم في الذنب
واستوجب ما استوجبه المجرم من العقوبة وليس بالاخر انه انما يعاقب
للهوى والتشفي اذا ما غضب الله تعالى وفي كتاب سليمان ابن داود
القاهر لنفسه اشد ممن يفتح المدينة وحده فقد بيّن الله تعالى أن
السلطان يفتح المدينة ويقهر أهلها ويغلب جنودها وحماتها ويقهر
أهلها ويغلب جنودها ويقهر أبطالها ثم تغلبه شهوته ويبقى أسيرًا
في ذل هواه قد قهرته قينة بطنبورها أو قدح خمر يذهب بعقله
قال اكثم بن صيفي الصبر على تجرع الحلم اعذب من جنا ثمر الندم
وسال علي ابن ابي طالب كبيرًا من كبرا فارس عن احمد ملوكهم عندهم
قال للاردشير فضل السبق غير ان احمدهم سيرة أنوشروان قال
فاي اخلاقه كان اغلبه عليه قال الحلم والاناه فقال علي رضوان الله
عليه هما توامان نتيجتهما علو الهمة ومن محمود السيران تعرف الناس
من اخلاقك انك لا تعجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك أدوم
لخوف الخايف ورجا الراجي **وقال** محمود الوراق

«سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان عظمت منه علي الجرايم»

فما الناس إلا واحد من ثلاثة … شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فاعرف فضله … وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فان قال أوهفا … صنت عن إجابته نفسي وان لام لايم

(اصون بها عرضي)

وأما الذي مثلي فان زل أوهفا … تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

وقال الأصمعي سمعت اعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقدن بين جنبيك جمرة الغضب واردد إساءته بالحلم فانّ شجرة النار إذا الحت عليها الرياح حاكت أغصانها فتشتعل نارا وتحترق من أصولها وقال عمر ابن عبد العزيز ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر عفّ وكف **وسئل** جعفر بن محمد عن حدّ الحلم فقال وكيف يعرف فضل شي لم ير كماله في احد وقال الاحنف لابنه يا بني إذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه فإن أنصفك وإلّا فاحذره **وقال الشاعر**

إذا كنت مختصا لنفسك صاحبا … فمن قبل أن تبدله بالودّ أغضبه

وكان سالم ابن نوفل سيد بني كنانة قد ضربه رجل من قومه بسيفه فاخذ فاتي به اليه فقال ما الذي فعلت أما خشيت انتقامي قال فلم سودناك إلّا ان تكظم الغيظ وتعف عن الجاني وتحلم عن الجاهل

وتحمل

وتحمل المكروه في النفس والمال تحلي سبيله فقال قايلهم

سود أقوام وليسوا بسادة … بل السيد المعروف سالم ابن نوفل

وقال رجل من كلب للحكم ابن عوانه انما انت عبد فقال والله لاعطينك عطيه ما يعطيها العبيد فاعطاه مايه راس من السبي ومن أمثال العرب احلم تسد **ويروي** ان هشام يوما غضب على رجل من أشراف الناس فشتمه فوبخه الرجل وقال أما تستحي أن تشتمني وانت خليفة الله في الأرض فاستحي هشام وقال اقتص قال الرجل فانا إذا سفيه مثلك قال فخذ عن ذلك عوضا من المال قال ما كنت لافعل قال فهبها لله قال هي لله ثم لك فنكس هشام رأسه وقال والله لا أعود لمثلها ابدا **وقال الشاعر**

لم يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا … حتى يذلوا وان عزوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوان مسفرة … لا صفح ذل ولكن صفح إكرام

وقال آخر وجهل رددناه بفضل حلومنا … ولو اننا شئنا رددناه بالجهل

رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة … وعدنا على اهل السفاهة بالفضل

وقال هشام لخالد بن صفوان صف لي الاحنف بن قيس فقال يا أمير المومنين ان شئت أخبرتك عنه بثلاث وان شئت باثنين وان شئت بواحدة قال أخبرني عنه بثلاث قال كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق إذا

نزل به قال فاخبرني عنه باثنين قال كان يأتي الخير ويتوقى الشر
قال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه
وقال اكثم بن صيفي الغلبة والعز للحلم وقال الأحنف وجدت الحلم
أنصر لي من الرجال وصدق الأحنف فان من حلم كان الناس انصاره
كما روي ان رجلا اسرع في شتم بعض الادبا وهو ساكت فحماه
بعض المارين في الطريق وقال له يرحمك الله ألا أنتصر لك قال لا
قال ولم قال لأني وجدت الحلم انصر لي من الرجال وهل حاميت لي
الا لحلمي وقال رجل لعمرو بن العاص والله لأتفرغن لك قال الان
وقعت في الشغل يا ابن اخي وقال عبد الله ابن عمرو ان رجلا ممن كان
قبلكم استضاف قوما فاضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت والله لا انبح
ضيف أهلي الليلة فعوى جراوها في بطنها فبلغ ذلك نبيا لهم او قيلا
من اقيالهم فقال مثل هذا مثل امة تكون بعدكم تظهر سفهاوها على
حلماوها **وقال** الاحنف إياكم ورأي الأوغاد قالوا
وما الأوغاد قال رأي الاوغاد الذين يرون الصفح والعفو عارا
وسئل الأحنف عن الحلم فقال هو الذل تصبر عليه ولست بحليم
ولكني صبور ويروى أن المهلب نازعه رجل من كبار بني تميم
فربا على المهلب والمهلب ساكت فقيل له في ذلك فقال كنت إذا شتمني

استحيت من سخف الشباب ورغبت عن غلبة اللئام والسفلة وكان
إذا سبني تهلل وجهه وسمحت نفسه فان ظفر ففضل الفحم وبذل المروة
وخلع ربقة الحيا وقلة الاكترات بسو الثنا **ومر** المسيح يوما على
قوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون
شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال اكثم بن صيفي
من حلم ساد ومن فهم ازداد وكفر النعمة لوم وصحبة الجاهل شوم
ولقا الاخوان غنم والمباشرة يمن ومن الفساد اضاعة الزاد وسب
رجل الشعبي بقبايح نسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك
وان كنت صادقا فغفر الله لي **وقال** رجل لابي بكر الصديق
رضي الله عنه لأسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال ابو بكر
معك والله يدخل لا معي وقال رجل للأحنف ابن قيس ان قلت لي
كلمة لتسمعن عشرا فقال له الأحنف لكنك لو قلت لي عشرا لم تسمع
مني واحدة ويروى ان رجلا سب الأحنف وهو يماشيه في الطريق
فلما قرب من المنزل وقف الأحنف فقال يا هذا إن كان بقي معك شي
فقله ها هنا فاني اخاف أن يسمعك فتيان الحي فيوذوك **وسب**
رجل بعض الحكما فقال له الحكيم لست أدخل في أمر الغالب فيه شر من المغلوب
وقال لقيط ابن زرارة **شعر**

فقل لبني سعد فما لي وما لكم ترقون مني ما استطعتم واعتق
أعزكم اني باحسن شيمة بصير واني بالفواحش احرق
وانك قد ساببتني فقهرتني هنيا مريا انت بالفحش أحرق

وقال رجل لابي ذر أنت الذي نفاك معاويه من الشام لو كان فيك خيرا ما نفاك فقال يا ابن أخي ان وراي عقبة كؤدا لا يقطعها الا من خف ان نجوت منها ما يضرني ما قلت وإن لم أنج منها فانا شر مما قلت **وقال** لقمان لابنه يا بني ثلاث لا يعرفون الا عند ثلاث لا يعرف الحلم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض الحكما فاعرض عنه فقال إياك اعني فقال له الحكيم وعنك اعرض وفي هذا المعنى **قيل**

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمي اصم واذني غير صماء

وقيل يوما للاحنف ما أحلمك فقال لست بحليم ولكني اتحالم والله اني لاسمع الكلمة فاحم لها ثلاثا ما يمنعني من جوابها الا الخوف ان أسمع ما هو شر منها **وقال الشاعر**

وليس يتم الحلم للمرء راضيا إذا كان عند السخط لا يتحلم
كما لا يتم الجود للمرء موسرا إذا كان عند العسر لا يتجشم

ويروى ان رجلا سب جعفر بن محمد رضي الله عنه فقال أما ما قلت

مما هو فينا فانا نستغفر الله منه وما قلت مما ليس فينا فانا نكلك فيه الى الله تعالى **وقال** بعض الحكما احذروا الغضب فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله تعالى وقال اكثم بن صيفي لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه انه لضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحمق انه لمفسد ومن اشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

إذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا اصبت حليما او اصابك جاهل

ووصف اعرابي رجلا فقال كان أحلم من فرخ طاير وقال اعرابي ان الغضب عدو العقل وكذلك يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم **وقال** صعصعة بن صوحان الغضب مقدحة للعقل فربما أصلد وربما أزند وقال اعرابي إذا جا الغضب تسلط العطب وكان أبو عون إذا غضب على احد من أهله قال سبحان الله بارك الله فيك وقال الاصمعي دفع اردشير الى رجل كان يقوم على راسه كتابا وقال له إذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه الي وكان فيه اسكن فلست باله انما أنت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا ويصير عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة اول من سنها ملك تبع أمر ان يكتب في كتاب اسكن فلست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فاعرضه علي فكان إذا غضب عرضها عليه فاذا

قرا اما سكن غضبه **قال** معاوية افضل ما أعطي الرجل
العقل والحلم فإذا ذكر ذكر وإذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر
وإذا غضب كظم وإذا قدر عفا وإذا اسا استغفر وإذا وعد انجز
وفي الحكم مكتوب من اطاع الغضب حرم السلامة ومن
عصى الحق عمه الذل وقال بعض الحكما كظم الغيظ حلم والحلم صبر
والتشفي ضرب من الجزع وقال اخر اول الغضب جنون واخره ندم وقال
بعض الحكما إذا غلب على الرجل اربع خصال فقد عطب الرغبه والرهبه
والشهوة والغضب **وقيل** لبعض الصالحين ان فلانا
يقع فيك فقال لاغضبن من امر يغفر الله لي وله وقيل ومن أمر
قال الشيطان وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك
ويذكرك باشيا رحمتك منها قال فهل سمعتني اذكره بشي قال لا
قال فاياه ارحم وقال فضيل ثلاثه لا يلامون على الغضب المريض
والصايم والمسافر **وقال** الاحنف ابن قيس لقد تعلمت
الحلم من قيس ابن عاصم المنقري اني لجالس معه في فناء وهو يحدثنا
إذ جاه جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل مكتوف فقيل هذا ابنك
قتله اخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه
ثم انشا يقول **هذه الابيات**

أقول للنفس تاسيا وتعزية ... احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق عمك ووار اخاك وسق الى
امه مايه من الابل فانها غريبة ومن انبل بيت قالته العرب قول بعضهم
فصح بالخير خرس بالخنا رجح الاحلام ذبال الازر **وقال** غيره
باحلام عاد لا يخاف جليسهم اذا نطق العورا غرب لسان إذا حدثوا
لم يخش سوء استماعهم وان حدثوا ادوا احسن بيان وقال المسيح
عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب
وما عبادة من لم يتواضع للرب وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا
ينتقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما فقال هما بعد العقوبة أعذر في
ثلبي وتنقيصي **وقال** بعض الحكما متى اشفي غضبي
حين أقدر فيقال لو عفوت أم حين اجهل فيقال لو صبرت وسيل بعض
الاصحاب للاحنف أكان الاحنف يغضب فقال نعم لو لم يغضب
ما بان حلمه كان يغضبه الشي فيبين في وجهه اليومين والثلاثه
وهو يصبر ويحلم ومن لم يغضب من الاشيا التي مثلها يغضب
فقد فقد من الفضايل الشجاعة والانفة والحمية والدفاع والاخذ
بالثار والغيرة لان هذه الخصال نتايج الغضب فمن فقد الغضب فقد

الفضايل على ما سنذكره في باب الشجاعة إن شا الله وعند فقد الشجاعة
تكون المهانة ومن المهانة تكون سفساف الاخلاق ورذالة
الطباع فلا يبقى لساير فضايله موقع وكان يقال من لا يغضب
فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب **وكان**
الشعبي يقول الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من
استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو جبار
وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب
لله لا لنفسه بل عند انتهاك حرمات الله تعالى واعلم ان الله تعالى انما
مدح من كظم الغيظ فقال والكاظمين الغيظ **وقد انشد**
النابغة الجعدي بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه إن تكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فلم ينكر النبي عليه السلام قوله وكان ابن عمر إذا سافر استتبع سفيها
ويقول نستدفع به شر السفها **واعلموا** أرشدكم الله إن
أحسن خصال الملوك وأجلها قدرا وأعظمها في النفوس موقعا وأعمها
على الرعايا نفعا وأخلدها على مر الأيام ذكرا وأجملها في المحافل
والمجالس نشرا وهي الفضيلة التي تعم ساير الفضايل ويكمل بها ساير

المحاسن وهي حلية الأنبيا ولبس الأصفيا والأوليا وجمال السوقة
والروسا وهي الحلم وها أنا اتلوا عليك من ذلك ما نقضي به العجب
هذه دولة ال العباس اولهم ابو العباس السفاح والى يومنا هذا
لم يكن فيهم احلم من المامون بلغ من حلمه انه كان يقول لو علم الناس
ما لي في لذة العفو ما تقربوا الي الا بالجرايم فعم حلمه ساير خلفاء
بني العباس حتى صار يضرب المثل بحلمه وبهذه الخصلة تهيأ ملكه
وقهر اخاه الامين **ومنها** دولة بني امية اولهم معاوية
ابن ابي سفيان وآخرهم مروان الجعدي لم يكن فيهم احلم من معاوية
لا جرم انه دانت له الدنيا وملك بها رقاب العرب والعجم حتى لم
يبق له منازع وصار حلمه يضرب به المثل ويقتدي به الخلق ويتخلق
به العقلا وبلغ من حلمه انه كان يقول لو كانت بيني وبين الناس
شعرة ما انقطعت إذا اجذبوها تركتها وإذا تركوها جذبتها
وقالوا لزياد بما ضبطت العراق قال بالسيف فقال انا ضبطت
العراق والحجاز واليمن والشام بالحلم وهذه دولة الفرس وكانت
اعظم دول الأرض وأشدها باسا وأكثرها علوما وحكما لم يكن
في أكاسرتها أحلم من كسرى أنوشروان وصار يضرب بحلمه المثل
وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات **ويروى** أن

أمير المومنين علي ابن ابي طالب رضوان الله عليه لقي كبيرا من كبرا
فارس فقال له ما احمد خصال ملوككم لسيرونه واحمدهم
سيرة ابو شروان فقال له علي وما كان اغلب خصاله عليه قال الحلم
والاناة قال علي هما توام ينتجهما علو الهمة وبلغ من حكمه انه كان
يضيق صدره بحلمه فكان يقول في خصلتان لولا انهما ظاهرتان
عند الرعية لصفت بهما دعا الحلم والاناة فاحلق بخصلة يعم منفعتها
ويبقى على الدهر جمالها ويخلد في العقلا والعلما والملوك واسوقه بهجتها
وحسن مصادرها ومواردها ان تتخذه الملوك شعارا ودثارا وانما
قصدت ذكرها للملوك وخاصة فاما الرعايا كالاحنف بن قيس وانظارهم

الباب التاسع عشرين

فيما به يسكن الغضب فاول ذلك انك لو نظرت الى تغير اشكالك
وتبدل صورتك واحمرار وجهك وانتفاخ اوداجك وذهاب
حيايك وسقط كلامك وفحش ما يخرج من فيك لامسكت عن الغضب
ولطال ما كنت تستحي ان تتكلم بين يدي الجلسا باليسير الجاير
فقد تهدر بالكثير الفاحش ولو ان من غضب استذكر اذا صحا
وسكن غربه انقلاب صورته وتغير وجهه واضطراب شفتيه
وارتعاد اطرافه وسقط كلامه وفحش خطابه والتفات لسانه

دخله

وخفة عقله وطيشته كانه بهيمة وتوبه من مجلسه كانه نمر وسرعته
عند التفاته يمينا وشمالا كانه قرد وعدم فهمه لما يسمع وقلة
التفاته الى من يعظه وينصحه كانه احمق ولعمري ان الغضب
قد يزيد على الحمق ومن شوم الغضب وعظم بليته انه قد يقتل النفوس
ويسلب الارواح وكان سبب موت مروان ابن عبد الملك انه
وقع بينه وبين اخيه سليمان كلام فجعل عليه سليمان فقال يا من
لحق امه ففتح فاه ليجيبه واذا اخذ به عمر ابن عبد العزيز فامسك على
فيه ورد كلمته فقال يا ابا عبد الملك اخوك وامامك وله السن عليك
فقال يا ابا حفص قتلتني والله قال وما صنعت بك قال ردد في جوفي
احر من الجمر ومال لجنبه فمات ولعمري انه يزيد على الحمق ومنها انه
ينتقل عن الحالة التي كان عليها الى حالة غيرها كانت الفرس تقول
اذا غضب القايم فليجلس وان كان جالسا فليقم وبهذا المذهب
كان المامون ياخذ نفسه **ويروي** ان رجلا شكى
الى النبي عليه السلام القسوة فقال اطلع الى القبور واعتبر بالنشور
وقال بعض ملوك الطوايف اذا غضب الفتى بين يديه
مفاتيح منزل الملك فيزول غضبه وكان عكرمة يقول
في قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت يعني اذا غضبت فانه

إذا ذكر الله تخاف منه فيزول غضبه **وفي التوراة**
يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا
محقتك فيمن امحق ومنها أن يتذكر نفرة القلوب عنه وسقوط
منزلته عند أبناء جنسه ووصفهم لقبائحه وطيشه وسخفه فيكون
ذلك سببًا لزوال غضبه ومنها أن يتذكر انعطاف القلوب عليه
وانطلاق الألسنة بالثناء عليه وميل النفوس إليه فإن الحلم عز وزين
وإن السفه ذل وشين **وروي** أبو سعيد أن النبي عليه
السلام قال ما ازداد رجل بعفو إلا عزا فاعفوا يعزكم الله وقال
بعض الحكما من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله وكتب
بعض ملوك الفرس كتابًا ودفعه إلى وزيره وقال له إذا غضبت
فناولنيه وفيه مكتوب ما لك وللغضب إنما أنت بشر ارحم من في
الأرض يرحمك من في السما **وكان** معاوية كثيرًا ما ينشد

إنا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصت السامع للقايل
واعتلج الناس بآرائهم ... نقضي بحكم عادل فاصل
نخاف أن يسفه أحلامنا ... فيخمل الدهر مع الجاهل

وقال بعض البلغا إياك وعزة الغضب فإنها تفضي إلى ذلة العذر
وقال الشاعر وإذا ما اعترتك في الغضب العزة فاذكر تذلل

الاعتذارا

الاعتذار وقال بعض الشعرا رزينا على غير الفواحش ثمنا ولم
نسخر إلا الذي هو أجوز **وقال** عبد الملك بن مسلم ابن حارب
لهارون يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك
وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي إلا ما عفوت عني فعفا عنه
لما ذكره قدرة الله عليه **وقال** رجا ابن حيوة لعبد الملك
ابن مروان في أسارى ابن الأشعث إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر
فأعط الله ما يحب من العفو **وقال** المأمون لإبراهيم بن المهدي
وكان مع أخيه عليه إني شاورت في أمرك فأشاروا علي بقتلك إلا أني
وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك فقال يا أمير
المؤمنين إن المستشار أشار بما جرت به العادة من السياسة إلا أنك
أبيت أن تطلب الظفر والنصر إلا من حيث عودته من العفو فإن عاقبت
فلك نظير وإن عفوت فلا نظير لك **وأنشأ يقول**

البر مني وطي العذر عندك لي ... فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متهم

وقال بعض الحكما الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لوم ومنها
أن يتذكر ما يؤول إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام وشروع
القصاص في يديه بين يدي من لا يرحمه فإن ذلك مما يردعه عن الغضب

الباب الثلاثون في الجود والسخا

وهذه الخصلة الجليل قدرها العظيم موقعها الشريف موردها ومصدرها
وهي احدى قواعد المملكة واساسها وتاجها وجمالها تعنو لها الوجوه
وتذل لها الرقاب وتخضع لها الجبابرة وتسترق لها الاحرار وتستمال
بها الاعدا وتستكثر بها الاوليا ويحسن بها الثنا وتملك بها القربا
والبعدا وتسود بها في غير عشايرهم الغربا وهذه الخصلة بالعزايم
الواجبات اشبه منها بالجمال والمتممات وكم قد راينا من كافر
ترك دينه والتزم دين الاسلام ابتغا عرض قليل من الدنيا يناله وكم
قد سمعنا من مسلم ارتد في أرض الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا
واخلق بخصلة يبذل الانسان لها دينه الذي يبذل دونه نفسه أن
تكون جليلة القدر عظيمة الخطر واحوج خلق الله اليها اقدرهم الى
عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة فاعلموا
يا معشر من وسع الله عليه دنياه واسبغ عليه الاه ونعماه انكم لستم في
الجنة لا ولهذا وصف بعض البلغا رجلا بخيلا فقال هو حلم من حيث
جيته وجدت لا وحسبك بكلمة لا تدخل الجنة سقوطا وضعة وانما
أسست الجنة على من تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وهذه الخصلة اعني
الكرم والجود والسخا والايثار بمعنى واحد ويوصف البارى تعالى

بالجود

بالجود ولا يوصف بالسخا كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل لعدم
التوقيف وحقيقة الجود ان لا يصعب عليه البذل ويقال السخا
هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن أعطى البعض وأمسك البعض
فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن اثر غيره
بالحاصر وهي هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار **وقال**
ذا النون بداية السخا أن تسخو نفسك بما في يديك ونهايته ان تسخو
نفسك بما في أيدي الناس للناس وان لا تبالي من أكل الدنيا تذاكر
قوم من الزهاد عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون الدنيا ويكثرون
من ذلك فقالت رابعة من احب شيا أكثر من ذكره وأصل السخا
هو السماحة وان تاتي بما ياتيه من طيبة نفس وقد يكون المعطي
بخيلا إذا صعب عليه البذل والممسك سخيا إذا كان لا يستصعب
العطا وان منع ولهذا قال علماونا إن الله تعالى لم يزل جوادا
وان لم يقع منه عطا في الازل لان العطا فعل والفعل في الازل
مستحيل **وقال** الحكما أيها الجايع لا تخدعن والماكول
للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو قال الله تعالى ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال ابو هريرة جا رجل الى النبي
عليه السلام فقال يرسول الله اني جايع فاطعمني فبعث النبي عليه السلام

إلى أزواجه فقلن والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الما فقال النبي عليه
السلام ما عند رسول الله ما يطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه
الليلة يرحمه الله فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله فحمله إلى منزله
وقال لأهله هذا ضيف النبي عليه السلام فأكرميه ولا تدخري عنه
شيئا فقالت ما عندنا إلا قوت الصبية فقال قومي فعلليهم عن قوتهم
حتى يناموا ثم اسرجي وابرزي العشا فإذا اخذ الضيف يأكل قومي
كأنك تصلحي السراج فاطفيه وتعالي نمضغ ألسنتنا لضيف النبي عليه
السلام ففعلت وجعلا يمضغان ألسنتهما والضيف يظن أنهما يأكلان
وباتا طاويين فلما أصبحوا ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إليهما فتبسم
ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة ونزل ويؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة الآية وقال أنس اهدي إلى بعض الصحابة رأس
شاة مشوية وكان مجهودا فوجه بها إلى جار له فوجه به الجار إلى أهل
بيت آخر فتداولته سبعة أبيات حتى عاد إلى الأول فنزلت ويؤثرون
على أنفسهم الآية وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب
ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته
فإذا أنا به بين القتلى فقلت أسقيك ما فأشار أن نعم فإذا رجل يقول
آه فأشار ابن عمي أن انطلق إليه فجئته فإذا هو هشام ابن العاص

فقلت

فقلت أسقيك فسمع آخر يقول آه فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا
هو قد مات ورجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى ابن عمي
فإذا هو قد مات **وروت** عائشة رضي الله عنها قالت قال
النبي عليه السلام السخي قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة
بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة
قريب من النار والجاهل السخي أحب إلى الله تعالى من العالم البخيل
وروي أن النبي عليه السلام قال ابن آدم إنما لك من مالك
إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت واعلم
أن السخا على وجوه سخا في الدنيا وسخا في الدين فالسخا في الدنيا البذل
والعطا والإيثار وسماحة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبغض جمع المال وتعاهد
الإخوان مسرورا قلبه بذلك والسخا في الدين أن يسخو نفسه أن يتلفها
لله تعالى ويريق دمه في الله بسماحة من غير كراهة لا تريد بذلك
ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كان غير مستغن عن الثواب لأن الغالب
على قلبه حسن كمال السخا بترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله به
ما لا يحسن أن يختاره لنفسه **وقيل** لعمر ابن الخطاب رضي الله
عنه من السيد قال الجواد إذا سئل الحليم إذا استجهل الكريم المجالسة

لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره وقال النعمان ابن المنذر
يومًا لجلسائه من أفضل الناس عيشًا وانعمهم بالًا وأكرمهم طباعًا ه
وأجلهم في النفوس قدرًا فسكت القوم فقام فتًا فقال ابيت اللعن
أفضل الناس عيشًا من عاش الناس في فضله قال صدقت وقال
الحسن باع طلحة ابن عثمان أرضًا بسبعماية الف درهم فلما جاءه المال
قال ان رجلًا يبيت هذا عنده ولا يدري ما يطرقه لعزيز بالله تعالى
ثم جعل رسوله يختلف حتى قسمها وما أصبح وعنده منها درهم
وكان اسما ابن خارجه يقول ما أحب ان ارد احدًا عن حاجته لانه
إن كان كريمًا اصون عرضه وان كان لييمًا أصون عنه عرضي وكان
مورق العجلي يتلطف في ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند
احدهم الف درهم ويقول لهم امسكوها حتى اعود اليكم ثم يرسل
اليهم انتم منها في حل وقال القعنبي اعطي الحكم ابن المطلب جميع ما يملكه
فلما نفد ما عنده ركب فرسه واخذ رمحه يريد الغزو ومات بمنبج
فاخبرني رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو مملق لا شي معه
فاغنانا فقيل كيف أغناكم وهو مملق قال ما أغنانا بمال ولكنه
علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا وأكرم العرب.
في الاسلام طلحة ابن عبيد الله جاءه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال

هذا حايطي بمكان كذا وكذا وقد أعطيت به ستماية الف درهم
يراح الي بالمال العشيه فان شيت فالمال وان شيت فالحايط ويروى
ان رجلًا بعث الى حنظلة بجارية فوافته بين اصحابه فقال قبيح
ان اتخذها لنفسي وانتم حضور وأكره ان أخص بها واحدًا منكم
وكلكم له حق وحرمه وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين
رجلًا فامر لكل واحد منهم بجارية أو وصيف وقيل
لقيس ابن سعد هل رأيت قط اسخا منك قال نعم نزلنا بالبادية على
امراة بحضور زوجها فقالت انه نزل بك ضيفان فجا بناقة فنحرها ه
وقال شانكم فلما كان الغد جا باخري فنحرها وقال شانكم فقلنا ما
أكلنا من الذي نحرت البارحة الا اليسير فقال اني لا اطعم اضيافي
الغاب فبقينا عنده اياما والسما تمطر وهو يفعل كذلك فلما اردنا
الرحيل وضعنا ماية دينار في بيته وقلنا للمراة اعتذري لنا منه
ومضينا فلما طلع النهار واذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب
اللئام اعطيتمونا ثمن القرى ثم انه لحقنا وقال لتاخذونها والا طعنتكم
برمحي فاخذناها وانصرف وقال ميمون ابن مهران من
طلب مرضات الاخوان بلا شي فليصحب أهل القبور وقال ابن عباس
لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجله فقد هنا ه

وإذا صغّره فقد عظّمه وإذا ستره فقد تمّمه وقال الحسن
كان احدهم يشق ازاره لاخيه بنصفين وقال المغيرة في كل شي
سرف الا في المعروف وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال
لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى نظمه محمد بن حازم فقال
لا الفقر عار ولا الغنى شرف ولا سخاء في طاعة سرف ما لك الا
شي تقدمه وكل شي اخرته تلف واما طلحة ابن عبد الله ابن خلف الخزاعي
المعروف بطلحة الطلحات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم
البذل في كل وجه وكان يبتاع الرقاب ويعتقها وكان كل
معتق يولد له ولد ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم الف رجل كل سمي
طلحة فسمي طلحة الطلحات ثم ولي سجستان وفيه يقول

نضّر الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

وبلغنا ان معلمه كان في الكتاب بالحجاز قد قعد به الدهر فارسل
إليه مع غلامه مائة الف وقال سلمها اليه فان يكن قد مات وله
ولد فادفعها إلى ولده وان لم يكن له ولد ففرقها في قومه فوافاه
الرسول وقد مات ولم يعقب ففرقها في قومه وقال
زيد ابن أسلم وكان من الخاشعين يا ابن ادم امرك الله أن تكون
كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون لئيما وتدخل النار وقال حكيم

ابن

ابن حزام ما اصبحت قط صباحا لم ارى ببابي طالب حاجة الا عددتها
مصيبة أرجوا ثوابها وقال ابو علي الثقفي المعروف كنز
لا ينفد من بر ولا فاجر وكان الزبير من اجود الناس واشجعهم
ولما مات وجد عليه مائتي الف دينار ووجد مكتوبا على جوانبه انتهز
الفرص عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم ما لم ياتك واعلم ان تقتيرك
على نفسك هم ما لم ياتك واعلم ان تقتيرك على نفسك توفير الخزانة غيرك
فكم من جامع لبعل حليلته وقال علي رضي الله عنه ما جمعت
من المال فوق قوتك فانما انت فيه خازن لغيرك وروى مالك في
الموطا ان مسكينا سأل عايشة رضي الله عنها وهي صايمة وليس في
بيتها الا رغيف فقالت لخادمتها اعطه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين
عليه غيره فقالت اعطه اياه ففعلت فلما امسينا اهدى لنا أهل بيت
شاة وكفنها يعني ملفوفة بالزعفران بالرقاق فقالت عايشة كلي هذا خير
من قرصك وقال عبد الله بن عمر ما كان احدنا على عهد
رسول الله عليه السلام يحسب ان له في الفضل شيئا وقال الحسن
كنا نعد البخيل من يقرض اخاه الدرهم ومن عجايب ما روي في الايثار
ما ذكره ابو محمد الازدي قال لما احترق المسجد بمصر ظن المسلمون
ان النصارى أحرقوه فاحرقوا خانا لهم فقبض السلطان على جماعة من

الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد
ونثرها عليهم فمن وقعت له رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل
بيد رجل فقال ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجنبه بعض الفتيان
فقال له في رقعتي الجلد وليست لي أم فادفع لي رقعتك وخذ رقعتي ففعلا
فقتل هذا وتخلص هذا **وحكي** ان ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع
عنده نيف وثلاثين رجلا بقرية بقرب الري ولهم ارغفة لم تسع جميعهم
فكسروا الرغفان وأطفوا السراج وجلسوا للطعام الى أن اكتفوا فلما
رفع الطعام وجد بحاله لم ياكل واحد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه
وروي انه اجتمع بالرملة جماعة من ارباب القلوب فحضر طبق
فيه تين طيب وتين اخضر وقد غسق الليل فكان الواحد منهم يمد يده
فان ظفر بحبة خضرا اكلها وإن ظفر بطيبة تركها لصاحبه ولم ياكلها
فلما رفع الطبق إذا الطيب كله في الطبق لم ياكلوا منه شيئا **وقال**
بعض الرواة دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرا
من الثياب فقلت يا ابا نصر الناس يزيدون الثياب في مثل هذا اليوم
وانت قد نقصت قال ذكرت الفقرا وما هم فيه ولم يكن لي ما
أواسيهم به فاردت ان أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد وقال
الأستاذ ابو علي لما سعي غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة

امر

أمر بضرب اعناقهم فاما الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب
ابو ثور واما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم وبسط
النطع لضرب اعناقهم فتقدم النوري فقال السياف تدري لماذا تتقدم
قال نعم قال وما تعجيلك قال أوثر اصحابي بحياة ساعة فتاخر السياف
وأنهى الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضي ليتعرف حالهم فالقى القاضي
على ابي الحسين النوري مسايل فقهية فاجاب عن الكل ثم اخذ يقول
وبعد فان لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد
الفاظا حتى ابكى القاضي فارسل الى الخليفة وقال ان كانوا هؤلاء
زنادقة فما على وجه الأرض مسلم **ولما** مرض قيس ابن سعد
ابن عبادة استبطا اخوانه في العيادة فسال عنهم فقيل له انهم يستحيون
مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة
ثم امر من ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت
عتبته بالعشي لكثرة العواد **ويروى** ان عبد الله بن جعفر
وكان احد الأجواد خرج الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام
اسود يقوم عليها فاتى بقوته بثلاثة اقراص فدخل كلب فدنا من الغلام
فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد
الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم

اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب وانه جا من مسافة
بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي
يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الامر على السخا ان هذا لاسخى مني
فاشترى الحايط والغلام وما فيها من الالات فاعتق الغلام ووهب
ذلك له **وقال** الثوري رايت محمد بن سوقه بالغداة
صاحب ماية الف وبالعشي سالنا له من اصحابه خبزة وقال ابو
عبد الرحمن دخل ابو عبد الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده
غايبا وهناك بيت مقفل فاكسروا القفل وامر بجميع ما وجد فيه
فانفذوه الى السوق وباعوه واصلحوا قوتا من الثمن وتغدوا الجا
الرجل فلم يقل شيا فدخلت امراته بعدهم الدار وعليها كسا وه فدخلت
بيتا ورمت بالكسا وقالت يا اصحابنا هو ايضا من جملة المتاع فبيعوه
فقال زوجها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت له اسكت مثل الشيخ
يباسطنا ويحكم علينا وبقي لنا شي ندخره عنه **واما** عبد الملك
ابن عمر فورث خمسة الاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال
ما كنت لاسال لاخواني الجنة في صلاتي وابخل عليهم بمالي ويروى
ان الاشعث ابن قيس ارسل الى ابن عدي ابن حاتم يستعير منه قدورا
كانت لابيه حاتم فملاها وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة
وقال

وقال بزرجمهر لا عز اثبت اركانا ولا ابذخ بنيانا من بيت الكرم
واكتساب الشكر وذلك ان عز التعظيم بالفعل الجميل باق في قلوب
الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بمن ناواه وربح
الشكر والثواب **ويروى** ان عبد الله بن ابي بكر وكان احد
الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امراة فاخرجت
كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض
غلمانكم فاني امراة من العرب مات خادمي منذ ايام فشرب عبد الله
الما وقال يا غلام احمل اليها عشرة الاف درهم فقالت سبحان الله اتسخر
بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين الفا فقالت اسال الله تعالى العافية
فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين الف درهم فما امست حتى كثر خطابها
وقال بعض الرواة قصد رجل الى صديق له فدق عليه
الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال اربعماية درهم علي دين فدخل
الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار باكيا فقالت امراته هلا تعللت
حين شق عليك الاجابة فقال انما ابكي لاني تفقدت حاله حتى احتاج
الى مكاشفتي **وقال** اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع
وان وقع وجد له متكا وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا
وروي ان امراة من المتعبدات انها قالت لحيان ابن هلال وهو

في جماعة من اصحابه ما السخا عندكم قالوا البذل والايثار قالت لنا
السخا في الدين قال ان تعبد الله سبحانه سخية به نفسك غير مكرمة
قالت افتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم لان الله تعالى وعد على الحسنة
بعشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فباي شي
تسخيتم وانما السخا ان تعبدوا متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين
لا تريدون بذلك اجرا الا تستحيون ان يطلع الله على قلوبكم فنعلم منها
انها تريد منه شيا بشي **وقالت** بعض المتعبدات لبعض
المتعبدين اتظن السخا في الدينار والدرهم فقط انما السخا في بذل
مهج النفوس لله تعالى فقال ابو بكر الدقاق ليس السخا ان يعطي
الواجد المعدم انما السخا ان يعطي المعدم الواجد **وقال**
الشيخ ابو عبد الرحمن كان الاستاد ابو سهل الصعلوكي من الاجواد
لم يناول احدا شيا بيده وانما كان يطرحه على الارض فيتناوله
الاخذ من الارض وكان يقول الدنيا اقل خطرا من ان ترى من اجلها
يدي فوق يد اخرى **وقد** قال النبي عليه السلام اليد العليا خير
من اليد السفلى وكان يتوضى يوما في صحن داره فدخل عليه انسان
وساله شيا فلم يحضره شي فقال اصبر حتى افرغ فصبر فلما فرغ قال
خذ القمقمة واخرج فلما علم انه بعد صاح وقال دخل انسان واخذ

القمقمة

القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلزمونه
على البذل وفي معناه قيل **شعر**

ملات يدي من الدنيا مرارا فما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت علي زكاة مال وهل تجب الزكاة على جواد

وكان ابو مرثد احد الكرام فمدحه بعض الشعرا فقال ما عندي
ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادعي علي عشرة الاف درهم
حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك
فلم يمسوا حتى دفعوا له عشرة الاف درهم **وقال** زياد
ابن جرير رايت طلحة ابن عبيد الله فرق مائة الف في مجلس وانه ليخيط ازاره
بيده ولما دخل المنكدر على عايشة رضي الله عنها قال لها يا ام المومنين
اصابتني فاقة فقالت ما عندي شي فلو كانت عندي عشرة الاف درهم
من عند خالد بن اسيد فارسلت بها في اثره فدخل السوق فاشترى جارية
بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة محمد وابي بكر
وعمر بنو المنكدر **وقال** يحيى ابن معين كان جرير ابن
يزيد في دار المطلب فجا انسان يساله فقال للغلام اذهب الى الجواري
فقل لهن من ارادت منهن ان تضيع ثيابها فليبعث بها فجا الغلام بثياب
كثيرة فقال للسايل خذها وقال الاصمعي كانت حرب بالبادية

ثم انصلت بالبصرة فتقاقم الامر فيها حتى مشي بين الناس بالصلح فاجتمعوا
في المسجد الجامع قال فبعثت وانا غلام الى ضرار ابن القعقاع ابن دارم
فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا هو في شملة خلط بزر العنز له جلوب
فخبرته بمجمع الناس فامهل حتى اكلت العنز ثم غسل القصعة وقال
يا جاريه غدّنا فاتته بزيت وتمر قال فدعاني فقذرته ان اكل معه
حتى اذا قضى من اكله حاجته وثب الى طين ملقى في الدار فغسل به يديه
ثم صاح يا جاريه اسقيني ما فاتته بما فشربه ومسح فضله على وجهه
ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى تؤدي شكر هذه
النعمة ثم قال عليّ بردائي فاتته برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة
قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين
ومشى الى القوم فلم تبق حبوة الا انحلت اعظاما له ثم جلس فتحمل
جميع ما كان من الديات بين الاحيا في ماله وانصرف **وكان**
البهلول ابن راشد الفقيه لما سجن يعطي كل يوم دينارا للسجان فاستكثره
اصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم حفص ابن عمارة سمعت سفيان
الثوري يقول اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يده فخر بهلول
على يديه وقبلها وجعل يقول سالتك بالله انت سمعته يقول هذا فحلف
بالله لقد سمعته يقول هذا **وقال الشاعر**

دعني

دعني اكن للمال ربا ولا يكن لي المال ربا تحمد في غبّه غدا اريني
جوادا مات هزلا لعلني اري ما ترين او بخيلا مخلدا **وكان**
عبد الله ابن ابي بكر ينفق على اربعين دارا من جيرانه عن يمينه واربعين
عن يساره واربعين عن امامه واربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي
والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك واشترى يوما
جارية بعشرة الاف فطلب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتي
فقال احملوها على دابته الى داره **وقال** عبد الله ابن زهير

وعاذلة تخشى الردى ان تصيبني بروح وتغدو بالملامة والقسم
تقول هلكنا ان هلكت وانما على الله ارزاق العباد كما زعم
فاني احب الخلد لو استطعته وكالخلد عندي ان اموت ولم الم

وروي ان اعرابيا قدم على علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه
فقال يا امير المؤمنين لي اليك حاجة والحيا يمنعني ان اذكرها قال
فخطها في الارض فخط فيها اني فقير فقال لغلامه يا قنبر اكسيه
حلتي فكساه الحلة فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثنا ليحيى ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدات به كل امري سوف يجزي بالذي فعلا

فقال علي زده مائة دينار فاعطاه اياها

ان نلت حسن ثنائي نلت مكرمة * ليس الثناء بشيء تبتغيه بثمن

فلما ولى الاعرابي قال قنبر يا امير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت
بها من شأنهم فقال مه يا قنبر فاني سمعت النبي عليه السلام يقول اكرموا
من اثنى عليكم واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه **وقال**
مطرف ابن الشخير اذا اراد احدكم منا حاجة فليرفعها في رقعة فاني
اكره ان ارى في وجهه ذل الحاجة قرى على القاضي ابو الوليد وانا

اسمع **شعر**

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري • فليس الى ما تأمرين سبيل
ارى الناس خلان الكرام ولا ارى • بخيلا له في العالمين خليل
واني رايت البخل يزري باهله • فاكرمت نفسي ان يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته • اذا نال خيرا ان يكون نبيل
وكيف اخاف الفقر واحرم الغنى • ورأي امير المؤمنين جميل

ولعروة بن الورد

واني امرؤ عافي انائي شركة • وانت امرؤ عافي انائك واحد
اتضحك مني ان سمنت وان ترى • بجسمي شحوب الحق والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة • واحسوا قراح الما والما بارد

وقال بعض الحكما اصل المحاسن كلها الكرام نزاهة
النفس عن الحرام وسخاوها بما ملكت على الخاص والعام وجميع

خصال

خصال الخير من فروعه **وروي** انه كان عند البهلول
ابن راشد طعام فغلا السعر فامر به فبيع له ثم امر ان يشترى له
نصف ربع القفيز من طعام فقيل له تبيع وتشترى فقال نفرح اذا
فرح الناس ونحزن اذا حزنوا • ولام حاتم طي **شعر**

لعمري لقدما عضني الجوع عضه • فاليت الا امنع الدهر جايعا
فقولا لهذا اللايم الان اعفني • فان انت لم تستطع فعض الاصابعا
فهل ما ترون اليوم الا طبيعة • وكيف بتركي يا ابن ام الطبايعا

• ولاخر **شعر** •

اصون عرضي بمالي لا ادنسه • لا بارك الله بعد العرض في المال
احتال للمال ان اودى فاجمعه • ولست للعرض ان اودى بمحتال

ويروى ان رجلا سال الحسن بن علي شيا فاعطاه خمسين الف
درهم وخمس مائة دينار فقال ايت بحمال يحمله لك فاتى بحمال
فاعطاه طيلسانه وقال يكون كرا الحمال من قبلي ويروى
ان الليث ابن سعد سالته امراة سكرجة عسل فامر لها بزق
عسل فقيل له في ذلك فقال انها سالت على قدر حاجتها ونحن نعطي
على قدر نعمتنا **وروي** ان رجلا استعان بعبد الله ابن عامر
بن جرير فلما اراد الرجل ان يرحل لم تعنه غلمانه فسيل عن ذلك فقال

عبد الله انهم لا يعينون من يرتحل عنا وفي معناه قول المتنبي
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا يفارقهم فالراحلون هم

الباب الحادي والثلاثين

في الشح والبخل وما يتعلق بهما الشح في كلام العرب البخل ومنع
الفضل كان النبي عليه السلام يدعوا اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي
واسرافها ووسواسها وروى جابر ان النبي عليه السلام قال
اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا الدما
ويستحلوا محارمهم وقد فرق بينهما مفرقون فقالوا الشح اشد من
البخل فإن البخل أكثر ما يقال في النفقه وامساكها قال الله تعالى
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
وقال في الشح اشحة على الخير اوليك لم يومنوا وقال ومن يوق شح
نفسه فاوليك هم المفلحون فالشح مبني على الكران والامتناع فهو
يكون في المال وفي جميع منافع البدل قال ابن عمر ليس
الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح أن يطمع الى ما ليس له ولهذا قال
ابن المبارك سخا النفس عما في أيدي الناس افضل من سخا النفس بالبذل
وقال رجل لابن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت سمعت
الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج

من

من يدي شيء فقال ليس بالشح الذي ذكر الله ولكن الشح أن تاكل
مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وليس الشح البخل ففرق بينهما كما
ترى وقال ابن عباس يتبع هواه فلم يقبل الايمان وقال
طاوس الشح أن يبخل المرء بما في أيدي الناس والبخل أن يبخل بما في يديه
وروى انس ان النبي عليه السلام قال بري من الشح من أدى الزكاة
واقرا الضيف واعطي من النايبه وقال ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه
الله عنه ولم يدعه الشح الى أن يمنع شيئا أمره الله به فقد وقاه شح
نفسه قال ابو الهياج الأسدي رايت رجلا في الطواف
يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فسالته عن ذلك فقال إذا
وقيت شح نفسي لم اسرق ولم أزن ولم افعل واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف
واعلم ان البخل يكون من سوالك بالله ان لا تخلف ولا تنبت وهذا
يهون التصديق بما تكفل الله به ويطرق الخلل والامتناع الى جميع
الأوامر وانه بين العبد وبين الخالق وبين العبيد والخلق في ترك
معاونتهم والنصح لهم وقال كسرى لاصحابه اي شي اضر بابن
ادم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير إذا وجد
اتسع والشحيح لا يتسع ابدا ولما قدم الشافعي رحمة الله عليه
من صنعا الى مكة كان معه عشرة الاف دينار فقيل له تشتري

بها ضيعة فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل
عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جا وقت الظهر قام ونفض الثوب
ولم يبق منها شي ولما قربت وفاته قال مروا فلانا يغسلني وكان
الرجل غايبا فلما حضر اخبر بذلك فذا عابذكرته فوجد عليه سبعين
الف درهم دينا فقضاها وقال هذا اغسلي اياه **وروي**
ان رجلا اراد ان يوذي عبد الله ابن عباس فاتى وجوه البلد وقال
يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عندي فاتوه فملوا الدار
فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر ان تشتري الفواكه في الوقت
وامر بالخبز والبطيخ واصلح القرى فلما فرغ قال لوكلايه اموجود
لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هولاء كلهم عندنا كل يوم
وهي من الخصال الجارية مجرى الكمال والجمال ولعلها من الاصول

الباب الثاني والثلاثين

في معرفة الصبر وجميل عواقبه والصبر زمام ساير الخصال وزعيم
الغنم والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة
قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا وقال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فعظم وظايف الذين ذكر
الله تعالى ورسوله جزا معلوما لمن اقامها الا الصبر فانه مجازى

بغير

بغير حساب وقال وجعلنا هم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقيل
عن الدنيا **قال** ابن عيينه لما اخذوا براس الامر جعلهم الله
روسا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون لنبيه عليه
السلام وقال له وانه ليحزنك الذي يقولون وقال ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
ثم ندبهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال واصبروا ان الله مع الصابر ين
فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن المناهي والمعاصي
الا ترى ان اهل الجنة به نودوا فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار فاخبر الله تعالى انه اثابهم جنته بصبرهم يعني صبرتم على
طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم اي احبس نفسك فمن امارات حسن التوفيق
وعلامات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل وفيما
يروى ان الله تعالى اوحى الى داود يا داود من صبر علينا وصل
الينا **وقال** سفيان بلغنا ان لكل شي ثمرة وثمرة
الصبر الظفر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى
يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا

قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات
بدليل ما روى ابو هريرة قال قال النبي عليه السلام الا أدلكم على
ما يحط الله به الخطيئات ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله
قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار
الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال الحسن في قوله
تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه بالكواكب
فصبر وبالقمر فصبر وابتلاه بذبح ابنه فصبر وقال سبحانه واستعينوا
بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين فبدا بالصبر قبل الصلاة ثم قال
قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقال النبي عليه
السلام للانصار ما يكن عندي من خير فلن ادخره عنكم ومن يستعفف
يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي احد
عطا خيرا واوسع من الصبر وقال ابن مسعود قسم النبي عليه السلم
قسما فقال رجل من الانصار والله انها لقسمة ما اريد بها وجه الله
فاخبرت النبي عليه السلام فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت
اني لم اكن اخبرته ثم قال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر
وروي ان النبي عليه السلام مر على امراة تبكي على قبر فقال لها
اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك لم تصب بمثل مصيبتي فلما مضى
قيل

قيل لها هذا رسول الله فجاءت اليه تعتذر انها لم تعرفه وقالت سأصبر
فقال النبي عليه السلام إنما الصبر عند الصدمة الاولى ويحتمل هذا
الحديث وجهان أما الطائي فقال معناه الصبر المحمود عند اول
نزول المصيبة فان جزعت فقد فاتك بالجزع وبالتأسي واما القابسي
فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت امرها النبي عليه السلام بالصبر
وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول أو نسيان او غلبة
وروي ان النبي عليه السلام سئل عن الايمان فقال الصبر
والسماحة وفي منثور الحكم قالت الصحة انا لاحقة بأرض المغرب
قال الجوع انا معك قال الايمان انا لاحق بأرض الحجاز قال الصبر
انا معك قال الملل انا لاحق بارض العراق قال القتل انا معك واعلم
ان العجلة خرق ومخرجها من قلة العقل واخرق من ذلك التفريط في
الامر بعد الفوت ومثال ذلك كالقدر على النار ان كان ماؤها
قليلا غلا بيسير من النار وان كانت مملوة لم تغل حتى تكثر نارها
وتطول مدتها وفي كتاب جاويدان خرد وليس للعجم
كتاب مثله قال محرم على السامع تكذيب القايل الا في ثلاث
من غير الحق صبر الجاهل على مضض المصيبة وعاقل يبغض من احسن اليه
وحماة احبت كنة فصل واعلم ان الصبر

على اقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب فالصبر
على المكتسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به وصبر عما نهى الله عنه
واما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد كصبره على مقاساة ما يتصل
به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة وينقسم من وجه اخر على اربعة
اقسام فاول اقسامه واولاه الصبر على امتثال ما امر الله تعالى به
والانتها عن ما نهى الله عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه من
مسرة او تقضت اوقاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده
من رغبة يرجوها او يخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع الصبر
على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف وجميع اقسامه محمودة
بكل لسان وفي كل ملة وعند كل امة مومنة او كافرة وقال
اكثم بن صيفي من صبر ظفر وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو وقال اردشير
الصبر الدرك وقال النبي عليه السلام الصبر ضيا وبالصبر يتوقع
الفرج وقال عليه السلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب
وقال ابن عباس افضل العدة الصبر على الشدة وقال
عبد الحميد الكاتب لم يسمع اعجب من قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
لو كان الصبر والشكر مطيتان ما باليت ايهما ركبت وقال

بعض

بعض الحكما بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ وقال
ابن المقفع في كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام اصبر اجساما
والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون قوي
الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون
للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا وفي
منثور الحكم من احب البقا فليعد للمصايب قلبا صبورا وقال بزرجمهور
لم ار ظهيرا على تنقل الدول كالصبر ولا مدلا للحساد كالتجمل
ولا مكسبة للاجلال كتوقي المزاح ولا مجلبة للمقت كالعجب
ولا متلفة للمروة كاستعمال الهزل في مواضع الجد فاما القسم الاول
وهو الصبر على امتثال اوامر الله تعالى والانتها عن محارمه فبه تصح
اذا الفرايض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب ولذلك قال علي رضي الله عنه الصبر من الايمان
بمنزلة الراس من الجسد وقال الجنيد المسير من الدنيا الى
الله سهل هين على المومن وهجر الخلق لوجه الله تعالى شديد والمسير
الى النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله تعالى اشد وسيل
عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس وكان حبيب ابن ابي حبيب
اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد بكا ثم قال واعجبا

اعطي واثنى وقال الخواص الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنه
وقال عبد الواحد بن زيد من يوفي الصبر على طاعة الله
صبّره الله تعالى عليها وقوّاه ومن عزم على الصبر عن معاصي الله تعالى
اعانه الله عليها وعصمه منها وقال عمر ابن عبد العزيز
للقاسم ابن محمد أوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر
وقال الحسن الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عن ما نهاه الله عنه
وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجا فمن خاف شيا صبر
على الفرار منه وصبر عند كراهة ما يحذره من ضرره ومن رجا شيا صبر
على طلبه ليظفر به واما القسم الثاني هو الصبر على ما فات
إدراكه من مسرة أو نقضت اوفاته من مصيبة فانه تعجل به
الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طايعا استراح واحرز
الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر وقال علي ابن ابي
طالب رضوان الله عليه للاشعث ابن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك
منك بالرحمة وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابيك انه صبرت
جرا القلم عليك وانت ماجور وان جزعت جرا القلم عليك وانت مازور
ونظمه ابو تمام فقال
وقال علي في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك الما ثم

الصبر للبلوى عزا وحسبة فتوجرا ام تسلوا سلو البهايم
خلقنا رجالا للتجلد والعزا وتلك الايامى للبكا والماتم
وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لرجل ان صبرت
مضي امر الله وكنت ماجورا وقال الحسن والله لو كلفنا
الجزع ما قمنا به فالحمد لله الذي اجرنا على ما لو نهانا عنه لصرنا
اليه وعن هذا قالت الحكما الجزع اتعب من الصبر ففي الجزع
التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صوّر الصبر والجزع
لكان الصبر احسن صورة واكرم طبيعة وكان الجزع اقبح
صورة واحوز طبيعة ولكان الصبر او لانهما بالغلبة لحسن الخلقه
وكرم الطبيعه وقال بعض العلما لو وكل الناس
بالجزع لجوا الى الصبر وقال شبيب ابن شيبة المهدي ان احق ما صبر
عليه ما لم يجد سبيلا الى دفعه وانشدوا
وإذا تصبك مصيبة فاصبر لها ... عظمت مصيبة مبتلا لا يصبر
ولاخر وعوضت اجرا من فقيد فلا يكن ... فقيدك لا ياتي واجرك يذهب
وقال بعض الحكما ليس بمجموع له الرشيد من يتابع
التلهف على فايت او اكثر الفرح عند مستطرف وقال الحكيم
ان كنت جازعا على ما يفلت من يديك فاجزع على ما لم يصل اليك

ومن ايقن انّ كل فائت الى انقضا حسن عزاوه عند نزول القضا وقال
الشاعر اذا طال بالمحزون ايام صبره كساه ظننا طول المقام على الصبر
ولا شكّ انّ الصّبر تحمد غبّه ولكن بانفاس عليه من العمر
وقال بعض القدما الصّبر على اربع مراتب على الشوق
والاشفاق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنّة سلا عن الشهوات
ومن اشفق من النار رجع عن المحرّمات ومن زهد في الدنيا هانت
عليه المصيبات ومن راقب الموت اقصر عن الخطيات واما
القسم الثالث وهو الصّبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها
او يخشى حدوثه من رهبة يخافها فبالصّبر والتلطف يدفع عادية
ما يخاف وينال نفع ما يرجوا قال النبي عليه السّلام انتظار الفرج
بالصّبر من الله عباده وقال محمّد بن بشير انّ الامور اذا
اشتدّت مسالكها فالصّبر يفتح منها كل ما ارتجا ⁂ لا تيأسنّ
فان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا ⁂ اخلق بذي
الصّبر ان تظفر بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا وقال
بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دفار فبينما انا اطوف في خرابها
اذ رايت مكتوبا على باب قصر خراب هذه الابيات
⁂ يا من الحّ عليه الهمّ والفكر وغيّرت حاله الايام والغير ⁂
⁂ اما سمعت بما قد قيل من مثل عند الاياس فاين الله والقدر ⁂
⁂ ثمّ للخطوب اذا احداثها طرقت فاصبر فقد فاز قوم لها صبروا ⁂
⁂ فكل ضيق سياتي بعده سعة وكل فوت وشيك بعده الظفر ⁂
وتحته مكتوب بخط اخر لو كان كل من صبر اعقبه الظفر صبرت
ولكنا نجد الصّبر في العاجل يفني العمر ويدني من القبر وما كان
اصلح الذي العقل موته وهو طفل والسّلام قلت لو
رايته لكتبت تحته في الصّبر استعجال الراحة وانتظار الفرج وحسن
الظن بالله واجر بغير حسنات وفي الجزع استعجال الهمّ وتحول البدن
واستشعار الحسرة وسوء الظن بالله وحمل الاثم وانتظار العقوبة
وما احسن بذي العقل اجتناب هذا والسّلام وقال
بعض الحكما من صبر نال المنى ومن شكر حصن النعما وقال الشاعر
الصّبر مفتاح كل خير وكل صعب به يهون ⁂ اصبر وان طالت
الليالي فربّما ساعد الحرون ⁂ وربما نيل باصطبار ما قيل هيهات
لا يكون وقال عمر ابن عبد العزيز ما انعم الله على احد نعمة
فانتزعها منه وعوضه منها صبرا عنها الا كان ما عوضه افضل
مما انتزع منه وقرى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وروى انّ جارية لعلي ابن ابي طالب رضوان الله عليه كانت

تتصرف في حوائجه فكلما خرجت تصدى لها خياط كان بقرب من
دار علي ويقول لها والله اني لاحبك لله فلما أكثر من ذلك شكته
الى علي فقال لها علي رضي الله عنه إذا قال لك مرة اخرى فقولي له وانا
والله احبك فيه فعاد ثم عبرت فقال لها ذلك فقالت له وانا والله احبك
فيه فماذا بعد ذلك فقال تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب فرجعت الجارية واخبرت مولاها فدعا علي عليه السلم
الخياط فوجد امره على الصحة فوهبها له مع نفقة تستعين بها وقال
علي عليه السلام الصبر كفيل بالنجاح والمتوكل لا يخيب ظنه والعاقل
لا يذل بأول نكبة ولا يفرح بأول رفعة وكان يقال الصبر
سلامة والطيش ندامة **وأما** القسم الرابع وهو الصبر
على ما نزل من مكروه او حل من أمر مخوف فالصبر فيه يتفتح وجوه
الآراء فيه وتتوفى مكايد الاعداء قال الله تعالى وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال واصبر على ما اصابك
إن ذلك من عزم الامور **وروي** ابن عباس ان النبي عليه السلام
قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع
فاصبر فان في الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر
والفرج مع الكرب واليسر مع العسر **وقال** علي عليه السلم
الصبر مناضل الحدثان والجزع من اعوان الزمان **قال**
الحكيم مفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور **وانشدوا**

انما أجزع مما اتقي ... فاذا ما حل فما لي والجزع

ولما حبس أبو ايوب في الحبس خمسة عشر سنة ضاقت حيله وقل صبره
فكتب الى بعض اخوانه يشكوا طول حبسه وقلة صبره فورد عليه الجواب

صبرًا ابا ايوب صبر مبرح ... فاذا عجزت عن الخطوب فمن لها
إن الذي عقد الذي انعقدت به ... عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرًا فان الصبر يعقبه راحة ... ولعلها أن تنجلي ولعلها

فلما وقف عليها أبو أيوب كتب اليه يقول

صبرتني ووعظتني وانا لها ... وستنجلي بل لا اقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ... كرمًا به اذ كان يملك حلها

فما لبث عليه بعد ذلك الا اياما حتى اطلق مكرما ه ولتميم ابن المعز

ساسكت صبرًا واحتسابًا فانني ... ارى الصبر سيفًا ليس فيه فلول
عذابي أن أشكوا إلى الناس انني ... عليل ومن اشكوا إليه عليل
وان امرأ يشكوا الى غير نافع ... ويسخوا بما في نفسه لجهول
ولكن دع الدهر يجري بمقداره ... ويقضي عجايب اوطاره ونم نومة
عن ولاة الأمور وخل الزمان ... يتداوره فانك ترحم من قد غبطت

وتعجب من قبح اثار **ولبعضهم** وتمنعني الشكوى الى الناس انني
عليل ومن اشكوا اليه عليل ۞ وتمنعني الشكوى الى الله انه عليم بما
القاه حين اقول ۞ إذا ما ابتليت فثق بالله وارض به ان الذي تكشف
البلوى هو الله الناس تقطع احيانا بصاحبه لا تيأسن فان الصانع الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لأمرء حيلة فيما قضى الله
ويصرف من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومتصبر فالمتصبر
من صبر في الله على المكان فتارة يعجز وتارة يصبر والصابر من
لا يشكوا ولا يعجز والصبار هو الذي لو وقع عليه جميع البلايا والمحن
لم يتغير من جهة الحقيقة وان تغير من جهة الرسم والبشرية والخلقة
كما قال القايل ۞ صابر الصبر فاستغاث به الصبر ۞ فصاح الصبور
يا صبر صبرا ۞ وهذا اقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريبا
منه قول القايل ۞ صبرت على الاقدار صبرا اصارني الى ان ينادي
الصبر لا صبر للصبر ۞ والصبور هو الثابت على هذه المقامات
وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي
فان من اخلاقي اني انا الصبور ويقال الصبر لله غنا والصبر بالله
بقا والصبر في الله بلا فالصبر مع الله وفا والصبر عن الله جفا
وانشدوا ۞ إذا لعب الرجال بكل شيء رايت الحب يلعب بالرجال ۞

وكيف

وكيف الصبر عمن حل مني بمنزلة اليمين من الشمال ۞ وقال
المحاسبي بين الصبر والتصبر حالة هي النعم وذلك إذا رفع الله له علما
من اعلام الآخرة يدله على منازل الصابرين عنده فينعم القلب بسرور
النعم **قال** أبو محمد الحارثي الصبر ان لا يفرق بين حال
النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والتصبر هو السكون مع البلا مع
وجدان اثقال المحنة **وانشدوا** صبرت ولم اطلع هواك على
صبري واخفيت ما بي منك عن موضع الصبر ۞ مخافة ان يشكوا ضميري
صبابتي الى دمعتي سرا فيجري ولا ادري ۞ وقيل للمحاسبي بماذا
يقوى الصابر على صبره قال اذا علمت ان في صبرك رضا مولاك
اما سمعت قول الحكيم ۞ رضيت وما ارضى إذا كان مسخطي من الامر
ما فيه رضا من له الامر ۞ **ولغيره** سأصبر كي ترضى واتلف
حسرة وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري ۞ قلت وتكلتك لمن تحبه
اعظم من تكلك لنفسك هذا ايوب عليه السلام لما اصيب بنفسه قال
مسني الضر ويعقوب لما اصيب بحبيبه قال واسفى على يوسف وقال
احمد قال لي ابو سليمان الداراني اتدري بما ازال العقلا اللايمة
عن من أسا اليهم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا
وروي ان الله تعالى اوحى لبعض انبيايه إذا انزلت بعبدي

بلاي فقد عاني فما طلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك
وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه
ولا بث قال انس ما صبر من بث **وقال** عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه لا تستغزروا الدموع بالتذكر ولا تبعث الاحزان منك التذكر
ومما يعين على عظم الاسى وشدة الجزع تذكر المسار المنقضية وتصور
المضار الداهية وكثرة الشكوى وشدة الاسف **وقال الشاعر**
لا تكثر الشكوى الى الصديق وارجع الى الخالق لا المخلوق
وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر اعظم المصيبتين واعلم ان كل
من صبر على شدة الا ونال ما يرجوه من فرج وينبغي لمن نزل به مصيبة
او كان في شدة أن ينبغي تسهيلها على نفسه ولا يغفل عن تذكر
ما يتيقنه من وجوب الفنا وتقضي المسار وان الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له ولها جمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم
له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا ثقة له من صح فيها سقم
ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن
حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا خير فيها يدوم
ولا شرها يبقى ولا فيها لمخلوق بقا فاذا تصور حقيقتها فحينئذ ترى
الحوادث سهلة والمصايب هينة **وقال الشاعر**

يمثل

يمثل ذو اللب في نفسه مصايبه قبل ان تنزلا ❊ فان نزلت بغتة
لم ترعه لما كان في نفسه مثلا ❊ راى الامر يفضي الى اخر فصير
آخره اولا ❊ وذو الجهل يامن ايامه وينسى مصارع من قد خلا ❊
فان دهمته صروف الزمان ببعض مصايبه اعولا ❊ ولو قدم الحزم
في نفسه لعلمه الصبر عند البلا **وقال** بعض الحكما من حادر
لم يجدع ومن راقب لم يهلع ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ولم يشعر
نفسه ما ذكرنا من احوال الدنيا وتقضي المسار ثم الثوي في اللحود
بين اطباق الترب والجنادل قد فارقه الاحبا واسلمه الاوليا وهجره
القربا والبعدا القته الحوادث واثقا فسلبته الصبر وضاعف عليه
الاسا وقد قال ابن الرومي ❊ ان البلا يطاق غير مضاعف فاذا تضاعف
كان غير مطاق ❊ **وانشدوا** تعودت مس الضر حتى الفته
واسلمني حسن العزا الى الصبر ❊ ووسع صدري للاذى كثرة الاذى
وان كنت احيانا يضيق به صدري ❊ وحسن لي ياسي من الناس كلهم
لعلمي بصنع الله من حيث لا ادري **غيره** تصبر فان الصبر
بالجزا جميل وليس على ريب الزمان معول ❊ فلو كان يغني ان ترى
المرء جازعا لنازلة اوكان يغني التذلل ❊ لكان التعزي عند كل
مصيبة ونازلة بالحر اولى واجمل ❊ فكيف وكل ليس يعدو احمامه

وما الامرؤ عما قضى الله مرحل ∴ فان تكن الايام فينا تبدلت ببؤسي
ونعمى والحوادث تفعل ∴ فما لينت منا قناة صليبة ولا اذللتنا
للذي ليس يجمل ∴ ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل ما لا يستطاع
فتحمل وقينا بفضل الله منا نفوسنا فصحت لنا الاعراض والناس هزل

الباب الثالث والثلاثين في كتمان السر

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ولما افشى يوسف رؤياه بمشهد امراة
يعقوب اخبرت اخوته فحل به ما حل وفي الحديث
استعينوا على قضا الحوايج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود واعلم
ان كتمان السر من الخصال المحمودة في جميع الخلق ومن اللوازم
في حقوق الملوك ومن الفرايض الواجبة على الوزراء وجلسا الملوك
والاتباع وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه سرك اسيرك
فاذا تكلمت به صرت اسيره واعلم ان امنا الاسرار اشد تعذرا
واقل وجودا من امنا الاموال وحفظ الاموال ايسر من كتم الاسرار
لان احراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار
بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وغب الاسرار
اثقل من غب الاموال وان الرجل يستقل بالحمل الثقيل يحمله ويمشي به

وينقله

وينقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه
فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا اذاعه
استراح قلبه وسكن حاسه وكانما القى عن نفسه حملا ثقيلا
وقال عمر ابن عبد العزيز القلوب اوعية والشفاه اقفالها
والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرء مفتاح سره ومن عجب الامر
ان اغلا ما في الدنيا كلما كثر خزانها كان اوثق لها الا السر فانه
كلما كثر خزانه كان اضيع له وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه
ومنع من بلوغ مآربه ولو كتمه امن من سطواته وقال
انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته
والسلامة من السطوات وقال بعض الحكما سرك من دمك
فلا تجريه في غير اوداجك واذا تكلمت به فقد اراقته وكان لعثمان
كاتب يقال له حمران وهو مولاه فاشتكا عثمان فقال اكتب العهد
بعدي لعبد الرحمن ابن عوف فانطلق حمران وقال لعبد الرحمن بن عوف
البشرى فقال عبد الرحمن لك البشرى مما ذا فاخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن
فاخبر عثمان بذلك فقال عثمان رضي الله عنه اعاهد الله ان لا يساكنني
حمران ابدا ونفاه الى البصره فلم يزل بها حتى قتل عثمان رضي الله عنه
واعلم ان كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه

لاخير في انية لا تمسك ما فيها فلا خير في انسان لا يمسك سرّه **ويروى**
ان رجلا اودع سرّه عند صديق له فقال له افهمت قال بل جهلت
قال احفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك السرّ قال
اجحد المخبر واحلف للمستخبر **وقال الشاعر**
ولقد قدرت على نسيان ما اشتملت ۞ مني الضلوع من الاسرار والخبر
لكنت اول من ينسى سرائرها ۞ اذ كنت من شرّها يوما على خطر
ومن احسن شي سمعته في كتمان السرّ ما انشدنيه بعض فقهاء
البصريين بالبصرة قال ولها سرائر في الضمير طويتها ۞ نسي الضمير بانها في طيّه
غيره ومستودعي سرا كتمت مكانه ۞ عن الحس خوفا ان يتم
به الحس ۞ وخفت عليه من هوى النفس شهوة ۞ فاودعته من حيث لا
تبلغ النفس ۞ يعني العقل وقال العتبي اسرّ معاوية الى عثمان بن عيينه
حديثا قلت لابي ان امير المؤمنين اسرّ اليّ حديثا فاحدّثك به قال
لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن اظهره كان الخيار
عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد اذ كنت مالكا قلت يا ابت
فيدخل هذا بين الرجل وابيه قلت لا ولكن اكره ان تذلل لسانك
بافشاء السرّ قال فحدثت بذلك معاوية فقال اعتقك اخي من رق الخطا
قيل لبعض الحكماء ما اصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم

سرّه وقال قيس ابن الخطيم **هذه الابيات**
اجود بمكنون البلاد وانني ۞ بسرّك عمن سالني لضنين
اذا جاوز الاثنين سرّ فانه ۞ مذاع وتكثير الوشاة قمين
وان ضيّع الاقوام سرّا فانني ۞ كتوم لاسرار العشير امين
يكون له عندي اذا ما ضمنته ۞ مكان سويداء الفواد كمين
قال شيخنا قلت الناس يقولون اراد بالاثنين المودع والمودع
ولا بعد ان يريد به الشفتين وكان يقال اصبر الناس من صبر
على كتمان سرّه فلم يبده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا **فقد**
روي في الحديث عن النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل
ثم التفت فهي امانة قلت واذا كانت امانة حرمت فيه الخيانة ۞
كالامانات في الاموال **وقال** ابو بكر ابن حزم انما يتجالس
المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره
وقال هشام ابن عروة ما من رجل ينتقص من امانته الا انتقص من ايمانه
وقال جعفر ابن عثمان هذه الابيات
يا ذا الذي اودعني سرّه ۞ لا ترج ان تسمعه مني ۞ لم اجره قط على
فكري كانه لم يجر على اذني ۞ وكان عمرو بن العاص يقول
ما افشيت سرّي الى رجل فافشاه عليّ فلمته اذ كان صدري به اضيق

وَقَالَ الاحنف بن قيس يَضيق صَدر احَدكم بسرّه حتى يحدّث به ثم يقول
أكتمه عَلَيّ وَمن أمثال الفرس إذا افشيت الى سترك وَاوصيتني ان لا
ابوح به فهلّا اوصيت بهذا نفسك **وَفي** منثور الحكم انفرد بسرك
وَ لا تودعه حازمًا فيزل وَ لاجاهلًا فيخون **وَانشدوا**
إذا ضاق صَدر المرء عَن سرّ نفسه كثر عَليه المتامرون وَقال الشاعر
وَسرك مَاكان عند امرئ وَسرّ الثلاثه غير الخفي ،، وَلا تحد
تبوح بسرك ضيّقًا به ،، وَتبغي لسرك مَن يكتم ،،
وَكتمانك السر فيما تخاف ،، وَفيما تحاذرن أحزم ،،
إذا ذاع سرك من مخبر ،، فانت إذا لمته ألوم ،،
وَقال آخر ،، إذا ما ضاق صدرك عن حديث وَافشته الرجال فمن تلوم ،،
وَإن عاتبت مَن افشى حديثي وَسرّي عنده فانا الملوم ،، وَقال
الحكيم ما كتمته عن عدوك فلا تطلعن عليه صَديقك فإن لم يكن لك
بد من اذاعته لقرينه تقتضيه من صديق مساهم أو استشارة ناصح
مسالم فمن صفات امين السر انه يكون ذا عقل وَدين وَنصح وَمودة
فان هذه الامور تمنع من الاذاعة وَيوجب حفظ الامانة وَمن كملت
فيه فهو عنقا معرب لا تودع سرك عند من تستدعيه فان طالب
الوديعة خاين قال صالح بن عبد القدوس **هذه الابيات**

فصدر الذي يستودع السر أضيق
وفي صدر غيرك من أخفى أضيق

وقال آخر
ولا تنطق بسرك كل سر
اذا ما جاوز الاثنين فاشي

لا تذع سرًّا الى طالبه منك فالطالب للسر مذيع ،،
وَفي الجملة إذا زال سرك عن عدبه لسانك فالاذاعة مستولية عليه
وَان استودعته قلب ناصح محب وَاحتمال امرارة الكتمان على قلبك
اشد عليك من التململ بتمليك سرك غيرك وَاعلم ان افشا سر غيرك اقبح
من اظهار سر نفسك لانه يبوح باحدى وَصمتين امّا الخيانه إن
كان مؤتمنًا أو النميمة ان كان مستخبرًا وَقال بعض الحكما
لابنه يا بني كن جوادًا بالمال في مواضع الحق ضنينًا بالأسرار عن
جميع الخلق فان احمد جود المرء الانفاق في وَجه البر وَالبخل بمكتوم
السر وَكان يقول صدور الأحرار قبور الأسرار وَقال الشاعر
المرء ان وشاه الرجال لا يتركون اديمًا صحيحا
لا تفش سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحا
وَقال آخر
ما كل مكتوم مباح به احذر لسانك من جوانبه
فمرارة الكتمان اعذب من شيء تحاذر من عواقبه
ليس الهوى ما كنت تعرفه ايام تلعب في جوانبه
هذا الهوى لو قد فضحت به ضحك الحسام الى مضاربه

الباب الرابع وَالثلاثين

في بيان الخصلة التي هي رهن سائر الخصال وزعيم بالمزيد من النعماء
والآلاء من ذي الجلال وهي الشكر قال الله تعالى حكاية عن سليمان
عليه السلام وقد آتاه الله تعالى ملك الدنيا والجن والانس والطير
والوحش والرياح تجري بأمره رخا حيث أصاب فلما استمكن ملكه
قال صلى الله عليه وسلم هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر
فما عدها نعمة كما عدها ملوك الأرض بل خاف أن يكون استدراجا
من حيث لا يعلم كما قال الله تعالى في أمة أراد اهلاكهم سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وأملي لهم أن كيدي متين جا في التفسير أصب عليهم
النعم وأنسيهم الشكر وإنما الفرح بما أوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها
والاغترار بزخرفها من شعار الكفار ألا ترى إلى قول قارون اللعين إنما
أوتيته على علم عندي فكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفنا به وبداره
الأرض ولما خاف سليمان أن يكون استدراجا كان جوابه ما قال
الله تعالى هذا عطاونا فامنن أو أمسك بغير حساب **واعلم**
أرشدك الله أنه ليس الشكر حافظ للنعم فقط بل هو مع حفظها زعيم بزيادة
النعم وأمان من حلول النقم والشكر على ثلاث مراتب شكر بالقلب وشكر
باللسان وشكر بسائر الجوارح فأما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر
القلب وهو أن يعلم أن النعمة من الله وحده وأن لا نعمة على الخلق من

أهل

أهل السموات والأرض إلا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر
لله تعالى عن نفسك وعن غيرك بمعرفة نعمة الله تعالى عليك وعلى غيرك وهذا
النوع هو الذي يقال فيه أنه يجب على العبد أن يشكر الله على نعمة أسديت
إلى غيره والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى
وما بكم من نعمة فمن الله أي أيقنوا أنها من الله وإلى هذه الكلمة
انتهى جميع ما قاله الخلق في الشكر والدليل عليه أيضا قوله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي
اتقوني فإنه شكر نعمتي وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله
تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون والعبارة عنه أن يقال
الشكر اعتراف القلب بإنعام الرب تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر
اعتراف على بساط الشهود ما دامة حفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر
معرفة العجز عن الشكر **وروي** أن داود عليه السلام قال
إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى إليه
الآن قد شكرتني وقال وهب ابن منبه قال داود عليه السلام إلهي
ابن آدم ليس منه شعرة إلا تحتها نعمة وفوقها منك نعمة فمن أين نكافيها
فأوحى الله تعالى إليه يا داود إني أعطي الكثير وأرضى باليسير وإن
شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني وفي هذا يقال الشكر على الشكر

اتم الشكر وذلك بأن ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من
اجل شكرك النعم عليك فتشكر الله على الشكر ثم تشكره على الشكر إلى ما لا
يتناهى وهذا الشكر ايضا واجب والمحمود الوراق إذا كان شكري
نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضله وان
طالت الايام واتصل العمر اذا مس بالسراء عم سرورها وان مس بالضراء
أعقبها الأجر فما منها الا له فيه نعمة تضيق بها الاوهام والجهر ومن
اقر بنعم الله واحسانه فقد اقر بقدر ما كلف لان احدا لا يمكنه ان
يوارى شكر نعم الله تعالى **وفي** مناجاة موسى عليه السلام الاهي
خلقت ادم بيدك وفعلت فكيف شكرك فقال ان تعلم ان ذلك مني
فكانت معرفته بذلك شكرا لي

فصل

واما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه واما بنعمة ربك فحدث قيل
يعني النبوة وقيل يعني القران وحكم الاية عام في جميع النعم وروى
النعمان ابن بشير ان النبي عليه السلام قال من لم يشكر القليل لم يشكر
الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال
الله تعالى حكاية عن أهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
قال عمر ابن عبد العزيز تذاكروا النعم فان ذكرها شكر وكتب عدي ابن
ابطاه الى عمر ابن عبد العزيز لما حفر نهرا لبصرة الذي يقال له نهر عمر

اني

اني حفرت لاهل البصرة نهرا اعذب لهم مشربه وجادت عليه اموالهم
ولم ارى لهم على ذلك شكرا فان اذنت لي قسمت عليهم ما انفقت عليه
فكتب اليه عمر ابن عبد العزيز اني لا احسب اهل البصرة خلوا من رجل
قال الحمد لله حين حفرك هذا النهر وان الله قد رضيها شكرا من جنته
فارض بها من نهرك والسلام وحقيقة الشكر في هذا القسم الثنا على
المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول يوصف الرب تعالى بانه شكور
حقيقة فشكر العبد لله ثناؤه عليه بذكر احسانه ولحسان الرب للعبد
انعامه عليه وهذه اللفظة ماخوذة من قولهم دابة شكور إذا ظهرت
من السمن فوق ما يعطي من العلف ويقال وجه شكور اذا كان
يمتلي المحاسن ظاهرها وفي الحديث يقول الله تعالى انا والجن والانس
في نبا عظيم أخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري قال بعضهم
انما اوتي الناس لانهم في موضع صبر وهم يحسبون انهم في موضع شكر

فصل

واما الشكر الذي على الجوارح فقال الله تعالى
إعملوا ال داود شكرا اجعل العمل شكرا وقال عطا دخلت على عايشة
رضي الله عنها مع عبيد بن عمير فقال لها عبيد يا ام المومنين حدثينا
با عجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت
وأي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي

حتى مس جلده جلدي ثم قال يا بنت ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت
قلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة من ماء فتوضا واكثر صب
الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى
ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جا بلال فاذنه
بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا فلم لا افعل وقد انزل
الله علي ان في خلق السموات والارض الاية فجعل النبي عليه السلام الشكر
بالعمل وبين به مراد الكتاب **وروي** ان النبي عليه السلام قام
حتى انتفخت قدماه فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا قال الله تعالى وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
اي كل واحد منهما خلف الاخر فمن فاته العمل في احدهما عمله في الاخر
فجعل الاوراد والاعمال بالجوارح شكرا **وقال** ابو هارون
دخلت على ابي حازم فقلت له رحمك الله ما شكر العينين فقال اذا رايت
بهما خيرا ادعته واذا رايت بهما شرا سترته قلت له فما شكر العينين
الاذنين فقال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته
قلت فما شكر اليدين قال ان لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا لله تعالى

فيهما قلت فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما
قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فان فعلت فانت
الشاكر حقا **وفي** حكمة ادريس لن يستطيع احد ان يشكر
الله تعالى على نعمه بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل
ما صنع به الخالق واذا ثبت ان فعل الطاعات شكرا فان منهما ما هو
اشد ملازمة من غيره فالطاعة في مواساة الفقرا اشكل بالشكر على
الغنى من غيرها لانها من جنس النعمة فاذا اردت ان تحرس دوام
نعم الله تعالى عليك فادم مواساة الفقرا والطاعة في رفع ذوي
الضيعة والخمول والمسكنة بغير معصية اشبه بالشكر على ما رفع
الله تعالى من قدرك وفضلك والتنويه باسمك والطاعات وتلطيف
اعديهم اشبه بالشكر على العاقبة في مواساة الفقراء من سائر
الطاعات والطاعات على الشفاعات عند السلطان وقضا حوائج
القرباء والاخوان اشكل لذوي الجاه من سائر الطاعات وعلى
هذا القانون ينبغي ان يقابل بسائر نعم الله تعالى على العبيد ومن
العبارات الجامعة للشكر ان يقال الشكر معرفة بالجنان وذكر
باللسان وعمل بالجوارح **فصل** في الكلام

على الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم فقال قوم انما خاطب
الله تعالى بهذا وبقوله سبحانه ادعوني استجب لكم قوما دون
قوم والدليل عليه انا نرى من يشكر على الغنى ثم يبتلى بالفقر ومن
يشكر على العافية ثم يبتلى بالمرض فالله تعالى لا يخلف وعده وقال
قوم معناه لأزيدنكم نعم الآخرة فان قيل انما تكون الزيادة من
جنس المزيد فاجابوا ان النعم الدنيوية والاخروية وان تفاضلت
واختلفت فانها كلها متجانسة من حيث انها نعمة وقال قوم
معناه لأزيدنكم خيرا والخير والصلاح قد يكون في كثير من الاوقات
بالمنع والسقم ونحوها فان من سأل الله تعالى أن يعطيه مالا أو يصح
جسمه وهو يعلم ان وهبه المال انفقه في المعاصي أو وهبه صحة
أصرف صحته في المشي الى المعاصي فالمنع هاهنا موهبة من الله تعالى
وخيرته وعن هذا قالت العلما منع الله تعالى عطا وقال قوم يمكن
تقدير الاستثنا فيها لئن شكرتم لأزيدنكم الا أن تعصوا فاعاقبكم
بالحرمان فاجعل ذلك كفارة لكم وهو أصلح من أن اعاقبكم
في الآخرة والناس لا يسلمون من الذنوب ولو تهيا أن يسلموا من
الذنوب لدرت الزيادات قال الله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم

وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
باموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لا محالة لانها لو كانت على
عمومها لوجب ان لا يموت من شكر الله تعالى على الحياة قال الشيخ
ان الله تعالى قد وعد بالزيادة وقوله الحق وقد جعل لعباده علامة
يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا راينا
الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد اخل
بالشكر الذي اخذ عليه اما ان لا يزكيه او يزكيه لغير اهله
او يؤخرها عن وقته او يمنع حقا واجبا عليه فيه من كسوة عريان
او اطعام جايع وشبهه فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو
صدق السايل ما افلح من رده قال الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم إذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله تعالى ما
بهم من الاحسان وإذا كان قوم في ظل العافية فان الله لا يغير ما
بهم حتى يغيروا اما بانفسهم بترك او ادب او اخلال بحق او المام
بذنب كما قال بعضهم اذني الشكران لا تعصي الله فان جوارحك
كلها من نعم الله عليك فلا تعصه بها ويحتمل أن يكون معنى الآية
لئن شكرتم لأزيدنكم ان شينا ألا ترى انه قال من كان يريد
حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها

وكثير من الخلق يريد حرث الدنيا ولا يؤتوه فيكون التقدير نؤته منها
لمن نشا ألا ترى انه قال ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها لمن نشا
بدليل قوله في الآية الأخرى عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد وهكذا
قوله ادعوني استجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعونا فلا نستجيب
لهم ولكن معنى الآية استجيب لكم ان شئت ولمن شيت بدليل قوله
تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شا وهذا من باب حمل المطلق على
المقيد **قال** الجنيد كنت بين يدي السري وانا ابن سبع
سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر
فقلت لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك
فلم ازل ابكي على هذه الكلمة فان قيل فما معنى قوله وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها وما حصل من الافعال في الوجود يمكن احصاوه
ودفع البلايا نعم لا يمكن إحصاوها يرفع الله تعالى عنهم ما في مقدوره
من ذلك وما يدفع الله تعالى منها العبد لا يحصا **فصل**
ثم عدنا الى اقوال العلما والحكما في الشكر قال بعض الحكما موضع
الشكر من النعمة موضع القرا من الضيف ان وجد لم يذم وان
عدمه لم يقم وأجمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا
الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا

مصيبة وجب أجرها خير من نعمة لا يؤدي شكرها **وقال**
بعض الحكما من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد
ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة
ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب وكان يقال إذا رعيت النعم
بالشكر فهي أطواق وإذا رعيت بكفر فهي اغلال قال حبيب إذا
رعيت بالشكر لم تزل نعما فان لم ترع فهي مصايب **وبعث**
الحجاج الى الحسن بعشرين الف درهم فقال الحمد لله الذي ذكرني
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا تكن ممن يعجز
عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر
الناس بما لا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم ويبغض المسيئين
وهو منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك
وقال المغيرة ابن شعبة اشكر من انعم عليك وأنعم على من
شكرك فانه لا بقا للنعمة إذا كفرت ولا زوال لها إذا شكرت
وان الشكر زيادة من النعم وأمان من النقم **وكان**
الحسن يقول ابن ادم متى تنفك من شكر النعم وانت مرتهن
بها كلما شكرت نعمة تجد ذلك بالشكر اعظم منها عليك وانت لا
تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو اعظم منها وقال سفيان

الثوري لما جا البشير إلى يعقوب عليه السلام قال على أي دين تركته
قال على دين الإسلام قال الحمد لله الآن تمت النعمة **وروي**
أن عثمان ابن عفان رضي الله عنه دعي إلى قوم ليأخذهم وهم على ريبة
فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فأعتق عثمان رقبة شكرا لله تعالى
ألا يكون ممن جرت على يديه فضيحة رجل مسلم وروي أن الحسن
ابن علي عليه السلام التزم الركن وقال إلهي نعمتني فلم تجدني شاكرا
وابتليتني فلم تجدني صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا
أنت أدمت الشدة بترك الصبر إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم
ولا من الجافي إلا الجفا **وقال** عون ابن عبيد الله الخير الذي
لا شر فيه الشكر على العافية والصبر عند المصيبة ويروى أن نملة
قالت لسليمان عليه السلام أنا على قدري أشكر لله منك وكان
راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا ثم قال لولا أني أجلك
لسألتك أن تنزع مني ما أعطيتني **وقال** صدقة ابن بشار
سما داود عليه السلام في محرابه إذ مرت به دودة فتفكر
في خلقها وقال ما يعبؤ الله تعالى بخلق هذه فأنطقها الله تعالى
له وقالت يا داود لا تعجبك نفسك لأني على قدر ما آتاني الله
أذكر الله وأشكر له منك فيما آتاك الله والمحمود الوراق

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ❊ على نعمة ما كنت منك لها أهلا
متى ازددت تقصيرا تزدني تفضلا ❊ كأني بالتقصير أستوجب الفضلا

وكان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فأرسل إليه فقال له
صاحبه اشكر الله تعالى فجيء بمحبوس مجوسي مبطون وقيد فجعل
حلقة في رجله وحلقة في رجل المجوسي فكان المجوسي يقوم بالليل مرات
وهذا يحتاج إلى أن يقوم معه ويقوم على رأسه حتى يفرغ فكتب
إلى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال إلى متى تقول فأي بلاء فوق
هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك
كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع ولبعضهم

ومن الرزية أن شكري صامت ❊ عما فعلت وأن برك ناطق
أرى الصنيعة منك ثم أسرها ❊ إني إذا لليد الكريمة سارق

وقال رجل لسهل ابن عبد الله أن اللص دخل داري وأخذ
متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان
فأخذ التوحيد ماذا كنت تصنع **ولما** بشر إدريس
عليه السلام بالمغفرة سأل المغفرة فقيل له فيم فقال لأشكره
فإني كنت أعمل قبله للمغفرة وبسط الملك جناحه فرفعه إلى السما
وروي أن نبيا من الأنبيا عليهم السلام مر بحجر صغير فخرج

منه الما الكثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى يقول فقال منذ سمعت
الله يقول وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فدعى النبي
عليه السلام أن يجيره الله من النار فاوحى الله تعالى اليه اني قد اجرته
من النار فمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد فوجد الحجر يتفجر منه بمثل
ما كان فعجب فانطق الله الحجر فقال له النبي لم تبك فقال ذلك
بكا الحزن والخوف وهذا بكا الشكر والسرور **وروي**
ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلا والمعافا
فقال الهي ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتي اياهم
وابتلي رجل اعرابي ببلا حسنا فقال لا ابلاك الله بلا يعجز عنه صبرك
وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك **وانشد بعضهم**

سأشكر لا اني أجازيك منعما ۞ بشكري ولكن كي يقال له الشكر
وأذكر اياما لدي اصطنعتها ۞ وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

۞ وقال اخر ۞

أوليتني نعما أبوح بشكرها ۞ وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وإن أمت ۞ فلتشكرنك أعظمي في قبرها

۞ ولبعض العرب ۞

أيا رب قد احسنت عودا وبدأة ۞ الي فلم ينهض باحسانك الشكر

لمن كان ذا عذر لديك وحجة ۞ فعذري اقراري بأن ليس لي عذر
وكان مطرف يقول منك تكون النعمة وعليك تمامها وانت تعين
على شكرها وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد قال
الله تعالى في الثنا على بعض عباده انه كان عبدا شكورا وقال
تعالى شاكرا لأنعمه اجتباه وكذلك سايرما اثنى الله تعالى على
عباده ثم قال فمن شكر فانما يشكر لنفسه ومن تزكى فانما
يتزكى لنفسه ان احسنتم احسنتم لأنفسكم ليس للرب فيها قليل
ولا كثير فانه اجل من ان ينال الحظوظ واجل من ان تلحقه تنا من
او شكر شاكر فاخبر ان العلو والجلال له دونهم وانه متقدس عن
الناس بثنا مومن او كافر او شكر شاكر او كفر كافر قال الله
تعالى يدعوكم ليغفر لكم فواعجبا اعطى ثم اثنى **قال** علي رضي
الله عنه كفر النعمة داعية المقت ومن جازاك بالشكر فقد اعطاك
اكثر مما اخذ منك وحقيق بمن اسديت اليه نعمة او قضيت له حاجة
ان يكافي فان لم يقدر فليشكر فان شكرها فقد ادى حقها

۞ قال الشاعر ۞

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ۞ لرفعة حال او علو مكان
لما امر الرحمن بالشكر خلقه ۞ فقال اشكروني ايها الثقلان

وقال السبتي

لئن عجزت عن شكر برك قوتي ❀ وأقوى الورى عن شكر برك عاجز

فإن ثنائي واعتقادي وطاعتي ❀ لأفلاك ما أوليتنيه مراكز

وقال اسحاق ابن ابراهيم الموصلي وقفت علينا امراة فقالت يا قوم تغير علينا الدهر إذ قل فيه الشكر وفارقنا الغنا وحالفنا الفقر فرحم الله امرأ فهم بعقل واعطى عن فضل وواسى من كفاف واعان على كفاف

وانشدوا

فلو كان للشكر شخص يبين ❀ إذا ما تأمله الناظر

لمثلته لك حتى تراه ❀ فتعلم اني امرؤ شاكر

ولكنه ساكن في الضمير ❀ يحركه الكلم السائر

قال وقيل لكسرى ما الشكر قال المكافاة على قدر الطاعة قيل فما الكفر قال ترك الجزا ولو بالثنا قيل وهل يكون احد ابخل ممن بخل بالثناء قال نعم من عادى على الصنيعة

الباب الخامس والثلاثين

في بيان السيرة التي يصلح عليها الأمير والمأمور ويستريح بها الرئيس والمرؤس ومستخرجة من القرآن العظيم قال الله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم

فأثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين سائر البهائم ومعلوم انهم ما ثلونا في خلقنا واشكالنا ولا في عقولنا وسائر ما تدركه العين منهم ومنا فتبقى المماثلة في الأخلاق فلا احد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهائم وبهذا الحد لاخلاق الخلائق مختلفة فإذا رأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فانظر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فالحقه به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ تستريح من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم الصحبة فاذا رأيت الرجل الجاهل في خلاقه العظيم في طباعه القوي في بدنه الذي لا تومن طبايعه وافراطه فالحقه بعالم النمور والعرب تقول أجهل من نمر وانت إذا رأيت النمر بعدت عنه ولم تخاصمه ولا تناقشه فاسلك بالرجل كذلك وإذا رأيت الرجل الغالب على اخلاقه السرقة خفته والنقب ليلا على وجه الاستبشار قلنا هذا يماثل عالم الجراد فدع ملاحاته ومخاصمته كما تدع شتات الجراد إذا افسد رحلك ثم اختار رحلك بما يصلح له واذا رأيت هجاما على اعراض الناس وبليهم فقد ماثل عالم الكلاب فإن دأب الكلب ان يجفوا من لا يجفوه ويبتدي بالأذية من لا يوذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا ينبحك الست تمضي لشانك ولا تخاصمه ولا تسبه فافعل بمن يهتضم عرضك مثل ذلك فإذا رأيت

انسانًا قد جبل على الخلاف إن قلت لا قال نعم أو قلت نعم قال لا
فالحقه بعالم الحمير فإن داب الحمار إن أدنيته بعد وإن ابعدته قرب
وانت تستمتع بالحمار ولا تسبه ولا تفارقه فاستمتع ايضا بهذا الانسان
ولا تسبه ولا تفارقه وإذا رايت رجلًا يطلب عثرات الناس وسقطا
بهم فمثله في الآدميين كمثل الذباب في عالم الطير فان الذباب
يقع على الجسد فيحامي صحيحه ويطلب المواضع العلة منه ودوات
المادة والدم والنجاسة واذا بليت بسلطان يهجم على الأموال
والأرواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذرك كما تاخذ حذرك من
الاسود وليس إلا الهرب منه **كما قال** النابغه
ولا قرار على زار من الاسد • وإذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان
والمفاجرة فالحقه بعالم الثعالب • واذا بليت بمن يمشي بالنميمة ويفرق
بين الأحبة فالحقه بعالم الظربان • وهي دابة صغيرة تقول العرب
عند تفرق الأحبة والجماعة فشى بينهم ظربان فتفرقوا وخاصيته في
هذه الدويبة اذا حصلت وسط جماعة لم يلبثوا إلى أن يتفرقوا وكما
ان الجماعة إذا اقبلت نحوهم هذه الدابة طردوها ومنعوها الدخول
بينهم كذلك ينبغي اخراج النمام من بين الجماعة فان لم يفعلوا يوشك
أن يفرق ما بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض وإذا رايت

انسانا

انسانًا لا يسمع العلم والحكمة وينفر من مجالس العلماء والحكماء ويألف
سماع أخبار الدنيا وسائر الخرافات وما يجري في مجالس العوام فالحقه
بعالم الخنافس فانه يعجبه أكل العذرات ويألف روايح النجاسات فلا
تراه الا ملابسًا للأخلية والمرحاضات وينفر من روايح المسك
والورد وإذا طرح عليه المسك والوردمات **وإذا** رايت إنسانًا
انما دابه خطف الدنيا لا يستحي في الوثوب عليها فالحقه بعالم الأحدية
بان يكن رحلك عنه وإذا بليت بالرجال الديانة والسكينة وقد
نصب اشراكه لاقسام الدنيا وأكل الودايع والأمانات واموال
الأرامل فالحقه بعالم الذياب فهو كما **قال** القايل
ذيبًا تراه مصليًا فإذا خلوت به ركع يدعوا وجل دعايه ما للفريسة ما تقع
عجل بها يا ذا العلا إن الفؤاد قد انقطع • فاحترز منه كما تحترز
من الذيب وإذا بليت بصحبة إنسان كذاب فاعلم ان الانسان
الكذاب كالميت في الحكم لانه لا يقبل له يمين كما لا خبر للميت
وكما لا تصحب الموتى لا يصحب الكذاب **وقد** قيل في الأمثال
كل شي شي وصحبة الكذاب لا شي ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه
يدفن جميع بيضه تحت الرمل ويدع بيضه على وجه الرمل واخرى
تحت طاقة من الرمل ويبقي من بيضه في قعر الحفرة فإذا راه الغر

ياخذ تلك البيضة وينصرف او يكشف عن وجه الرمل فيجد الاخرى فيظن انه ليس ثم شي اخر والخبير عادة النعام اذا راى البيضة لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر بتلك البيضة كذلك الكذاب اذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ الغاية في الكشف عنه واذا رايت الرجل انما دابه ان يصنع بنفسه كما تصنع العروس لزوجها ينبض ثيابه ويعدل عمامته ويتقي ان يمسه شي غيره وينظر في عطفيه ويطوح القذا عن ثوبه ليس له همة بين الجلساء الا النظر الى نفسه واصلاح ما انثني من ثيابه فالحقه بعالم الطواويس الذي هذه صفته فانه يتبختر في مشيه وينظر الى نفسه يعوش ذنبه فتجله الملوك استحسانا له **واذا** بليت بانسان حقود لا ينسي العثرات ويجازي بعد المدة على التيقظات فالحقه بعالم الجمال والعرب تقول فلان احقد من جمل وبحسب قرب الجمل الحقود فاجتنب صحبة الرجل الحقود واذا بليت بانسان منافق ينطق خلاف ما يظهر فالحقه بعالم اليربوع فان اليربوع يكون في البرية يتخذ جحرا تحت الارض يقال له النافقا وله فوهتان يدخل من احداهما ويخرج من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق فاذا هم باخذه دخل جحره وخرج من الاخرى فيحفر الصياد خلفه فلا يلحقه ولا يظفر بشي كذلك حال المنافق

لا يصح منه شي على هذا النمط في صحبة الناس فتستريح منهم وتريحهم منك فلعمر الله ما استقامت لي صحبة الناس وتمسكت نفسي واسترحت من مكابدة اخلاقهم الا من حيث سرت معهم بهذه السيرة وقال الرباحي يا بني رباح لا تحقروا صغيرا تاخذون عنه فاني اخذت من الثعلب روغانه ومن القرد مكايده ومن السنور ضرعته ومن الكلب نظرته ومن ابن اوى حذره وقد تعلمت من القمر مشي الليل ومن الشمس الظهور الحين بعد الحين

الباب السادس والثلاثين

في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفا الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس **اعلم** ايها الملك انه متى كملت فيك الخصال المحمودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة ملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشيا مواضعها ثم ان الرعية انتصفت حقك وجهلت قدرك ولم توفك قيمتك فبلغك منهم ما يسوك ورايت منهم ما لا يعجبك فاعلم انك لست بالاله فلا تطمعن ان يصفوا لك منهم مللا مثل ما يصفوا منهم لملامه وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله تعالى خلق الخلق اجمعين ونوع عليهم انواع النعم فاكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم افاض عليهم نعمة فكملت لهم

اللذات وبعد هذا فما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته وقالوا
فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه واضافوا إليه ما يتقدس
عنه وسلبوه ما يجب له من الأسما الحسنى والصفات العلا فمنهم من
قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن
ومنهم من قال له البنات ومنهم من قال بتجسيمه ومنهم من قال
بتشبيهه ومنهم من انكره راسا وقال ما للخلق صانع كما حكاه
الخالق عنهم نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وهو مع ذلك
يحييهم ويبقيهم ويصح أجسامهم وحواسهم ويرزقهم ويبعثهم
ويقضي اربهم واوطارهم ويمتعهم متاعا حسنا ويبلغهم اماناتهم
في معظم ما يحتاجون اليه ومعاصيهم اليه صاعدة وبركاته عليهم
نازلة قل كل يعمل على شاكلته وينفق مما عنده وكل ذي حال
أولى بها وفي مناجاة موسى عليه السلام انه قال الهي أسألك
أن لا يقال في ما ليس في فاوحى الله تعالى اليه يا موسى ذلك شي ما
فعلته لنفسي فكيف افعله لك وفي هذه السين عبرة لمن اعتبر
وذكرى لمن اذكر مع انك ان التمست رضى جميع الناس التمست
ما لا تدرك وكيف يدرك رضى المخلوقين المختلفين فيا ايها الملك
الذي كتب عليه الفنى والعمر القصير والزمان اليسير والأيام

المعدودة

المعدودة والأنفاس المحصورة كيف اردت ان يصفوا لك من الرعية
ما لم يصفوا منه خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم هيهات هيهات
بعيد بعيد ما املت ومستحيل ما طلبت فلك في الله اسوة حسنة
ان ترضى منهم بما يرضى منهم خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربهم فيهم
ألم تر كيف احسن اليك فرضي منك باليسير من العمل واكثر لك من
النعم والأموال والخول فانظر كيف ستر سيئاتك وتعمد زلاتك
ولا يفضحك في خلواتك ففي هذا ما ينبه النفوس ويذهل العقول
ويهدي الى الصواب ويوضح طرق الرشاد والله اعلم ولله عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه لقد كان راعيا لما تلوته عليك فانه روي
عنه انه كتب الى عمرو ابن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون
لك أميرك

الباب السابع والثلاثين

في بيان الخصلة التي يكون فيها ملجا الملوك عند الشدايد ومعقل
السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الأحوال واعلم
ايها الملك إذا اختلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد
ومرجت في قلبك وجوه الراي وتنكرت عليك المعارف واكفهر
لك وجه الزمان ورأيت آثار التغير فلا يغلبنك وانا مقلب لك
خصلتان اترك للناس دينهم ودنياهم ولك الأمان من طوارق

الحدثان وما يأتي به الملوان **وقد روي** ان المامون قال في
آخر موافقة مع اخيه الأمين وقد نفدت بيوت الاموال والجند
الاجناد في طلب الأرزاق فقال المامون بقي لاخي خصلة لو فعلها
ملك موضع قدمي هاتين قيل له وما هي فقال والله اني لاضن بها
علي نفسي وكيف علي غيري فلما خلص له الامر سيل عن تلك الخصلة
فقال لو ان الأمير نادي في جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظايف
السلطانية والجبايات عشر سنين لملك الامر علي ولكن الله غالب
علي امره **ولما** خشي المامون انتقاض بيعته مع اهل خراسان
في فتنته مع اخيه الامين استشار الفضل بن سهل فكان وزيره فقال
له الفضل قد قرات القران وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي
أن تجمع الفقها وتدعوهم الي الحق والعمل به واحيا السنة وبسط
العدل والقعود علي اللبود وتواصل النظر في المظالم وتكرم القواد
والملوك وابنا الملوك وتعدهم بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية
والولايات المشاكلة ففعل ذلك وحط عن اهل خراسان ربع الخراج
فمالت وجوه الخلايق اليه وكانوا يقولون ابن اخينا وابن عم نبينا
صلى الله عليه وسلم وانقادوا اليه رافع ابن الليث وكان من عظما
الملوك بخراسان فيدخل تحت هذه الترجمة أمر اتفق عليه حكما العرب

والروم

والروم وفارس والفرس والهند وهو ان يصطنع وجوه كل قبيلة
والمقدمين من كل عشيرة فيحسن الي جملة أهل العلم وحفاظ
الشريعة وتدني مجالسهم وتقرب الصالحين والمتزهدين والمتزهدين
وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فلتفعل بالاشراف من كل
قبيلة والروساء المتبوعين من كل رهط فهؤلاء أزمة علي الخلق
فبهم تملك من سواهم فمن كمال الرياسة والسياسة أن تبقي علي
كل ذي رياسة رياسته وعلي كل ذي عز عزه وعلي كل ذي منزلة
منزلته فحينيذ تكون الروسا لك اعوانا ومن دانت له الفضلا
والأتباع من كل قبيلة فاخلق ان يدوم سلطانه والعامة والاتباع
دون مقدميهم وساداتهم اجساد بلا روس وأشباح بلا ارواح
ولما قامت العامة علي السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان
شيخ جالس علي كير يعالج صنعته فقال ما بال الناس فقالوا قامت
العامة علي السلطان قال ولهم راس قالوا لا قال سوق الكير باصبي فذهبت مثلا

الباب الثامن والثلاثين

في بيان الخصلة الموجبة لذم الرعية للسلطان قال حكيم الفرس
ذم الرعية للملك من ثلاثة اوجه اما كريم قصر به عن قدرته
فاورثه ذلك ضغنا واما لئيم بلغ به فوق قدره فاورثه ذلك بطرا

وأما رجل منع حظه من الانصاف وفي الأمثال إحسانك الى الحر تبعثه على المكافاة وإحسانك الى السلطان اللئيم الخسيس تبعثه على معاودة المسألة **وقيل** للاسكندر ان فلانا ينتقصك ويسيء الثنا عليك فقال انا أعلم انه ليس بشرير فينبغي أن يعلم هل ناله من ناحيتنا أمر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجدها رثة فأمر له بصلة سنية فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال اما ترون ان الأمر الينا أن يقال فينا خير أو شر فينبغي للسلطان ان يتخذ الرعية ما لا وقنية فيكون عليهم بلا وفتنة ولكن يتخذهم أهلا وإخوانا فيكونوا له جندا واعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعية خير من كنز الكنوز

الباب التاسع والثلاثون

في مثل السلطان العادل والجاير مثل السلطان العادل كمثل ياقوتة نفيسة رفيعة وسط العقد ومثل الرعية مثل ساير السدن فلا تلحظ العيون الا الى الواسطة واول ما يلحظ المقلبون ونقد الناقدون الواسطة وانما يثني المثنون على الواسطة وكلما احسنت الواسطة عمرت ساير السدن فلا تكاد تذكر كما قال ابو صعدة لقيت بالحجاز بين مكة والمدينة سكينة بنت الحسين ابن علي عليهما السلام فسفرت لي عن وجه ابنتها فاذا وجه كانه قطعة جمر وقد اثقلتها

بالجواهر واليواقيت وانواع الدر والحلي فالتفتت المراة الي وقالت والله ما علقته عليها الا لتفضحه وكما ان جمال السلك ان تلي الواسطة الافضل فالافضل من السدر وان كان على خلاف ذلك كان سيئ النظم كذلك السلطان ينبغي ان يكون الأقرب فالأقرب اليه أهل العلم والعقل والأدب والراي والاصابة والشرف والحصانة وذووا الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكمال العقد بواسطة فكذلك كمال الرعية بكمال السلطان وفضله وبراعته وعقله ومثل السلطان الجاير مثل الشوكة في القدم فصاحبها تحت الم وقلق ويتداعى لها ساير الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بما في ميسوره من الآلات والمناقش والأبر على اخراجها لانها في غير موضعها الطبيعي ويوشك ان تقلع بالأخذة فاين عرب الياقوت من شوك القتاد

الباب الأربعون

فيما يجب على الرعية إذا جار السلطان **إعلم** أرشدك الله ان الزمان وعا لاهله وراس الوعا أطيب من أسفله كما ان راس الجرة اطيب وأصفى من اسفلها فلئن قلت ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فاعلم ان الرعية ليسوا كمن مضى من الرعية ولست بان تذم أميرك إذا نظرت آثار من مضى منهم باولى من ان يذمك أميرك

إذا انظروا آثار من مضى من الرعية فإذا جار عليك السلطان فعليك الصبر
وعليه الوزر **وقال** البخاري عن عبادة ابن الصامت قال
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخذ علينا في منشطنا ومكرهنا
وعسرنا ويسرنا وآثر علينا وان لا ينازع الأمر أهله إلا ان تروا
كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره
من أميره شيئا فليصبر عليه فإنه من خرج من السلطان شبرا مات
ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم
إنكم سترون بعدي اثرة وامورا تنكرونها فقالوا فما تامرنا به
يا رسول الله قال ادوا اليهم حقوقهم واسألوا الله حقكم **وروى**
ابو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيأتيكم ركب
مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سألوا ذلك فاعطوهم
ولا تسبوهم وليدعوا لكم وهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب
فيدفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا ننازعهم فيه ونكف ألسنتنا عن
سبهم قال يا عبد الله لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه ولكن
الثقة بالله ولا محنة فوق محنة ابراهيم عليه السلام لما جعلوه في كفة
المنجنيق ليقذف به في نار جهنم قال اللهم انك تعلم اني بك
وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم واكفني كيدهم **وقال**

مالك ابن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى إني أنا الله
مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن
عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن
توبوا إلي أعطفهم عليكم **وفي** بعض الكتب ابن ادم تدعوا
على من ظلمك ويدعوا عليك من ظلمته ان شئت اجبناك واجبنا عليك وان
شئت اخرت الأمر إلى يوم القيمة فيسعكم العفو **وقال**
سليمان ابن داود عليه السلام لا تجعل نجاك في الاعداء المكافاة
ولكن الثقة بالله وروى ابو داود في السنن قال سرقت ملحفة
لعايشة فجعلت تدعوا على من اخذها فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لا تسبخي عنه يعني لا تخففي عنه فنهاها عن الدعا على الظالم كما
ترى فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه
وعلى ساير الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موفقا ما
ظلمك فان استجيب دعاوك فيه زاد ظلمه لك **ومن الالفاظ**
المروية عن سلف هذه الامة قولهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة
ما جعلناها الا في السلطان وروي عن الفضيل انه قال لو ظفرت
ببيت المال لاخذت من حلاله وصنعت منه اطيب الطعام ثم دعوت
الصالحين واهل الفضل من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت

لهم تعالوا ندع ربنا ليوفق ملوكنا وساير من يلي امرنا وجعل اليه
امرنا **ولما** قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت عايشة
ابنة عثمان يا ابتاه فقال معوية يا ابنة اخي ان الناس اعطونا
طاعة واعطيناهم امانا واظهرنا لهم حلما تحت غضب واظهروا لنا
الطاعة تحتها حقد ومع كل انسان شيعة وهو يثني مكان
انصاره فان نكثنا بهم نكثوا علينا ولا ندري اعلينا يكون ام لنا
ولا تكوني ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكوني امراة من عرض
المسلمين **وروي** ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة
له فاستعدى عليه الى المنصور فقال له اصلحك الله اذكر لك حاجتي
ام اضرب فيها مثلا فقال بل اضرب المثل اصلحك الله قال ان الطفل
الصغير اذا نابه امر يكرهه فانما يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها
اوطنا منه انه لا ناصر فوقها فاذا ترعرع واشتد فاوذي كان
فراره وشكواه الى ابيه لعلمه ان اباه اقوى من امه فاذا بلغ
وصار رجلا وحدث به امر شكا الى الوالي لعلمه انه اقوى ممن
سواه فان لم ينصفه الوالي شكا الى السلطان فان لم ينصفه
السلطان شكا الى الله تعالى لعلمه بانه اقوى من السلطان وقد نزلت
بي نازلة وليس فوقك احد اقوى منك الا الله فان انصفتني والا

رفعت امرك الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه ان ليس فوقك
احد الا الله قال بل ننصفك وامر بان يكتب الى واليه برد ضيعته اليه

الباب الحادي والاربعين

ني كما تكونوا يولى عليكم لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم
عمالكم كما تكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى في القران
قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
وكان يقال ما انكرت من زمانك فانه يفسد عليك عملك وقال
عبد الملك بن مروان انصفونا يا معشر الرعية تريدون منا نسير
فيكم سيرة ابي بكر وعمر ولا تسيروا فينا سيرتهما نسال الله تعالى
ان يعين كلا على كل **وقال** قتادة قالت بنوا اسرايل الهنا
انت في السما ونحن في الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك
فاوحى الله تعالى الى بعض انبيايه اذا استعملت عليكم خياركم
فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت
عليكم **وقال** عبيدة السلماني لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه
يا امير المومنين ما بال ابو بكر وعمر انطاع الناس لهما والدنيا
اضيق عليهم من شبر فاتسعت عليهما ووليت انت وعثمان الخلافة
فلم ينطاعوا لكما ولا اتسعت فصارت عليكم اضيق من شبر

فقال لان رعية أبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي أنا اليوم مثلك وشبهك **وكتب** أخ لمحمد بن يوسف يشكو اليه جور العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر فيه ما أنتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية أن ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه الا من شؤم الذنوب والسلام

الباب الثاني والأربعين

في بيان الخصلة التي تنصلح بها الرعية إعلم ان ادعى خصال السلطان إلى صلاح الرعية واقواها اثرا في تمسكهم بادنائهم وحفظهم لمواددهم إصلاح السلطان نفسه وتنزيهه عن سفاسف الاخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفيعه نفسه عن استصحاب أهل البطالة والمجون واللعب واللهو والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الأمين لذلك الرجل الخليع والبشر الماجن الرقيع أبو نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه واوهن بها سلطانه ووضع عند الخاصة والعامة قدره واطلق ألسنة الخلق بالشتم والثناء القبيح على نفسه فخلعه بذلك اخوه المامون على الولاية ووجه طاهر ابن الحسين لمحاربته ببغداد وحاربه حتى قتله وانفذ براسه الى المامون فكان يعمل كتبا تقرا على المنابر من خراسان ويقف الرجل فيذم أهل

العراق فيقول أهل فسق وخمور ومأخور ويعيب الأمين بذلك فيقول استصحب ابا نواس رجلا شاعرا ماجنا كافرا استخلصه معه لشرب الخمور وارتكاب المآثم ونيل المحارم وهو القايل

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ۞ ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى ۞ فلا خير في اللذات من دونها ستر

حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وسكرت له وجوه الورى **ولما** بلغ الأمين حبسه ثم اطلقه بعد ان اخذ عليه الا يشرب خمرا ولا يقول فيه شعرا فمتى اراد السلطان إصلاح رعيته وهو متماد على سيئ اخلاقه كان كمن اراد بقاء الجسد مع فقد راسه واراد استبقاء الجسد مع عدم حياته وكمن اراد تقويم الظل مع اعوجاج الشخص وكيف يحيى العود مع فساد الماء ولقد اصاب الخليل في قوله أصلح نفسك لنفسك تكن الناس تبعا لك **وقديما** قيل من أصلح نفسه ارغم أنف اعاديه ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه وسئل بعض الحكماء بم ينتقم الانسان من عدوه فقال باصلاح نفسه ولفتح التستري السبتي

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا ۞ فاحكم على ملكه بالويل والحرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة ۞ لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا

وان مرت على الطبيب حملت طيبا فمحال استصلاح رعيتك وانت فاسد
وارشادهم وانت غاو وهدايتهم وانت ضال وقد سبق المثل ومن
العجايب اعمش كحال وتقول العرب يا طبيب طب نفسك وكيف
يقدر الاعمى ان يهدي او الفقير على ان يغني او الذليل على ان يعز
فيعدل عن تطهير غيرك من العيب قبل تطهير نفسك كبعد الطبيب
من ابرا غيره من داية مثله وقال بعض الحكما لن تبلغ الف
رجل في اصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن الفعل ما يبلغ
رجل واحد في اصلاح الف رجل بحسن الفعل دون القول وفيه يقول

يا ايها الرجل المعلم غيره … هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدوا من السقام لذي الضنا … ومن الضنا قد كنت انت سقيم
ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا … صفه وانت من الرشاد عديم
ابدا بنفسك فانهها عن غيها … فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك تقبل ان وعظت ويقتدا … بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتركب مثله … عار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن اقوى الاسباب في صلاحهم عند قرب صلاحهما ستحما له
عليهم الخاصة منهم ذوي العقول الراجحة والمروات القايمة
والاديال الطاهرة فمتى رايت العامة سروابهم فهو الطريق الى حفظ

ادبانهم واخبارهم ومرواتهم وتماسكهم عن الانهماك في المحذورات
وملابس المحرمات وقد قال الشاعر

لا يصلح الناس قوما لا سراة لهم … ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال مردك الفارسي خلتان في السلطان اقرب الى صلاح
الرعية من سواهما ثقة الراي وشدة الرحمة وما احق السلطان
ان يسلك بالرعية كل سبيل يصلحون عليه ويسودون معه لجنبه
يكون رئيس الروسا واميرا على السادة والفضلا وان اهمالهم وركوب
شهواتهم وتوسط ارايهم ذهب ادبانهم وسقطت مرواتهم وبقوا كما
جا المثل في الجماعة المذمومة تقول العرب في القوم لا روسا فيهم ولا
سروات بينهم هم سواسية كاسنان الحمار وتقول سواسية
كاسنان المشط وفيهم يقول الشاعر

سواسية كاسنان الحمار … فلا ترى لذي شيبتهم على ناشى فضلا

ولا يكون اميرا على الفضلا خير من ان يكون اميرا على الرمادية والغاغة والدناة
وقال عبد الملك بن مروان يوما قد استقام له من بعد رني
من عبد الله بن عمر فانه ابا ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسايه
فتستحضره وتضرب عنقه وتستريح منه فقال عبد الملك ويلك فاذا
قتلت بن عمر على من اكون اميرا ولما سار داود الى الحجاز في الدولة

العباسية ليقتل من هناك من بني أمية فقال له عبد الله ابن الحسن يا
ابن العم إذا اسرعت في قتل اكفائك فمن تباهي بسلطانك اعف يعف
الله عنك فعفا قال ارسطاطاليس للاسكندر استصلح
الرعية واذهب شرهم تكن رئيسا لاخيار ممدوحين ولا تكن
رئيسا لأشرار مذمومين فتكون كراعي البقر

الباب الثالث والأربعين

فيما يملك السلطان من الرعية كتب ارسطاطاليس الى الاسكندر
املك الرعية بالاحسان تظفر منهم بالمحبة فان طلب ذلك منهم
بالاحسان هو أدوم بعامتهم بالاعتساف واعلم انك انما تملك
الابدان فتخطها الى القلوب بالمعروف واعلم انه إذا عدل
السلطان ملك قلوب الرعية وإذا جار لم يملك منها الا الرياء
والتصنع وفي سير الفرس قلوب الرعية خزاين ملوكها
فما أودعوها من شيء فليعلموا انه فيها واعلم ان الرعية إذا
قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل فاجهد من أن لا تقول
تسلم من أن تفعل وليس هذا خلاف ما روي عن معوية ان رجلا
اغلظ عليه فحلم عنه فقيل له الحلم عن مثل هذا فقال إني لا احول
بين الناس وبين السنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وذلك

بالبر والعطف بالانصاف فاذا ملكت استرقها فانها مع ملك الابدان صح

ان

ان تفسير قوله فاجتهد ان لا يقولوا يعني إذا عدلت لم يتكلموا بشيء
وهذه السيرة احسن من سيرة اردشير لما رفع اليه ان جماعة من
بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما نملك
الأجسام لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضى ونفحص عن الأعمال
لا عن السرائر قلت وانما يحسن هذه السيرة لمن عجز
عن الاولى لان ملك الأجساد قد يكون بالعدل واين هذا من
قوله وقد رفع اليه انك بالأمس ركبت في عدة قليلة وتلك حال
لا نؤمن اغتيال الاعداء فيها فوقع من عم احسانه امن أعداءه
وما أحسن من قال عبد الملك بن مروان يا اهل الشام إنما انا لكم
كالظليم الرائح على فراخه ينفي عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر
ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم من الذباب
يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وانتم العدة والحذاء وقالت العجم
أسوس الملوك من قاد أبدان رعيته الى طاعته بقلوبها ولا ينبغي
للوالي ان يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرها
ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير وقال
عمر ابن عبد العزيز اني لا اجمع ان اخرج للمسلمين امرا من العدل
فاخاف لا تحمله قلوبهم فاخرج معه طمعا من طمع الدنيا فان نفرت

القلوب من هذا اسكنت الى هذا وقال معوية لزياد من اسوس
انا او انت قال يا امير المومنين ما جعل الله رجلا حفظ الناس بسيفه
كمن سمع الناس واطاعوا له باللين ويروى ان سليم مولى زياد
فخر بزياد عند معاوية فقال معوية اسكت فما ادرك
صاحبك بسيفه شيا الا ادركت اكثر منه بلساني

الباب الرابع والاربعين

في التحذير من صحبة السلطان اتفقت حكماء العرب والعجم ووصاياهم
على النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب كليلة ودمنه ثلاثة لا يسلم
عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النسا على الاسرار وشرب
السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر واعظم
منه خطرا صحبة السلطان وقال مردك احق الامور بالتثبت
فيها امر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس
شعار الغرور وفي حكم الهند انها ايضا صحبة السلطان على ما
فيها من العز والثروة عظيمة الخطر وانما شبه بالجبل الوعر
فيه الثمار الطيبة والثعابين المهلكة والارتقا اليه شديد
والمقام فيه اشد وليس يتكل في خير السلطان وشره لان خير
السلطان لا يعدو ان يزيل الجاه وشر السلطان قد يزيل الحال

ويتلف

ويتلف النفس التي لها طلب المزيد ولا خير في الشي الذي في سلامته
مال وجاه وفي نكبته الجائحة والتلف ولهذا ما قيل للعتابي
لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لاني رايته يعطي
عشرة الاف في غير شي ويرمي من السور في غير شي ولا ادري
اي الرجلين اكون واخبرني ابو العباس الحجازي وكان
ممن درج ارض الهند والصين وانتهى الى صين الصين ان جبل
الياقوت بالهند وان فيه ثعابين ليس في معمور الارض اعظم منها
وان الواحد ليبتلع الثور صحيحا فلا يصل احد الى ذلك الجبل ولا يقربه
فاذا كثرت الامطار احدرت السيول منه الحصى وسائر ما فيه
من المنافع الى مستقر المياه على مسيرة ايام من الجبل فيبحث الناس
ذلك الحصى فيوخذ منه الواحدة بعد الواحدة من احجار الياقوت
وقال معاوية لرجل اياك والسلطان فانه يغضب غضب
الصبي ويرضى رضى الظبي ويبطش بطش الاسد وقال المامون
لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان وقال الاحنف
ابن قيس ثلاثة لا اقولهن الا ليعتبر بهن لا اخلف جليسي الا بما
احضر ولا ادخل في امر الا ادخل فيه ولا اتي السلطان الا ان يرسل
الي وقال ابن المقفع لابنه اني وجدت من السلطان غنا فاغن

عنه نفسك واعزله دهرك فانه من اخذه السلطان لحقه حيل بينه
وبين لذة الدنيا ومن لا ياخذه بحقه يكسبه الفضيحة في الدنيا
والوزر في الاخرة وقال ميمون بن مهران قال لي عمر ابن
عبد العزيز يا ميمون احفظ عني اربعا لا تصحبن سلطانا وان امرته
بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامراة ولو اقراتها القران
ولا تصلن من قطع رحمه فانه لك اقطع ولا تتكلمن بكلام اليوم
تعتذر منه غدا وفي منثور الحكم كثرة الاشغال مذهلة
عن وجود اللذات وكنهها وكم قد راينا وبلغنا لمن صحب الملك
والسلطان من اهل الفضل والعقل والدين والعلم ليصلحه فسد
هو به كما قال الاول عدو البليد الى الجليد سريعة والجمر
يوضع في الرماد فيخمد ومثال من يصحب السلطان
ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حايطا مايلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر
الحايط عليه فاهلكه هو في كتاب كليلة ودمنه لا تسعد من
ابتلي بصحبة الملوك فانه لا عهد لهم ولا وفا ولا قرب ولا حميم
ولا يكرم عليهم الا ان يطمعوا عنده فيقربوه عن ذلك فاذا قضوا
حاجتهم تركوه ولا ود ولا الخلا الفلا نحراف الذيب لا يغفر له
وقال بزرجمهر لا تصلح صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل

ولا مواخاة الاخوان الا باللين والمواساة وقال بعض حكما الفرس
المال والسلطان مفسدان كل احد الا رجل له عقل كامل
وقالت الحكما صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس
وهو لمركبه اخوف قالوا ومن لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم
الغيظ واطراح الاذى يوشك ان ينال حاجته ويصل كالكرم
لا يتعلق باكرم الشجر لكن بادناها منه وكانت العرب تقول
ان لم تكن من قربا الملك فكن من بعدايه وفي حكم الهند
انما مثل السلطان في قلة وفايه لاصحابه وسخا نفسه عمن فقد
منهم مثل البغي والمكيب كلما ذهب واحد جا اخر وا العرب تقول
السلطان ذو عدوان وذو بدوان يريد انه سريع الانصراف
كثير البدوان هجوم على الامور واصله الدرا وهو الدفع

الباب الخامس والاربعين في صحبة السلطان

قال ابن عباس قال لي ابي يا بني اني ارى امير المومنين يستخليك
ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من اصحاب النبي عليه السلام
واني موصيك بخلال ثلاثه لا تفشين له سرا ولا تجرين عليه كذبا
ولا تغتابن عنده احدا وقال الشعبي قلت لابن عباس
كل واحدة منهن خير من الف قال والله ومن عشرة الاف

وقالوا اصحب السلطان بالحق والصديق بالتواضع والعدو بالجهل
والعامة بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن راي الملك الا بحسن اثره
وقال بعض الحكما لا تستطلع السلطان ما كتمك ولا تفش
ما اطلعك عليه من دل على السلطان استثقله ومن امتن عليه عاداه
ومن اظهر انه يستشيره باعده وقال بعض الحكما اذا اراد السلطان
تانيسا فزده اجلالا واذا اجعلك السلطان اخا فاجعله ابا وان
زاد فزده فعل السيد مع عبده وان ابتليت بالدخول على السلطان
مع الناس فاخذوا في الثناء فعليك بالدعاء وان نزلت منه منزلة
الثقه فاعزل عنه كلام الخلق ولا تكثر من الدعا عند كل كلمة
فان ذلك تشبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس
فلا تالوا ما عظمته وذكرته وقال ابن المقفع لتكن
حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضا ربك ورضا سلطانك ورضا
من يلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المال والذخر فياتيك منهما ما يكفي
وقال مسلم ابن عمرو لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان
إذا ادناك ولا تتغير إذا اقصاك وروي ان بعض الملوك
إستصحب حكيما فقال له اصحبك على ثلاث خلال قال وما هن
قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قايل

حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عندك قال لا افشي لك سرا ولا
ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب المستصحب
انت وقيل لعبد الله ابن جعفر ما الخرق قال الدالة على السلطان
والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع اولى الناس بالملكة الفاحشة
المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى ابن خالد الدالة تفسد
الحرمة القديمة وتضر بالمحبة الاكيدة وقال بزرجمهر
إذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالقك فان
احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك اغلظ من ايقاعه اصحب
الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة
فلا تترك الهيبة وان طال انسك بهم فتوحشهم منك لا تعط
السلطان مجهودك في اول صحبتك له فلا تجد بعده موضعا للمزيد
ولكن دع للمزيد موضعا علم السلطان وكانك تتعلم منه واشر
عليه وكانك تستشيره إذا احلك السلطان من نفسه بحيث يسمع
منك واياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى تتغير
لك فيكونون عونا عليك يعني اياك والتعادي من إذا شاطرح
ثيابه ودخل مع الملك في ثيابه فعل ومن الامثال القديمة احذر
زيادة المحل وفيه قيل هذه الابيات

ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا ۞ مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا
وفي الأمثال القديمة لا تذل فتمل ولا توجف فتجف وقال الرشيد
لاسمعيل بن صبيح اياك والدالة فانها تفسد الحرمة وقال
سليمان بن داود عليه السلام لا تخش السلطان ولا تتعد عنه وقال
بعض الحكماء شدة الانقباض على السلطان تورث التهمة وشدة
الانبساط تفتح باب الملامة واعلم ان من طلب العز بلا ذل كانت
ثمرة سعيه الذل أحرز منزلتك عند السلطان بمثل ما اكتسبتها
من الجد والمناصحة واحذر ان يحطك التهاون عما رقاك اليه
التحفظ أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان اقرب الأشياء الى
النار أسرعها احتراقا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم
الغيظ واطرح الاذى وصل الى حاجته وقال
الاحنف بن قيس لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه
من اشرف للسلطان اذاه ومن تضرع تخطاه وقال ابن
عباس ثلاثة من عاداهم عادت عزته ذلة السلطان والوالد
والغريم واعلم انه انما يستطيع صحبة السلطان احد رجلين اما فاجر
مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل مهين
لا يحسده احد فاما من اراد ان يصحب السلطان بالصدق والنصيحة

والعفاف فقل ما يستقيم له صحبتهم فانه يجتمع عليه عدوا السلطان
وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه في منزلته فيطعن
عليه لنصيحته له واما العدو فيطعن عليه لنصيحته له فاذا اجتمع
عليه هذان الصنفان كان عرضا للهلاك وقال
بعض الحكماء من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في الآخرة
لا يوحشنك من السلطان اكرام الأشرار فان ذلك للضرورة
اليهم كما يضطر الملك الى الحجام فيشرط قفاه ويخرج دمه وفي الأمثال
القديمة لا حلم لمن لا سفه له وكان ابن عمر اذا سافر الى مكة
استصحب معه رجلا فيه ما فيه ليستدفع به شر السفهاء واهل الدعارة
وقال المعتصم ان للسلطان لسكرات فيها الرضى عمن استوجب
السخط والسخط على من استوجب الرضى ومنه قول الحكماء خاطر
من لج في البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان وقال ابن
المقفع لابنه لا تعدن شتم السلطان شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان
ريح العزة تبسطه في غير بأس ولا سخط وقال ساميد
احد حكماء الفرس أربعة اشياء ينبغي ان تفسر للفطن كما تفسر للبليد
ولا يتكل فيها على ذكائه احدها ويل الدين واخلاط الادوية وصفة
الطريق المخوف والرأي في السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع

منك الآخر نسي الاول فارحامهم مقطوعة وحبالهم منصرمة الا من
رضوا عنه في وفقهم وساعتهم واذا رايت من الوالي خلالا لا
ينبغي فلا تكاثره على ردها فانها رياضة صعبة لكن احسن
مساعدته على احسن رايه فان استحكمت منه ناحية من الصواب
كان ذلك الصواب هو التي يبصره الخطايا اللطيفة اكثر من
تبصرك والعدل من حكمتك فان الصواب يدعو بعضه الى بعض
واذا تمكن اقتلع الخطا ولا يطلب ما قبل للوالي بالمسلة ولا تستبطه
وان ابطا ولكن اطلب بما قبله بالاستحقاق والاستيناء كان
استحققته اياه من غير طلب واذا لم يستبطه كان اعجل قال
يحيى ابن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المراة العاقلة
القبيحة للزوج الاحمق وقال خالد بن يحيى لبعض اخوانه تنكر
لي هارون الرشيد فقال له ارض بقليله من كثيره واياك ان
تسخط فيكون اسخط منك

الباب السادس والاربعين في سيرة السلطان مع الجند

اعلم ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله واوتاده وهم حماة
البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنن
الثغور واحراس الابواب والعدة للحوادث وامدادا المسلمين

والحد الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع
في نحره فهم يذب الحريم ويؤمن السبيل وتسد الثغور وهم عن الارض
وحماة الثغور والذادة عن الحريم والشوكة على العدو وعلى الجند الجد
عند اللقا والصبر عند البلا فان كانت لهم الغلبة فليمعنوا في
الطلب وان تكن عليهم فلينكسروا الاعنة وليجمعوا الاسنة
وليذكروا الخبار اعقد وينبغي للملك ان يتفقد جنوده كتفقد
صاحب البستان بستانه يقلع العشب الذي لا ينفعه ومن العشب
ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اولى ولا يصلح
يستصلح الا بادرار ارزاقهم وسد حاجاتهم والمكافاة لهم على
قدر اعمالهم وتلا بهم وجنود الملك وعدوها ووقف على سعود الايمة
ونحوسها وقال ابن وين لامية شروية لا توسعن على
جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطا
قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرخا ولا توسع عليهم
في العطا ولما افضى الامر الى ابي جعفر المنصور انفذ جيشا وقال
لقواده سيروا وامتثل هذه السيرة ثم قال صدق الاعدا الى اجع كلبك
يتبعك قال ابو العباس الطوسي يا امير المومنين اخاف ان يلوح
له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك ويروى ان كسرى

صنع طعاما في سماط فلما فرغوا ورفعت الالات وقعت عينه على رجل
من اصحابه قد اخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه فجعل الخدم
يرفعون الالات فلم تجد والجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال ما
لكم فقالوا افتقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم اخذه من لا يرده
وراه من لا يفضحه فلما كان بعد ايام دخل الرجل على كسرى وعليه
حلة جميلة وحال مستجدة فقال له كسرى هذا من ذاك فقال له
نعم ولم يقل له شي وسئل عمر ابن معاذ وكان على الطوايف
لم قدرت على جيوش الطايفة وكانوا يغزوا في كل سنة وتجهز
الجيوش الى بلاد الروم سمانة الظهر والقديد وكثرة الكعك
وروي ان بعض امراء العرب كان ظالما لرعيته شديد الاذى
لهم في اموالهم فعوتب في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه
فقتلوه فمر به بعض الحكما فقال ربما اكل الكلب صاحبه اذا لم تجد شبعه

الباب السابع والاربعين

في سيرة السلطان في استجبا الخراج من اطال عدوانه زال سلطانه
اعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن
ونتاجه العدل وهو حصن الاسلام ومادة الملك على العدو والمال
اقوى العدد وهو ذخيرة الملك على العدو وعمارة المملكة وحياة

الارض

الارض ومن حقه ان يوخذ من حقه ويوضع في حقه ويمنع من السرف
ولا يوخذ من الرعية الا ما فضل من معايشها ومصالحها ثم ينفق
ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها فايها الملك احرص كل الحرص
على عمارة الارضين والسلام ايها الملك من جباة الاموال بالرفق
ومجانبة الخرق فان القملة تنال من الدم بغير اذا ولا اسماع صوت
ما لا تناله البعوضة بلسعها وهول صوتها ولما عزل
عثمان عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابي السرح فحمل من المال
اكثر ما كان عمرو يحمل فقال عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح
درت بعدك فقال ذلك لانكم اعجفتم اولادها وقال زياد
احسنوا الى المزارعين فانكم لم تزالوا اسمانا ما سمنوا وفي منثور
الحكمة من جاوز في الحلب حلبه الدهر وفي الامثال اذا استقصى
العجل مص امه رفصته وقال جعفر ابن يحيى الخراج عماد
الملك ما استعز بمثل العدل ولا استرد بمثل الظلم في خراب
البلاد وتعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج
بالجور والتحامل ومثل السلطان اذا حمل على اهل الخراج حتى
ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع
فهو وان قوي من ناحية ضعف من ناحية وما ادخل على نفسه

الوجع والضعف اعظم ما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل الذي كلف
الرعية من الخراج فوق طاقتهم مثل الذي يطين سطحه بتراب اساس
بيته ومن بدمن حرا لعمود يوشك ان تضعف فتقع الخيمة وإذا
ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين فيتركوها فتخرب
الأرض وتهرب الزراع فتضعف العمارة ويضعف الخراج ويتبع
ذلك ضعف الأجناد وإذا ضعف الجند طمع الأعدا في السلطان
ايها الملك فكن بما يبقي في يد رعيتك افرح منك لما تاخذ منها
لا يقل مع الصلاح شي ولا يبقي مع الفساد شي وصيانة القليل
أولي من تربية الجليل فلا مال ولا خرق ولا علة لمصلح وروي
ان المامون أرق ليلة فاستدعي سميرا يحدثه حديثا فقال يا أمير
المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة
الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا انكح
ابنتي الا ان تجعل في صداقها ماية ضيعة خراب فقالت بومة
الموصل لا اقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله
علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ بها المامون
وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد امر الولاة
وسمعت بشيوخ بلاد الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون ما

زال أهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وامر العدو في ضعف
وانتقاص لما كانت الأرض مقتطعة في ايدي الاجناد وكانوا يستغلونها
ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته وكانت
الارض عامرة والأموال وافرة والأجناد متوافرة عندهم من
الكراع والسلاح فوق ما يحتاجون اليه الى ان كان الأمر
في أخر ايام ابن ابي عامر فرد عطايا الجند مشاهرة بعين الاموال
على النطع وقدم على الأرض جباة جبوها فأكلوا الرعايا واحتجبوا
اموالهم واستضعفوهم فهربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت
الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد وقوي العدو
على بلاد المسلمين حتى أكلوا الكثير منها ولم يزل أمر المسلمين
في نقص وأمر العدو في ظهور الى أن دخلها الملثمون فردت
الاقطاعات كما كانت في الزمن المتقدم ولا ادري ما يكون وراء ذلك

الباب الثامن والأربعون

في سيرة السلطان في بيت المال وهذا باب سلكت فيه ملوك
الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف
سيرة الانبيا والمرسلين عليهم السلام والخلفا الراشدين وكانت
الملوك تدخر الأموال وتحجبها عن الرعية وتبعدها اليوم كريهة

على ما بيّنا في الباب قبله وكانت الرسل والخلفا بعدهم تبذل
الأموال ولا تدّخرها وتصطنع الرجال وتوسع عليها فكانت الرعيّة
هم الأجناد والحماة وهذه سيرة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلّم
وقد علمت ان جوعه كان اكثر من شبعه وانّه مات ودرعه
مرهونٌ في صاع من شعير عند يهوديٍّ وكذلك الخلفا الراشدون
بعده ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم الحسن رضي الله عنهم وعمر ابن
عبد العزيز وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه اليمن
كانت تجي اليه الأموال فيفرّقها ليومها وقد يوضع في المسجد
ويعرش الانطاع لها ويفرّقها من الغد ولم يكن له بيت مال
وروى أبو داود في السنن انّ النبي صلى الله عليه وسلّم صلّى
العشا الأخرة ثم دخل الحجرة وخرج مسرعًا وبيده خريقة فيها ذهب
ثم قال ما أظن آل محمّد لو ادركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبيّ
صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا للخلفا الراشدين بعده وانما كانت
الخلفا تقسم الأموال التي تجي من حلها بين المسلمين وربّما كان
يفضل منها فضل فيجعل في بيت لمن حضر من غايب أو احتاج
من حاضر فيقسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه شيّ
برة ولا درهم واحد كما روي انّ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب

رضي الله عنه أشرف على بيت فيه المال فقال يا بيضا يا حمرا ابيضّي
واحمرّي وغرّي غيري ثم امر فقسم ما فيه بين المسلمين وامر
بنبر ان يكنسه ويرشه ثم دخل وصلّى فيه ثم كثير من الملوك
سارو في الأموال على مثل هذه السيرة من ملوك الاسلام وملوك
الروم ومعظم ما اهلك بلاد الاندلس وسلط عليهم الروم الذين
جاوروهم لم يكن لهم بيوت أو مال كانوا ياخذون الجزية من
سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم على
رجاله بالطاس ويأخذ مثل ما ياخذون وقد لا ياخذ منها شيٌ وانما
كانوا يصطنعون بها الرجال وانما كانت سلاطيننا تختجن
الأموال ويضيّعون الرّجال فكان للرّوم بيوت رجال وللمسلمين
بيوت أموال فبهذه الحيلة قهرونا وظفروا علينا وكان من تمذهب
بهذا المذهب لا يدّخر المال تصرف فيه الأمثال وتقول بيت المال
عذ والملك وصديقه جنده فإذا ضعف احدهما قوي الأخر فاذا ضعف
بيت المال ببذله للحماة قوي الناصر واشتد باس الجند فقوي
الملك واذا قوي بيت المال وامتلى بالمال قل الناصر وضعف الحماة
فضعف الملك فوثب عليه الاعدا وقد شاهدنا ذلك في بلاد الاندلس
مشاهدةً واذا كان الدفاع في الرجال لا في الاموال وإنّما

يدافع بالأموال بواسطة الرجال فلا شك ان بيت رجال خير
من بيت مال **وقد** قال بعض الملوك لولده يا بني لا تجمع الاموال
الا لتقوي بها على الأعداء فان في جمعها تقوية الأعداء يعني اذا اجتمعت
بالأموال اضعفت الرجال فيطمع فيك الصديق ويثب عليك العدو
وانما مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيه عين معينة
فان هو قام على البستان فأحسن تدبيرها وهندس أرضها وغرس
اشجارها لخضرة على جوانبها ثم أرسل عليها الماء اخضر عودها واينعت
اثمارها وزكت بركاتها فكانوا جميعا في امان من الضيعة لا
يخافون فقرا ولا شتاتا وإن هو رغب في غلتها وجنايتها ولم
ينفق فيها ما يكفيها ولا ساق لها من الماء ما يرويها رغبة
في الغلة وضنة بالمال ضعفت عمارتها ورقت اشجارها وقلت
ثمارها وذهبت غلتها ومحق الدهر ما جنا من غلتها فافترق القوم
وهلكوا وتشتتوا **ومثال الملك** في جمع المال
ليتقوى به على عدوه مثال طائر ينتف ريشه ويمص اصولها
ويأكل ما نعم منها فلذ له طيبها واعجبه خصب جسمه على ذلك
فلم يزل كذلك حتى خف ريشه فسقط الى الأرض فأكلته الهوام
والحشرات **ورأيت** في اخبار بعض الملوك ان وزيره اشار عليه

بجمع الأموال واقتنا الكنوز فقال إن الرجال وان تفرقوا عنك
اليوم فمتى احتجتهم عرضت عليهم الاموال فتهافتوا عليك قال له
الملك هل لهذا من شاهد قال نعم هل بحضرتنا الساعة ذباب قال
لا قال فأمر باحضار جفنة فيها عسل فحضرت فتساقط الذباب
عليها لوقتها فاستشار السلطان بعض اصحابه فنهاه عن ذلك
وقال لا تغتر قلوب الرجال فليس في كل موضع اردتهم حضروا
قال هل لذلك من دليل قال نعم إذا امسينا فسأخبرك فلما أظلم الليل
قال للملك هات الجفنة فحضرت فلم يحضر ولا ذبابة واحدة **وقد**
روينا عن سيرة بعض الملوك في أرض مصر وكان قد ملكها رجل
يسمى بلوزرقون وذلك انه كان بجمع الأموال ولا يحتفل بالرجال
فقالوا له اصحابه ان أمير الجيوش بالشام وهو يتواعدك وكانه قد
قدم عليك فاستعد الرجال وانفق فيهم الأموال فاومى الى الصناديق
الموضوعة عنده وقال الرجال في الصناديق فغزا أمير الجيوش ذلك
الملك في مصر وقتله وتسلم الصناديق والملك وكان رأيه رأيا
فاسدا لأن رجالا لا يقيمهم لوقته وجمعهم عند حاجته انما يكونوا اجداثا
مجتمعين وشرذمة ملفقين ليس فيهم غنا ولا عندهم دفاع ولا
ممارسة للحروب **ومن السير** المروية في هذا الباب

انه لما فتحت العراق جيء بالمال الى عمر فقال صاحب بيت المال أدخله
بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا ياوي تحت سقف بيت حتى نقسمه
فغطي في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار
فلما اصبح نظر الى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والدر
يتلالا فبكا فقال له العباس أو عبد الرحمن ابن عوف يا امير المومنين
ما يبكيك والله ما هذا يوم بكا ولكنه يوم شكر وسرور
فقال إي والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر
في قوم الا وقع باسهم بينهم شديد ثم أقبل على القبلة ورفع يديه
وقال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني اسمعك
تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال سراقة بن جعشم
فاتي به اشعر الذراعين دقيقهما فاعطاه سواري كسرى وقال
البسهما ففعل فقال الله اكبر الله اكبر قال قل الحمد لله الذي
سلبهما كسرى وألبسهما ففعل فقال الله أكبر سراقة ابن جعشم
اعرابيا من مدلج فقلبهما وقال إن الذي ادى هذا لامين فقال
له رجل إذا انا اخبرك انت أمين الله تعالى وهم يؤدون إليك ما
أديت لله تعالى فاذا أرتعت رتعوا قال صدقت وانما ألبسهما
سراقة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة وقد طوا الى ذراعيه

كاني

كأني بك قد لبست سواري كسرى **ولما** ولي ابو بكر
رضي الله عنه جاءه مال من العمال فنادى من كان له عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم دين أو أوعده فليحضر قال ابو ايوب الانصاري
يا خليفة رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاءني
مال اعطيتك هكذا وهكذا فاشار بكفيه فسكت فانصرفت
فعاودته فسكت عني ثم انصرفت فعاودته فسكت عني فقلت
اما ان تعطيني واما أن تبخل عني فقال ما ابخل عنك اذهب فخذ فذهبت
فحثت حفنة فقال عدها فعددتها فوجدتها خمس مائة دينار فقال
عد مثلها فعددت مثلها وانصرفت بالف وخمس مائة دينار وابو ايوب
من اعز الانصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم دل الحديث على
ان بيت المال للغني والفقير ودل ايضا على انه لا يتساوى فيه جميع
المسلمين بل ذلك موكول الى اجتهاد الامام والدليل عليه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال له العباس اعطني من هذا المال قال اذهب
فبسط ثوبه وحثا فيه فلما جا يحمله عجز عنه فقال يا رسول الله مر من
يحمله علي فقال لا فنثر منه ثم جا يحمله فعجز عنه فقال يا رسول الله
مر من يحمله علي فقال لا فنثر منه ثم حمله على عاتقه فاتبعه النبي صلى
الله عليه وسلم بصره حتى غاب عنه **فصل**

قال الحسن ابن علي الأسدي أخبرني أبي قال وجدت في الكتاب
القبطي باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج
لفرعون يوسف عليه السلام من أموال مصر بحق الخراج مما يوخذ
من وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم
الجارية من غير اضطرار ولا منافسة وبعد وضع ما يجب وضعه
لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية لحالهم من العين أربعة
وعشرون الف الف واربع ماية الف دينار من ذلك ما يتصرف
في عمارة البلد لحفر الخليج والانفاق على الجسور وسد الترع واصلاح
المسناة ثم تقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها
لاقامة العوامل والتوسعة في البذار وغير ذلك من الالات
وأجرة من يستعان به بحمل البذار ولساير نفقات تطبيق الأرض
ثمان ماية الف دينار ولما ينصرف في أرزاق الأولياء المرسومين
بالسلاح ولمن في جملتهم من الشاكرية والغلمان وأشياعهم وعدة
جميعهم مع الف كانت مرسومين للدواوين سوى أتباعهم من الخزان
ومن يجري مجراهم ماية الف واحدى عشر الفا وثمانية الف الف
دينار ولما ينصرف للأرامل والأيتام يرصون به من بيت المال
وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا امثالهم من بر فرعون بهم

اربع ماية الف دينار ولما يتصرف في كهنة ترابتهم وساير بيوت
صلواتهم مايتا الف دينار ولما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا
وينادي نرتب الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة الاحضر فيحضر
لذلك من يحضر فلا يرد احدا ولا مناجلوس فان رأوا إنسانا لم يجر
رسمه ان ياخذ افرد بعد قبضه ما يقتضيه حتى إذا فرق المال واجتمع
من هذه البطانة عدد ادخل أمنا فرعون اليه وهنوه بتفرقه المال
ودعوا له بطول البقا والعز والسلامة فانتهي اليه حال تلك الطايفة
فامر بتغيير شعثها بالجيم واللباس ثم تمد البسط فيأكلون بين يديه
ويشربون ويستعلم من كل واحد منهم بسبب فاقته فان كان من
آفة الزمان زاد عليه مثل الذي كان له وان كان عن سوء رأي
وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه ويأخذه بالأدب والمعرفة
التي تصلح له مايتا الف دينار ولما ينصرف في نفقات فرعون الراتبة
لسنته مايتا الف دينار وتكون النفقات على ما تقدم تفصيلها
تسعة الف الف وثمان ماية الف ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه يوسف
عليه السلام ويحصله لفرعون في بيت المال لنوايب الزمان اربعة عشر
الف الف دينار وستماية الف دينار. وقال
أبو رهم كانت أرض مصر ارضا مدبرة حتى ان الما ليجري تحت

منازلها وأمنيتها فيحبسوه حيث شاؤا ويرسلوه كيف شاؤا وذلك
قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا
تبصرون وكان ملكا عظيما لم يكن في الأرض أعظم من ملك
مصر وكانت الجبال بحافتي النيل متصلة لا ينقطع منها شي عن شي
والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر تروى كلها
من ستة عشر ذراعا دبروا في جسورها وحافاتها والزرع ما بين الجبلين
من أولها الى أخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام
الكريم المنابر وكان بها الف منبر وقال
عبد الله بن عمرو استعمل فرعون هامان على حفر خليج بسردوس فأخذ
في حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه أن يجري الخليج تحت قريتهم
ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من الشرق الى
الغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف اراد فليس بمصر
خليجا أكثر منه عطوفا فاجتمع له في ذلك أموال عظيمة فحملها
الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه لينبغي للسيد ان يعطف
على عباده ويفيض عليهم من خزاينه وذخايره ولا يرغب فيما بأيديهم
رد على اهل القرى أموالهم فرد عليهم ما أخذ منهم فهذه سيرة من لا

يعرف الله ولا يرجوا لقاه ولا يخاف عذابه ولا يومن بيوم الحساب
فكيف يجب أن يكون سيرة من يقول أشهد ان لا إله الا الله ويوقن
بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس في
قوله تعالى اجعلني على خزاين الأرض اني حفيظ عليم قال هي خزاين
مصر وكانت اربعين فرسخا في مثلها قال ولم يطع يوسف فرعون
ويخلفه ويتوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فأسلم فحينيذ قال
اجعلني على خزاين الأرض ولما استوثق أمر يوسف الصديق عليه السلم
وكمل امره وصارت الاشيا اليه واراد ربك أن يعوضه على صبره
لما لم يرتكب محارمه وكان سنون الغلا والجوع مات العزيز
وذهبت الذخاير وافتقرت زليخا وعمي بصرها وجعلت تتكفف
الناس فقيل لها ان تعرضت للملك لعله يرحمك على ما كان منك اليه
فقالت انا أعلم بحلمه وكرمه وجلست له على رابية الطريق يوم خروجه
وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه واهل مملكته
فلما احست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم
وجعل العبيد ملوكا لطاعتهم فقال يوسف من أنت
قالت انا الذي أخدمك على صدور قدمي وأرجل جمتك بيدي
وأكرم مثواك بجهدي فكان مني ما كان وذقت وبال أمري

وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت أسل فمنهم من يرحمني
ومنهم من لا يرحمني بعد ما كنت مغبوطة أهل مصر صرت مرحومة
بل محرومة هذا جزا المفسدين فبكا يوسف عليه السلام بكا
شديدا وقال لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شي فقالت
والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الي من ملي الأرض
ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل اليها وقال لها إن كنت أيم
زوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت الملك اعرف
بالله ان يستهزي بي وهو يراني ايام شبابي وجمالي فكيف تقبلني
وأنا عجوز عميا فقيرة فامر بها يوسف عليه السلام فجهزت له
وتزوجها وادخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وجعل
يصلي ويدعو الله تعالى باسمه الاعظم فرد الله تعالى عليها شبابها
وجمالها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر
فولدت له افرايم ابن يوسف وميشى ابن يوسف وطاب في الاسلام
عيشهما حتى فرق الموت بينهما فيجب للقوي انه لا ينسي الضعيف
وللغني ان لا ينسي الفقير ورب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه
يصير راغبا ومسؤل يصير سايلا وراحم يصير مرحوما فهذا يوسف
الصديق عليه السلام نظر الى نفسه في يد اخوته يوم الجب ثم ضعفهم

بين

بين يديه يوم الصاع وهذه زليخا ملكت مصر وسيدة أهلها عادت
مسكينة تتكفف الناس في الطرقات قال الله تعالى وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وكان
يوسف عليه السلام بعد هذا الجوع يأكل خبز الشعير ولا يشبع فقيل
له ا تجوع وبيدك خزاين الأرض فقال اخاف أن اشبع فأنسى
الجايعين وقد رايت ان الخفة بمنعته في مثلها يتنافس فيها العقلا
ويرغب فيها الملوك والوزرا وذلك اني لما كنت بالعراق وكان الوزير
الغالب على القايم خواجا بزرك قد وزر الملك التركي ابي الفتح ابن
الب ارسلان وكان قد وزر لابيه من قبله فقام بدولتهما احسن
قيام فشيد أركانها وشيد بنيانها واستمال الاعدا ووالى الاوليا
واستعمل الكفاة وعم احسانه العدو والصديق والمبغض والحبيب
والبعيد والقريب حتى القى الملك بجرانه وذل الخلق لسلطانه وكان
الذي مهد له باذن الله تعالى وتوفيقه انه اقبل بكليته على مراعاة
حملة الدين وبنا دور العلم للفقها وانشا المدارس للعلما واسس
الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقرا ثم أجرى لهم الجرايات
والكسا والنفقات وأجرى الخبز والرزق لمن كان طالبا للعلم
مضافا الى ارزاقهم وعم بذلك ساير اقطار مملكته فلم يكن من

أوايل الشام وفي بيت المقدس الى ساير الشام الاعلا وديار بكر
والعراقين وخراسان باقطارها الى سمرقند من ورا نهر جيحون
مسيرة زها ماية يوم حامل علم او طالبه او متعبد او زاهد في زاويته
الا وكرامته شاملة له وسابغة عليه وكان الذي يخرج من
بيوت امواله في هذه الابواب ستماية الف دينار في كل سنة
فوشا به الوشاة الى ابي الفتح الملك واغروا صدره عليه وقالوا ان
هذا المال المخرج من بيوت الاموال نقيم به جيشا تركز رايته
في ثغر قسطنطينيه فخامر ذلك قلب ابي الفتح الملك فلما دخل عليه قال
له يا ابه بلغني انك تخرج من بيوت الاموال كل سنة ستماية الف
دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني عنا فبكا نظام الملك وقال يا بني
انا شيخ كبير اعجمي لو نودي علي فيمن يزيد لم احفظ خمسة دنانير
وانت غلام تركي لو نودي عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا وانت
مشتغل بلذاتك ومنهمك في شهواتك واكثر ما يصعد الى الله
تعالى معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم للنوايب اذا
احتشدوا كافحوا عنك بسيوف طولها ذراعان وقوس لا ينتهي
مرماه ثلثماية ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي
والخمور والملاهي والمزمار والطنبور وانما اقمت لك جيشا يسمى

جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على اقدامهم
صفوا بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم ونطقوا بالدعا السنتهم ومدوا
الى الله اكفهم بالدعا لك ولجيوشك فانت وجيوشك في خفارتهم
تعيشون وبدعايهم تثبتون وببركاتهم تمطرون وترزقون
تخرق سهامهم الى السما السابعة بالدعا والتضرع فبكا ابو الفتح
بكا شديدا ثم قال شاباش يا ابه شاباش يا ابه اكثر لي من هذا
الجيش **ومن مناقب** هذا الرجل وفضايله ان رجلا
قصده يقال له ابو سعيد الصوفي فقال له يا خواجا انا ابني لك
مدرسة ببغداد مدينة السلام لا تكون في معمور الارض مثلها
يخلد بها ذكرك الى ان تقوم الساعة قال فافعل فكتب الى
وكلايه في بغداد ان تمكنوه من الاموال فابتاع بقعة
على شاطي دجلة وخط المدرسة النظامية وبناها احسن بنيان
وكتب عليها اسمه نظام الملك وبنى حولها اسواقا تكون محبسة
عليها فابتاع ضياعا وخانات وحمامات واوقفها عليها فكملت
لنظام الملك رياسة وسوددا وذكرا جميلا طبق الارض خيره
يعم المشارق والمغارب اثره فكان ذلك في سني عشر الخمسين
واربع ماية من الهجرة ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ

ما يقارب ستين الف دينار وان الخبر نما الى نظام الملك من الكتاب
واهل الحساب ان جميع ما انفق فيها نحوا من سبعة عشر الفا وان سائر
الاموال احتجنها لنفسه وخانك فيها فدعاه نظام الملك الى اصبهان
للحساب فلما احس ابو سعيد بذلك ارسل الى الخليفة ابن العباس يقول
له هل لك ان اطبق الارض بذكرك وانشر لك فخرا لا تمحوه الايام
قال وما هو قال ان تمحو اسم نظام الملك من على هذه المدرسة
وتزن اليه الستين الف دينار فارسل اليه الخليفة يقول له انفذ
من يقبض المال فلما استوثق منه مضى الى اصبهان فقال له نظام
الملك انك قد رفعت الينا نحوا من ستين الف دينار نفقة واحب
اخراج الحساب فقال ابو سعيد لا تطل الخطاب ان رضيت والا
محوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك فارسل معي
من يقبض المال فلما احس نظام الملك بذلك قال يا شيخ قد صدقناك
في جميع ما ذكرت كله ولا تمح اسمنا ثم ان ابا سعيد بنا بتلك
الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات
والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية والصوفية
الى يومنا هذا في رباطات ابي سعيد الصوفي واوقافه يتقلبون
ببغداد وفي مثل هذا اكفى منك هذه المناقب وفي ذلك فليتنافس

المتنافسون

المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف
الاخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيئا يبقى على
الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا قال الشاعر

ولا شيئا يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك
في المعاد كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكروا واعلم ان
الماكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر ايها الثلاثة
شئت والسلام وكان ابن ابي داود الوزير واسع النفس مبسوط
اليدين يعطي الجزيل بل يستقل الكثير ولا يرد سوالا ويبتدي
بالنوال فقال له الواثق امير المومنين يوما قد بلغني بسط يدك
بالعطا وهذا يتلف بيوت الاموال فاطرق ساعة ثم قال يا امير المومنين
ذخاير اجرها اخذها واصلة اليك ومفاتيح شكرها موصولة بك
وانما لي من ذلك تعشقي في ايصال الثنا اليك فقال له الواثق
لله انت خذ بالعطا واكثر من الشكر والثنا

الباب التاسع والاربعين

في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال
اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزاين الارض كان

يجوع ويأكل الشعير فقيل له تجوع وبيدك خزاين الأرض فقال
أخاف أن أشبع فأنسى الجايع وروي البيهقي أنه لما استخلف
أبو بكر رضي الله عنه غدا إلى السوق فقال له عمر رضي الله عنه أين
تريد قال إلى السوق فقال سبحان الله قال شغلني عن عيالي تعوض
بالمعروف قال فأنفق في سنتين ونصف وبعض أخرى ثمانية ألف
درهم ووصى أن ترد إلى بيت المال من ماله وروي هذه القصة الحسن
البصري قال لما حضرت أبا بكر رضي الله عنه الوفاة قال انظروا
كم أنفقت من مال الله فوجدوا قد أنفق في سنتين ونصف ثمانية
ألف درهم قال اقضوها عني فقضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين
إنه قد حضر من قضا الله ما ترون فلابد لكم من رجل يلي أمركم
ويصلي بكم ويقاتل عدوكم فإن شيتم اجتمعتم وايتمرتم بكم
وإن شيتم اجتهدت لكم فوالله الذي لا إله إلا هو ما آلوكم ونفسي
الأخير فبكوا وقالوا أنت خيرنا وأعلمنا فاختر لنا فقال إني اخترت
لكم عمر وروي عن مالك هذه القصة على غير هذا الوجه
قال بلغني أن أبا بكر رضي الله عنه لما ولي لم ينفق من مال الله
شيئا قال وغدا أبو بكر إلى عمرو بن عوف وكانت له هناك امرأة من
الأنصار في جمال له يريد بيعها فلقيه بعض المسلمين فقالوا له ما يصنع

هذا يشغلك النظر في أمور المسلمين قال فكيف أصنع قال تتفرغ
للنظر في أمورهم وتستنفق من هذا المال قال فباع تلك الإبل
وغيرها من ماله إلا الأرض ثم طرحه في بيت المال فكان ينفق
من المال على نفسه وعياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وليه عمر ابن
عبد العزيز فلم يستنفق منه فقيل له قد صنع أبو بكر وعمر ما قد علمت
قال أجل ولكني أحذر من هذا المال فإن لم يكن لي فيه حق فقد
استوفيت وزدت ولولا ذلك لفعلت قال ابن غانم قلت لمالك فأين
قولهم عن عمر أنه رد ثمانين ألفا قال كذبوا إنما يقول ذلك أعداء الله
هؤلاء لم يجز لولده سلف إلى موسى أتاه حين أخذ منه بصفة فكيف
يأخذ من مال الله ثمانين ألفا فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه استرجع
علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وجاء مسرعا باكيا وقال رحم الله أبا بكر
كنت والله أول القوم إسلاما وأكملهم إيمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم
لله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبههم به هديا
وخلقا وسمتا وأفضلهم وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده فجزاك الله
عن الإسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله
في كتابه صديقا فقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به
أولئك هم المتقون وآنسته حين تخلفوا وحين كنت معه حين بعدوا

وصحبته في الشدة حين تفرقوا أكرم الصحبة ثاني اثنين وكنت صاحبه
في الغار ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكينة وخليفته في أمته
بأحسن الخلافة فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا
وقمت بالأمر حين فشلوا ومضيت بقوة إذ تعدوا كنت أطولهم صمتا
وابلغهم قولا واستحقهم قلبا واشدهم نفسا وأحسنهم عملا كنت كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في أمر دينك
متواضعا في نفسك عظيما محبوبا إلى أهل السموات والأرض فجزاك
الله عنا وعن الاسلام خيرا **وقال** عمر رضي الله عنه رحم الله
أبا بكر لقد اتعب من بعده تعبا شديدا وروى البيهقي عن عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه انه قال أنزلت نفسي من مال الله سبحانه بمنزلة
ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف
وفي رواية أخرى ان احتجت اخذت منه فإذا أيسرت رددته
وفي رواية أخرى أخبركم بما استحل من مال الله وما قال يحل لي
أستحل منه حلتين حلة للشتا وحلة للصيف وما أحج عليه واعتمر
وقوتي وقوت عيالي كقوت رجل من قريش لا من أغنيائهم ولا من
فقرائهم ثم أنا بعد من المسلمين يصيبني ما أصابهم **وقال**
أنس ابن مالك غلا الطعام على عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فاكل

الشعير

الشعير وكان قبل ذلك لا ياكله فاستنكر بطنه فضربه بيده وقال
هو والله ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين **وقال**
أبو عثمان النهدي رايت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت
وعليه جبة صوف فيها اثنى عشر رقعة إحداها أدم أحمر وقال
عطا بن السايب استعمل عمر ابن الخطاب السايب بن الأقرع على المداين
فاتى الى باب من ابواب كسرى فإذا صنم يشير باصبعه الى الأرض
وقد عقد اربعين قال والله ما يشير هذا إلى الأرض إلا وثم شيء
فاحتفروا فاخرجوا سفطا فيه جوهر فكتب الى عمر ابن الخطاب
أما بعد فاني دخلت بابا من ابواب كسرى فرايت كذا وكذا واحتفرت
واخرجت سفطا فيه جوهر فلم أجد احق به منك يا أمير المؤمنين
لم يكن من فيء للمسلمين فاقسمه بينهم انما اصبنا شيء تحت الأرض
فلما قدم السفط على عمر وعليه ختم السايب فرأى عمر فيما يرى النايم كأن
نارا أججت وهو يراد ان يلقى فيها فكتب الى السايب ان اقدم علي
فقدمت عليه وهو يطوف في ابل الصدقة فطفت معه الى نصف النهار
ثم دعا بماء فاغتسل ودعا لي بماء فاغتسلت وذهب الى منزله فاتى بلحم
غليظ وخبز مخمش ثم قال انظروا من بالباب فاذا سودان من الصوفية
فاذن لهم فجعل ياكل معهم فإذا لحم غليظ لا استطيع أن أسيغه وقد كنت

تعودت درمك اصبهان إذا وضعته في فمي دخل بطني ثم دعا بالسفط
ثم قال تعرف خاتمك قلت نعم قال نرفق كنت تزعم اني احق به
من اين اصبته قال فاخبرته قال اذهب فاجعله في بيت مال المسلمين
حتى اقسمه بينهم **وقال** قتادة سافر عمر ابن الخطاب الى
الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقرا المسلمين
الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد ابن الوليد لهم
الجنة فاغرورقت عينا عمر فقال لين كان حظنا في هذا الحطام
وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا **وقال**
عبد الله بن عمر العمري ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قدم الشام فقال
لأبي عبيدة اذهب بنا إلى منزلك قال ما تريد الا أن تعصر عينيك
علي قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر اين متاعك لا ارى لك
الا لبدا وشنا وصحفة وأنت أميرها أعندك طعام فقام ابو عبيدة
الى جوان فاخذ منها كسيرات فبكا عمر فقال ابو عبيدة قد قلت
لك انك تعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين يكفيك من الدنيا
ما بلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا بعدك يا ابا عبيدة وقال
النخعي بعث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مصدقين فابطوا عليه وبالناس
حاجة شديدة فجاوا بالصدقة فقام فيها متزرا بعباة يختلف

في أولها وآخرها يقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان حتى انتصف
النهار وجاع ودخل بيته حتى إذا أمكن أكله أكل اكله ثم
قال من ادخله بطنه النار ابعده الله **وقال** طاوس
أجدب الناس على زمن عمر رضي الله عنه فما أكل سمنا ولا سمينا
الى ان اكل الناس وقال سعيد ابن جبير ان عليا رضي الله عنه قدم
الكوفة وهو خليفة وعليه ازاران قطريان قد رقع ازاره بخرقة
لبست قطرية من وراية فجا اعرابي فنظر الى تلك الخرقة فقال يا
أمير المومنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك ميت
او مقتول قال ان هذا اخير لي في صلاتي واصلح لقلبي واشبه بشبه
الصالحين قبلي واحذر ان يقتدي بي من اتى بعدي **وقال**
الحسن ان عمر ابن الخطاب بينما هو يعس في المدينة بالليل اتى على امراة
من الانصار تحمل قربة فسالها فذكرت ان لها عيالا وليس لها خادم
وانها تخرج بالليل وتسقيهم الما وتكره ان تخرج بالنهار فحمل عنها عمر
القربة حتى بلغ منزلها وقال اغدي على عمر غدوة يخدمك خادما قالت
لا أصل اليه قال انك ستجدينه ان شا الله تعالى فغدت عليه فاذا
هي به فعرفت انه الذي حمل قربتها فذهبت تولي فارسل في اثرها
وامر لها بخادم ونفقة **ولما** حج عمر قال كم بلغت نفقتنا

يا يرفا قال ثمانية عشر دينارا يا أمير المؤمنين قال ويحك أجحفنا بيت
مال المسلمين وقال شهر ابن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها
حتى نزل حمصا فقال اكتبوا لي فقراهم فرفعوا إليه الرقعة فإذا
فيها سعيد بن عامر فقال من سعيد بن عامر قالوا اميرنا فعجب عمر
وقال كيف يكون أميركم فقير قالوا انه لا يمسك شيء فبكى عمر
وبعث اليه الف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع فقالت له
امراته ما لك اصابك أمير المومنين بشيء قال أعظم من ذلك اتتني
الدنيا دخلت على الدنيا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان فقرا المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيايهم بأربعين عاما فوالله
ما يسوني ان حبست عن الرعيل الاول ولو ان لي به ما طلعت عليه الشمس
قالت فاصنع فيه ما شيت قال هل عندك معونة قالت نعم قال فانته
بخمارها فصر الدنانير فيها صررا ثم جعلها في مخلاة وبات يصلي ويبكي
حتى اصبح فاعترض جيشا من جيوش المسلمين فأمضاها كلها فقالت
امراته رحمك الله لو حبست منها شيا فتستعين به فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لو اطلعت امراة من نسا أهل الجنة إلى
الأرض لملات الأرض من ريح المسك واني والله ما اختارك عليهن
فسكتت وروي ان عمر استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن

سعيد

سعيد فلما مضت السنة كتب اليه ان تقدم فلم يشعر به عمر ان قدم ماشيا
حافيا معه عكازه واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر
اليه عمر قال له يا عمير أجيتنا أم البلاد بلاد سو فقال يا أمير المومنين
أما نهاك الله ان تجهر بالسو وعن سو الظن وما ترى من سو الحال
وقد جيتك بالدنيا أجرها بقرابها قال وما معك من الدنيا قال عكازة
اتوكا عليها وادفع بها عدوا ان لقيته ومزودي أحمل فيه طعامي
واداوتي هذه أحمل فيها ما لشربي وصلاتي وقصعتي هذه اتوضا
فيها واغسل راسي وآكل فيها طعامي فوالله يا أمير المومنين ما الدنيا بعد
الا تبعا لما معي قال فقام عمر من موضعه الى قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابي بكر فبكى وقال اللهم الحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل
ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير قال اخذت الرقة من
أهل الرقة والابل من أهل الابل واخذت الجزية من أهل الذمة
عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقرا والمساكين وابن
السبيل فوالله يا أمير المومنين لو بقي منها شي عندي اتيتك به
فقال عمر عد الى عملك فقال عمير انشدك الله ان تردني الى عملي ولم
اسلم منه حتى قلت لذمي اخزاك الله ولقد خشيت أن يخصمني له
محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول انا حجيج

المظلوم فمن حاجته بحجته ولكن ايذن لي آتي أهلي فاذن له فاتي اهله
فبعث عمر رضي الله عنه رجلاً يقال له حبيب بماية دينار وقال
ائت عميرا فانزل عليه ثلاثا فان يك خاينا لم يخف عليك في عينيه وحال
أهل بيته وان لم يك خاينا لم يخف عليك فادفع اليه الماية دينار فاتاه
حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثا
قال يا حبيب ان رايت ان تحول الي جيراننا فلعل يكونوا اوسع عيشا
منا اما نحن فلو كان عندنا غير هذا لاثرناك به قال فدفع اليه المائة
وقال بعث بها اليك امير المؤمنين فدعا بفرو خلق لامراته فصرها
الخمسة والستة والسبعة فقسمها فقدم حبيب علي عمر وقال جئتك
يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا لا قليل ولا
كثير فبعث اليه عمر وقال ما صنعت بالماية يا عمير قال لا تسالني
عنها قال لتخبرني قال قسمتها بين اخواني المهاجرين والانصار
وبيني قال فأمر له بوسقين من طعام وثوبين قال يا أمير المومنين
اما الثوبان فاقبل واما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند أهلي صاع
من بر هو كافيهم حتي أرجع اليهم **وروي** ان عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه صر اربع ماية دينار وقال للغلام اذهب بها الي ابي عبيدة
ابن الجراح ثم تلبث ساعة في البيت حتي ترى ما يصنع فذهب بها الغلام

اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك
فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه
السبعة الي فلان وبهذه الخمسة الي فلان حتي انفدها ورجع الغلام
الي عمر فاخبره ووجده قد اعد مثلها لمعاذ ابن جبل فقال اذهب بها
الي معاذ وتلبث في البيت حتي تنظر ما يصنع بها فذهب بها اليه
وقال ان أمير المؤمنين يقول لك اجعل هذه في بعض حاجتك فقال
رحمه الله ووصله ثم قال يا جارية اذهبي الي بيت فلان بكذا والي
بيت فلان بكذا فقالت امراة معاذ ونحن والله مساكين فاعطينا
فلم يبق في الخرقة الا دينارين فجا به اليها ورجع الغلام فاخبر بذلك عمر انهم
اخوه بعضهم من بعض

الباب الخمسون

في تدوين الدواوين وفروض الارزاق وسير العمال اعلموا
أرشدكم الله ان اول من اتخذ الدواوين واجري الاعطية علي ما راي
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فكان يفضل أهل السابقة ثم الذين
يلونهم حتي أجري علي العامة شيا واحدا ثلاث ماية واربع ماية وفرض
للعيال ماية درهم في كل سنة وكان ابو بكر رضي الله عنه يسوي
بين الناس في العطايا ولا يفضل أهل السابقة وقال انما عملوا لله
واجورهم علي الله وانما هذا المال عرض حاضر ياكله البر والفاجر

وليس ثمنًا لاعمالهم وكان عمر يقول لا اجعل من قاتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم كمن قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقدر عمر
الارزاق الا في ولاية عمار فاجرى على عمار ستماية درهم مع عطايه لولايته
وكتابه ومودنه ومن كان يلي معه في كل شي لمعانته وبعث معه
عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى عليه في كل يوم
نصف شاة وراسها وجلدها واكارعها ونصف جريب كل يوم واجرى
على عثمان ابن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم في كل يوم مع عطايه
وكان عطاوه خمسة الاف درهم واجرى على عبد الله بن مسعود ماية
درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم واجرى على شريح القاضي
ماية درهم وعشرة اجربه وانما فضل عمارًا عليهم لانه كان على الصلاة

وقال مالك وكان عمر رضي الله عنه لا يفرض لصبي يرضع
فاذا فطم فرض له فمر بصبي يبكي يبغي الرضاع وامه لا ترضعه قال
لها عمر ارضعيه قالت اذًا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض
عمر بعد ذلك للمولود ماية درهم في السنة قال ابن حبيب وفرض عمر للعيالات
لكل عيل من ذكر او انثى جريبين من بر في كل شهر وقسطين من زيت
وقسطين من خل وماية درهم في كل سنة قال والجريب قفيز بالقرطبي
قال الحسن وكان عطا سلمن خمسة الاف وكان على زها ثمانين الف

من الناس وكان يخطب الناس في عباة يلبس نصفها ويفرش نصفها
فاذا اخرج عطاوه امضاه وكان يسف الخوص وياكل من شقيف يده

وقال الحسن قدم على عمر وفد من اهل البصرة من ابي موسى
الاشعري قال فكنا ندخل عليه وله كل يوم خبز ثلاث فربما وافقناها
مادومة بسمن واحيانًا بزيت واحيانًا باللبن وربما وافقنا القديد اليابس
قد دق ثم اغلي عليه بما وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل فقال لهم
يومًا اني والله ارى تعذيركم وكراهيتكم لطعامي فاني لو شيت لكنت
اطيبكم طعامًا وارفهكم عيشًا اما والله ما اجهل كراكر واسنمة
وعيصلا وصناب وصلايق والصلايق الخبز الرقاق ولكني سمعت
الله عير اقوامًا بامر فعلوه فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها فكلمنا ابو موسى فقال لو كلمتم امير المومنين لفرض
لكم من بيت المال طعامًا تاكلونه فكلمناه فقال يا معاشر الامرا
هل ترضون لانفسكم ما ارضاه لنفسي فقلنا يا امير المومنين ان المدينة
ارض العيش بها شديد ولا نرى طعامك يغنينا ولا يوكل طعامك
وانا بارض ذات ريف وان اميرنا يغدينا وان طعامه يوكل قال
فنظر ساعة ثم رفع راسه وقال قد فرضت لكم من بيت المال
شاتين وجريبين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى

الجريتين وكل انت واصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذي عن يمينك ثم
اسق الذي عن شمالك ثم قم لحاجتك وإذا كان المسا فضع الشاة الاخرى
على الجريب الآخر فكل انت واصحابك ألا وأوسعوا الناس في بيوتهم
وأطعموا عيالهم والله ما أرى رستاقا يوخذ منه كل يوم شاتان وجريبان
الا يسرع الخراب فيه **وكان** عمر رضي الله عنه قد اطعم جريتين
لثلاثين رجلا بالخل والزيت وكفاهم فاجراه على كل رجل في كل شهر
ممن كان في الديوان ما كانت فادس بحرية على حيولهم واشاورهم وقال
سعيد ابن المسيب وابو سلمة كان عمر رضي الله عنه أبو العيال يسلم
على ابوابهن ويقول ألكم حاجة وأيتكن تريد أن تشتري شيئا فيرسل
معه نحو اجهن ومن ليس عندها شي اشتراه من عنده وإذا قدم الرسول
من الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن بكتب لأزواجهن ويقول
أزواجكن في سبيل الله وأنتن في بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كان عندكن من يقرا وإلا فاقربن من الابواب حتى اقرا لكن
ثم يقول الرسول يخرج في يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث
بكتبكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة ويقول هذه دواة
وقرطاس فادنون من الابواب حتى اكتب لكن ويمر بالمغيبات
فياخذ كتبهن فيبعث بهن الى ازواجهن **وقال** الربيع

ابن زياد الحارثي كنت غلاما عاملا لأبي موسى الأشعري على البحرين
فكتب اليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يامره بالقدوم عليه هو وعماله
ولن يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة اتيت يرفا فقلت يا يرفا مسترشد
وابن سبيل أي الهيئات احب الى امير المؤمنين أن يرى فيها عماله
فاومى الي الخشونة فاتخذت خفين مطارفين ولبست جبة صوف ولبست
عمامتي على رأسي فدخلنا على عمر وصفنا بين يديه فصعد فينا وصوب
فلم يلحد عينه غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع ابن ابي زياد
الحارثي قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال فكم ترزق
قلت الفا قال كثير فما تصنع فيها قلت اتقوت منها شيئا واعود على
اقاربي فما فضل عنهم فعلى فقرا المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك
فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم يقع بصره الا علي
فدعاني فقال لي كم سنك قلت خمس واربعون سنة قال الآن
حين احكمت ثم دعا بالطعام واصحابي حديثي عهد بلين عيش وقد
تجوعنا له فاتي بخبز واعصب بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك
وجعلت أكل وجعلت أنظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة
تمنيت اني فتحت لي الأرض ولم اقلها فقلت يا امير المؤمنين ان الناس
يحتاجون الى سلامتك فلو عمدت الى طعام الين من هذا فزجرني

ثم قال لي كيف قلت فقلت اقول يا أمير المؤمنين لو تنظر الى قوتك من
الطحين ان يخبز لك قبل اوان ادمك اياه ويطبخ لك اللحم كذا فتؤتى بالخبز
لينا واللحم غريضا مسكن رغبه ثم قال هاهنا زغت قلت نعم قال يا
ربيع انا لو شئنا لملأنا هذه الرحاب من صلايق وسبايك يعني
خبز الجواري ولكن رايت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال
أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم امر ابا موسى باقراري على عملي
وأن يستبدل باصحابي قال قبيصة ابن ذويب دعا عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه عبد الله ابن سعدي وكان على أهل حمص
على ما يحبك أهل الشام قال اني احبهم فاحبوني قال فما مالك اليوم
قلت عبدي وفرسي وبغلي وخادمي قال فماذا تلبس في الشتا قلت
عصابة أشد بها راسي وجبة وكسا قال فما تلبس في الصيف قلت
قميصا وربطة فاعطاني عمر الف دينار وقال خذها واستنفق منها
واعط منها قلت لا ارب لي فيها وستجد من هو أحوج مني اليها قال
خذها فان النبي صلى الله عليه وسلم دفع الي مالا وهو دون الذي
أعطيتك فقلت له كما قلت لي فقال يا عمر ما اتاك الله من هذا
المال عطا من غير ان تعرض أو تشوف له نفسك فاقبله فاخذه وانطلق
به الى امراته فقال اتريدين رجلا له هذا من فقرا المهاجرين هو ام من

الأغنيا فقالت بل من الأغنيا فقسمها حتى بقيت منها صرة اظن فيها
ثلاثين أو نحو ذلك فقالت له امراته ليس لي انا حق فاعطاها اياه
وقال رجا بن حيوة بينما نحن بخاصرا اذا بامراة تسال عن دار عمر
ابن عبد العزيز فارشدناها الى الدار فرأت دارا متهشمة فقالت
لخياط هناك استاذن لي على فاطمة امراة عمر ابن عبد العزيز فقال
ادخلي وصولي بها فانها تاذن لك فدخلت فلما ابصرت ما هنالك قالت
جئت أرم فقري من بيت الفقر وإذا برجل يعمل في الطين فسألته
عن أمير المؤمنين فقالت هو ذاك يعمل في الطين فقالت له يا أمير المؤمنين
مات زوجي وترك لي ثمان بنات فبكا عمر بكا شديدا ثم قال لها ما
تريدين قالت تفرض لهن قال يفرض للكبرى ما اسمها قالت فلانه
قال فكتبها فقالت الحمد لله ثم الثانية كذلك حتى كتب السابعة
فقالت جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال اما انك
لو وليت الحمد لاهله لاتممناهن لك من السبع فليواسين هذه الثامنة

الباب الحادي والخمسين في أحكام أهل الذمة

روى عبد الرحيم بن غنم قال كتبنا لعمر رضي الله عنه حين صالح نصارى
أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر
امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم سالنا كم

الامان لانفسنا وذرياتنا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على
انفسنا ان لا نحدث في مداينا ولا فيما حولها دير ولا كنيسة ولا
قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان منها
في خططها خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن
السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا ناوي
في كنايسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم
اولادنا القران ولا نظهر شرعنا ولا ندعوا اليه احدا ولا نمنع احدا
من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان ارادوا وان نوقر المسلمين
ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شي من
لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا نفرق شعرا ولا نتكلم
بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب بالسروج ولا نتقلد
بالسيوف ولا نتخذ شيا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على
خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم روسنا ونلزم ديننا
حيث ما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا ولا نظهر صلباننا ولا
كتبنا في شي من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب بالنواقيس
في كنايسنا الا ضربا خفيا ولا نرفع اصواتنا بالقراة في شي يحضره
المسلمين ولا نخرج شعانيننا ولا باغوثنا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا

ولا نظهروا النيران في شي من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم
بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع
على منازلهم **فلما** اتيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الكتاب
زاد فيه ولا نضرب احدا من المسلمين شرطنا على انفسنا ذلك وعلى اهل
ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا عن شي مما شرطناه لكم
وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من اهل المعاندة
والشقاق **وكتب** اليه عمر ابن الخطاب ان امض ما سالوه
والحق فيه حرفين واشرطهما عليهم مع ما شرطوه على انفسهم ان لا يشتروا
شيا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وروي
نافع عن سالم مولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان عمر كتب الى اهل
الشام في النصارى ان يقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان
يركبوا في شق وان يلبسوا خلاف زي المسلمين لتعرفوا وروي ان بني
تغلب دخلوا على عمر ابن عبد العزيز فقالوا يا امير المومنين انا قوم
من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الي حجاما
ففعلوا فجز نواصيهم وشق من اردينهم وامرهم ان لا يركبوا السروج
ويركبوا الاكف من شق واحد **وروي** ان امير المومنين
جعفر المتوكل اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم واذلهم واقصاهم

وخالف بين زيهم وزي المسلمين وجعل على ابوابهم مثالا للشياطين لانهم
اهل ذلك وقرب منه اليه اهل الحق وباعد اهل الباطل والاهوا فاحيى
الله به الحق واماث به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا
وكان عمر ابن الخطاب يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم
اهل رشا في دينهم ولا تحل الرشا ولما استقدم عمر رضي الله عنه ابا موسى
الاشعري من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في
المسجد واستاذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب
بيده على فخذه وليت دميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اوليا
بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا امير المومنين
لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذا اهانهم الله ولا اعزهم
اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله **وكتب** بعض
العمال الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان العدو قد كثر وان الجزية
قد كثرت فنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم اعدا الله وانهم
لنا غششة فانزلهم حيث انزلهم الله ولا ترجوا لهم شيئا وقال عمر ابن اسد
اتانا كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المبشر اما بعد فانه بلغني ان في عملك
رجلا يقال له حسان بن برزي على غير دين الاسلام والله تعالى يقول

يايها

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا وقال يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم والكفار اوليا واتقوا الله ان كنتم مومنين
واذا اتاك كتابي هذا فادع حسان ابن برزي الى الاسلام فان
اسلم فهو منا ونحن منه وان ابا فلا تستعن به ولا تستخدم من غير اهل
الاسلام على شي من اعمال المسلمين فقرا الكتاب عليه فاسلم وعلمه
الطهارة والصلاة **ولما** خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر
لحقه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك
واكتب معك فقال تومن بالله ورسوله قال لا قال ارجع
فلا استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وكانت له قوة وجلد فقال جيتك لاتبعك واصيب
معك فقال اتومن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن
استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيدا فقال له مثل ذلك قال
تومن بالله ورسوله قال نعم قال فخرج به وهذا اصل عظيم
في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي صلى
الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين
وكتب عمر ابن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا

إلا أهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا منهم خيانة فكتب اليهم
ان لم يكن في أهل القرآن خير فاحذروا ألا يكون في غيرهم خير

فصل ومن نقض العهد بمخالفة شيء من الشروط
المأخوذة عليهم لم يرد الى مأمنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق
وقال أصحاب الشافعي يلزمهم أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس وان لبسوا
ملابس ميزوها عن ملابس المسلمين بالخرق ويشدون الزنانير في
أوساطهم ويكون في ارقابهم خاتم من رصاص أو نحاس أو جرس يدخل
معهم الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمايم والطيلسانات واما المرأة
فتشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو أولى ويكون
في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون احد خفيها اسود والاخر
ابيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالأكف
عرضا ولا يركبون السروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدون
بالسلام ويلجئون الى اضيق الطرق ويمنعون ان يطلوا على المسلمين
في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز ويمنعون وان ملكوا دارا
عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر والخمر والخنزير والناقوس
والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة
والمدينة واليمامة ويجعل الامام على طايفة منهم رجلا يكتب

اسماهم

اسماهم وحلاهم ويستوفي ما يأخذون به من جميع الشرايط وان امتنعوا
من أداء الجزية والتزام أحكام الله انتقض عهدهم فان زنا أحد منهم
بمسلمة أو اصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين
أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق تنتقض ذمته فان
ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قتل بنقضه وان فعل ما منع عنه مما لا
ضرر فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما اشبههما عزر عليه ومتى فعل
ما يوجب نقض العهد رد الى مأمنه في احد القولين وقيل في الحبس في
القول الآخر

فصل في تقدير الجزية اختلف العلما
فقيل انها مقدرة الأقل والاكثر عما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف
بالكوفة فوقع على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى من دونه
اربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بحضر
من الصحابة رضي الله عنهم ولم يخالفه احد وكان الصرف اثنا
عشر درهما وهذا مذهب ابي حنيفة واحمد ابن حنبل واحد قولي
الشافعي وجعلوه كأنه حكم الامام فلا ينتقض وقيل انه مردود
الى الامام في الزيادة والنقصان وهو الاقيس وقيل انها مقدرة للأقل
دون الأكثر فيجوز للامام أن يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز أن
ينقص منه وقال بعضهم يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار

وقال مالك يوخد من الموسرين اربعين درهما ومن الفقراء دينارا
او عشرة دراهم ويتخرج على مذهب مالك وفي وجوب تقدير طرفيهما
قولان بنا على ان العشر الماخوذ منهم هل هو تقدير شرعي لا تجوز
فيه الزيادة والنقصان **وعن** مالك فيه روايتان ولا
جزية على النسا والمماليك والصبيان والمجانين وكتب عمر ابن عبد
العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك اما بعد فان اهل
الكوفة قد اصابهم شدة وجور من العمال وسنن خبيثة سنها
عليهم العمال القصة عمال السوء ما جور عليهم ارضهم ولا يحمل خرابا
على عامر ولا عامرا على خراب ولا تاخد من الخراب الا ما يطيقون
ولا من العامر الا وظيفة الخراج الا وزن سبعة ليس لها اس ولا اجور
الضرابين ولا اداة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن
المصحف ولا اجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من يسلم
من اهل الارض والواجب ان يوخد ما ضربه عمر ابن الخطاب وهو من
كل خراب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب حيطة اربعة دراهم
ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب شعير درهمان
فصل فاما الكنايس فامر عمر رضي الله عنه ان
تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع من ان تتخذ كنيسة

وامر

وامران لا يظهر عليه خارج من كنيسة الا كسر على راس صاحبه
وكان عروة ابن محمد يهدمها بصنعا وهذا مذهب علما المسلمين
اجمعين وشدد في ذلك عمر ابن عبد العزيز وامران لا تترك في دار
الاسلام كنيسة ولا بيعة بحال قديمة ولا حديثه وهكذا
قال الحسن البصري قال من السنة ان تهدم الكنايس التي في
الامصار القديمة والحديثه ويمنع اهل الذمة من بنا ما خرب
قال الاصطخري ان طينوا ظاهر الحايط منعوا وان طينوا داخله
الذي يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في
البناء وتجوز المساواة في ذلك وقيل لا تجوز

الباب الثاني والخمسين

في بيان الصفات المعتبرة في الولاية **اعلم** ارشدك الله
ان منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجهد
جهدك في استخلاص العمال واذا افتقد الوالي عمال الصدق
كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات
الرجال كما تحتاج الحرب الى اصناف العدة فمنها الدرق
الاستجنان والسيوف للمناجزة والرمح للمطاعنة والدرع للتحصن
والسهم للمباعدة ولكل منهما موضع ليس للاخر والرجال للملك

كالاداة للصانع لا يسد بعضها مسد بعض كذلك طبقات الرجال
للملك منهم للراي والمشورة ومنهم لادارة الحرب ومنهم لمباشرة
الحرب ومنهم لجمع المال ومنهم لحفظها ومنهم للجباية ومنهم
للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة والذكر ومنهم
للدعاء والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ اساس الملة ولا يكمل
للملك ملك ما لم تجتمع هذه الطبقات **وقال** ابو بكر
رضي الله عنه لما مات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من استخلفوا قالوا ابنته بوارن قال لن يصلح قوم أسندوا أمرهم
الى امراة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة من استعمل القوم
قالوا عبد الله ابن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار
فقال امران ملك والله القوم وليس يشترط النسب الا في الامامة العظمى
دون ساير الولايات **ولما** استحضر هشام ابن عبد الملك وكان
زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام من الخطباء قال له هشام
بلغني انك تطلب الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن امة قال زيد
فقد كان اسمعيل بن ابراهيم ولد امة واسحاق ولد حرة ومحمد
عليه السلام بن اسمعيل ثم اتهمه في أمر فقال له زيد انا أحلف لك
قال له هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس احد فوق ان تومن

بتقوى الله تعالى ولا احد دون أن تومن بتقوى الله تعالى وقال
بعض الخلفاء دلوني على استعمله على أمر قد أهمني قال وكيف ذلك
قال إذا كان في القوم وليس اميرهم كان كأميرهم وانه إذا
كان في القوم فليس بأميرهم كان كأميرهم وانه إذا كان كاميرهم
كان كرجل منهم قالوا اما نعلمه الا الربيع ابن زياد الحارثي قال
صدقتم هو لها **ويروي** ان عمر ابن عبد العزيز استشار في قوم
يستعملهم فقال له بعض اصحابه عليك بأهل العذر قال ومن هم قال
هم الذين ان عدلوا فهم ما يحوت (الأدنى) وان قصروا قال الناس اجتهد عمر
ولما قدم البريد من بشر ابن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن
بشر فقال يا أمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير
ضعف فقال عبد الملك ذلك الاعسر الاجودي الذي كان يامن
عنده البري ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف
موضع العفو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف عمر ابن الخطاب
وقال الحكيم اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظم اجسامهم فان النسر
مع عظمه لا ياكل الا ميتا وطير الما مع ضعفه يتحامى ميت السمك
ويأكل الحي منه **وفي كتب** حكم الهند السلطان الحازم ربما
أحب الرجل فاطرحه واقصاه مخافة ضره كالملسوع يقطع إصبعه

لئلا ينتشر السم في جسمه وربما ابغض الرجل فاكره نفسه على توليته
وتقريبه لعلنا يجده عنده كتكاره المرء على الدواء القطيع لنفعه الا
ان للاسلام شروطا فلا تستقيم هذه السيرة الا عليها الا ترى ان امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما افضت اليه الخلافة كان معوية واليا
على الشام من قبل عمر ثم عثمان فاستشار في امره فقال له بعضهم اقره على
امره وارسل اليه بعهده فاذا دخل في بيعتك فاعزله فقال له
رحمك الله اتامرني ان اتطلب النظر بالجور ثم عزله فكان سبب عصيانه
وهكذا اشاروا عليه فقالوا يا امير المؤمنين لو فضلت هولاء الاشراف
ومن يتخوف منهم وانما الناس اصحاب دنيا حتى اذا ما استوثق الامر
عدت الى التسوية فقال اتامروني ان اطلب العدل بالجور فيمن وليت
عليه والله لو كان مالي لسويت بينهم ولم افضل بعضهم على بعض
فكيف والمال لهم فاعطا المال في غير حقه وتبذير وسرف وهو يرفع
ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله تعالى في الاخرة ولن يضع امرء
ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم ونشر لغيره ودهم
فان بقي معه منهم من يظهر به الود والشكر فذلك ملق وخديعة
وليناله منه فان زلت به القدم يوما فاحتاج الى معونته ومكافات
ما سلف من مبرته فشر خليل والام جدير واياك ايها الوالي

وحب المدح فان من احب المدح كمن مدح نفسه واذا علم ذلك منك
جعله الناس سلما لقضاء حوائجهم فتكون جسد قضاء الحوائج لنفسك لا لهم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم احثوا في وجوه المداحين التراب وسمع
المقداد رجلا يمدح عثمان بن عفان فاخرج كفا من تراب فالقاه في وجهه
وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يمدح رجلا فقال قطعت ظهر اخيك
لو سمعها منك ما افلح بعدها ووصف اعرابي اميرا فقال كان اذا
ولي لم يطابق بين جفونه وارسل العيون على عيونه فهو غايب عنهم
شاهد معهم فالمحسن راج والمسيء خايف وقال عبد الله بن الزبير
يوما لا يبعدن ابن هند وان كانت فيه لمخارج لم اجدها في احد بعده
ابدا والله ان كنا لنعرفه وما الليث الحرب على براثنه باجرأ منه
فيتفارق لنا وان كنا لنخدعه وما من كتب في الارض باذهى منه
والله لوددت انا متعنا به ما دام في هذا الحجر واشار الى ابي قبيس
لا يتحور له عقل ولا ينتقض له قوة وقال الضحاك كتب عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة كتابا في مثل اذن الفارة
اما بعد فانه لا يقيم امر الله في الناس الا حصيف العقدة بعيد الغرة
لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على جرة ولا يخاف في
الله لومة لائم وقال ما لك جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله

عنه وسأله أن يكتب له كتابا في أمر فقال اذهب الى منزلنا فأتني
بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد عندهما الا اذن مزود فكتب
له في ذلك الاذن **ولما** ولي المامون يحيى ابن أكثم قضا البصرة
بعد ان استخبر عقله وعلمه وامتحنه بمسايل فوجده فوق ما يريد فتلقاه
وجوه البصرة فوجدوه شابا صبيا بقلت لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم
الى بعض يقلبون الاكف ويغمزون الحواجب فقال بعضهم كم
سن القاضي اصلحه الله قال نحو سن عتاب بن اسيد لما ولاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة فجابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله
وكان لعتاب ابن اسيد احد وعشرين سنة لما ولي مكة وكان
عمر يقول لا يصلح أن يلي امور الناس الا الحصيف العقل وافر العلم
قليل الغرة بعيد التهمة شديد في غير عنف لين في غير ضعف جواد
في غير سرف ولا يخاف في الله لومة لايم **وقال** ايضا
ينبغي ان يكون الوالي في الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده
في الحق كقتل عصفور ويكون فيه من الرفق والخير والرافة
والرحمة ما يجزع من قتل عصفور بغير حق **وروي** ان الرشيد
احضر رجلا ليوليه القضا فقال له اني لا احسن القضا ولا انا فقيه
قال له الرشيد فيك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه

من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطاه وأنت
رجل تشاور في امورك ومن يشاور كثر صوابه واما الفقه فتضم
اليك من تتفقه به فولي فما وجد فيه مطعنا **وقال** اياس
ابن معوية استحضرني عمر بن هبيرة فحضرت فما كلمني فسكت
فلما أطلت قال ايه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ القرآن قلت نعم
قال فهل تفرض الفرايض قلت نعم قال فهل تعلم من أيام العرب شيئا قلت نعم
قال فهل تعرف من أيام العجم شيئا قلت انا بها أعلم قال اني أريد ان استعين
بك قلت ان في ثلاث لا اصلح معهن للعمل قال ما هن قلت انا دميم
كما ترى وانا حديد وانا عيي قال اما الدمامة فاني لا اريد ان احاسن
بك واما العي فاني اراك تعرب عن نفسك واما سوء الخلق فيقومك
السوط قم فولاني فاعطاني الفي درهم فهو اول مال تمولته وقال
سليمان بن داود عليه السلام ما ملاقاة لبوة سلبت اشبالها بأصعب
من لقاء جاهل راض عن نفسه وكان ابو بكر الصديق رضي الله
عنه اذا اثني عليه يقول اللهم انت أعلم بي من نفسي وانا أعلم بنفسي
فاجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي برحمتك ما لا يعلمون ولا تواخذني
بما يقولون

الباب الثالث والخمسين

في بيان الشروط والعهود التي توخذ على العمال إعلم ارشدك الله

انه يجب ان يولي الأعمال أهل الحزم والكفاية والصدق والأمانة
وتكون التولية للعنا لا للهوى وملاك الولايات وأساسها ان لا
تولى الأعمال طالبا لها ولا راغبا فيها روي البخاري في
صحيحه عن ابي موسى الأشعري قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي
رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول الله استعملني فقال صلى الله عليه
وسلم إنا لا نستعمل على عملنا من اراده فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق
ما علمت ما في نفسه وقد روينا عن بزرجمهر وقيل له ما بال ملك
آل ساسان صار امره إلى ما صار إليه قال لأنهم ولوا كبار الأعمال
إلى صغار الرجال ولله در عمرو بن العاص حيث قال موت الف من
العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وقال العلا بن ايوب
غضب المامون على بعض اصحابه غضبا شديدا ثم قال له لا اماتك الله
أو بلغك دولة السفل وقال رجل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم لرجل قد ادركتك امرة الصبيا وقال المسعود الأكبر
وكان قد عمر في الجاهلية ثلاث ماية سنة وما سقطت يوما
من الدهر امة إلى الذل الا ان يسود ذميمها إذا ساد فينا بعد ذلك
لئيمنا تصدى لنا ذل وقد أدبمها ۞ وما قادها للخير الا مجرب
عليم باقبال الزمان كريمها ۞ وما كان ذا لب يعاش بعقله
ولكن

ولكن لتدبير الأمور حكيمها وروي عباية بن رفاعة
قال بلغ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان سعد بن ابي وقاص اتخذ قصرا
وجعل عليه بابا وقال انقطع الصويت فارسل عمر محمد بن مسلمة وكان
عمر إذا أحب ان يوتى بالأمر كما هو بعثه فقال له ايت سعدا
فأحرق عليه بابه فقدم الكوفة فلما اتى الباب أخرج زنده واستورى
نارا ثم احرق الباب فاتى سعد الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج اليه
سعد فقال له محمد انه بلغ أمير المومنين إنك قلت انقطع الصويت
فحلف سعد بالله انه ما قال ذلك فقال محمد نفعل الذي امرنا به ونودي
عنك ما تقول ثم ركب راحلته فلما كان ببطن الرملة أصابه من
الخمص والجوع ما الله عالم به فابصر غنما فارسل غلامه بعمامته فقال
اذهب فابتع بها شاة فجا الغلام بالشاة وهو يصلي فاراد ذبحها فاشار
اليه أن يكف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكة لغير
مستحقها فارددها وخذ العمامة وان كانت حرة فاردد الشاة فذهب
فاذا هي مملوكة فاخذ العمامة ورد الشاة فاخذ بخطام ناقته وجعل
لا يمر ببقلة الا خطفها حتى اواه الليل الى قوم فاتوا بخبز ولبن وقالوا
له لو كان عندنا شي غير هذا أتيناك به فقال بسم الله كل حلال
أذهب للغرث خير من ان ناكل السحت حتى قدم المدينة فنزل بأهله فاتبرد

من الماء ثم راح فلما بصر به عمر قال لولا حسن الظن بك ما رأينا انك
اديت وذكروا انه اسرع السير قال قد فعلت وهو يعتذر ويحلف
بالله ما قال فقال عمر فهل امر لك بشيء فقال قد رايت مكانا ان تامرني
فقال عمر ان ارض العراق ارض رقيقة وان اهل المدينة يموتون حولي
من الجوع فخشيت ان امر لك بشيء يكون لك بارده ولي حاره وروى
زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعا هنيا
على الحمى فقال يا هنا اضمم جناحك للمسلمين واتق دعوة المظلوم فان
دعوة المظلوم مستجابة وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة واياي
ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى نخل
وزرع ومحل وان رب الصريمة والغنيمة ان يهلك ماشيتهما تاتيني
ببينة فيقول يا امير المؤمنين اتاركهم انا لا ابا لك فالماء والكلا
ايسر علي من الورق وايم الله انهم ليرون اني في طلبهما انها لبلادهم
قاتلوا عليها في الجاهلية واسلموا عليها في الاسلام والذي نفسي بيده
لولا المال الذي احمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم
شبرا **ومر** عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما ببناء حجارة
وجص فقال لمن هذا فذكروا انه لعامل من عماله على البحرين
فقال ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها وقاسمه ماله وكان

يقول

يقول لي على كل خائن اسمان الما والطين وكان انوشروان يكتب
في عهد العمال سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة
بالرهبة وسس سفلة الناس بالاخافة وقال سليمان بن داود
عليه السلام كما يصلح المهمز للفرس والرسن للحمار كذلك يصلح
القضيب للظهر ظهر الجهال وفي الامثال القديمة من لم يصلح باللين
اصلحه التليين ومن لم يعتدل عدل **وقال** هلال ابن سياف
استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي
صلى الله عليه وسلم كيف رايت الامارة ابا معبد فقال خرجت
يا رسول الله وما ادري ان لي فضلا على احد من القوم فما رجعت الا
وكلهم عبيد لي قال كذلك الامارة ابا معبد الا من وقاه الله شرها
فقال والذي بعثك بالحق لا اعمل على عمل ابدا **وقيل** لعمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ما يمنعك ان تعني العمل في الافاضل من اصحاب
محمد عليه السلام قال اكره ان ادنسهم بالعمل وما قادها للخبير
الاخون عليم باقبال الامور كريمها وما كل ذي لب يقاس بفضله
ولكن لتدبير الامور حكيمها واعلموا ان معظم ما يدخل على الدواوين
من الفساد من تقليد الاعمال اهل الحرص عليها لانه لا يخطبها الا لص
في ثوب ناسك وذيب في مسلاخ عابد حريص على جمع الدنيا نابذ

لذنبه ومرؤته يبتغي عرض الحياة الدنيا وقد سبق المثل الحرص على
الامانة دليل على الخيانة يتخذون عباد الله خولا واموالهم دولا وامتهن
حقوق المسلمين واكلت اموالهم وفسدت نياتهم وقلت طاعاتهم فانتقضت
الامور ودب الفساد الى الممالك **وقد** ذكرنا في اول الكتاب
الاثار في كراهية الولايات وقال المامون ما فتق على فتق الا
وجدت لسببه جور العمال فان قيل ما معنى قول يوسف للملك اجعلني على
خزاين الارض اني حفيظ عليم قلنا يوسف كان نبيا من انبيا الله تعالى
واثقا من نفسه بالكفاية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن
سراير ولا يعلم خصايصه وفضايله ويرى الامور والاعمال والولايات
ضايعة بين يدي من ليسوا باهلها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين
يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضايل ان يذكر
به بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا
قال بعض اصحاب الشافعي اذا كان القضا في يد من لا يصلح له وجب
ان يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقها الامصار على
خلاف هذا الراي ويحتمل ان يكون يوسف عليه السلام قد اوحي اليه
بما يصير امره اليه من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا نبه
على نفسه **ومن عجيب** ما يروى في هذا الباب لقمان الحكيم كان

عبدا نوبيا اسود غليظ الشفتين مصفح القدمين لامراة من بني الخشخاص
وكان جليسا لداود عليه السلام فاتاه جبريل عليه السلام بالنبوة
من عند الله تعالى الذي يصطفي لنبوته من يشا **وقال** لقمان
يا جبريل ان اخترني فسمعا وطاعة وان خيرني اخترت العافية فرضي الله
تعالى قوله فقطنه في الحكمة وصرفت الرسالة الى داود عليه السلام
وكان داود عليه السلام يقول طوبى لك يا لقمان اوتيت
الحكمة واوتي داود البلية وروي انه جالس داود وهو
يعمل الدروع فاقام حولا يبصر الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسال
عن ذلك فلما تم حولا لبس داود الدرع فقال درع حصينة ليوم حرب
فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله **وكان** عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه اذا بعث عمالا اشترط عليهم اربعا لا يركبون البراذين
ولا يلبسون الرقيق ولا ياكلون النقي ولا يتخذون صاحبا ولا
يغلقون بابا عن حوايج الناس وما يصلحهم ويقول لهم اني لا استعملكم
على اجسادهم ولا اعراضهم ولا اعمالهم وانما استعملكم لتصلي بهم
وتقضي بينهم بالعدل وقال ابراهيم كان عمر اذا قدم عليه الوفد
سالهم عن احوالهم واسعارهم وعن من يعرف من اهل البلاد وعن اميرهم
هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله واثنى

عليه وان قالوا لا اكتب اليه ان اقبل ومثل السلطان اذا ولى العمال
الظالمين مثل من يسترعي غنمه الذياب ومثل من يربط الكلب العقور
ببابه وان العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلزم عبد الملك
بن مروان لانه الذي استرعاه الرعية **وقد قيل**
ومن يربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب
وكان العلا بن ايوب لما ولي فارس من قبل المامون فكتب عهدا
فقراه على من يحضر من اهل ذلك العمل ويقول انتم عوني عليه فاستوفوه
منه ومن يظلم الي منه فعلي انصافه ونفقته جاييا وراجعا ويامر
العامل ان يقرا عهده على اهل عمله في كل جمعة وان يقول لهم هل استوفيتم

الباب الرابع والخمسين

في هدايا العمال والرشا على الشفاعات روى ابو داود في السنن
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفع لاخيه شفاعة فاهدى
اليه هدية عليها فقبلها فقد اتى بابا عظيما من ابواب الربا والسر
فيه انك اذا قدرت على قضي حاجة من عند السلطان الظالم والبلد
القاهر صار ذلك واجبا عليك **وروى** البخاري في صحيحه
ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن اللتبية فلما جا
قال يا رسول الله هذا لكم وهذا اهدي لي فغضب النبي صلى الله

عليه وسلم فقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من اعمالنا فيقول هذا لكم
وهذا لي لنا هلا قعد في بيته او بيت ابيه وامه فينظر هل يهدي له
وقال مالك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاطر العمال
فياخذ نصف اموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من اين لك هذا المال
فقال ابو هريرة دواب تناتجت وتجارات تداركت فقال ادّ الشطر
وانما شاطرهم حين ظهرت لهم اموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم
وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله اخوه ابلا فبعثا
بها الى الحما فرعت فقال عمر رعيتها في الحما فشاطرهما وشاطر سعد
بن ابي وقاص حين قدم من الكوفة كانه راى ما اصاب العامل
من غير رشوة وان كان حلالا الا فلا يستحق ذلك لانه من له بالامرة قوة
على ان ينال من الحلال ما لا ينال غيره فجعله كالمضارب للمسلمين
ولما دفع ابو موسى الاشعري مالا من بيت المال لعبد الله وعبيد
الله ابني عمر ابن الخطاب بالبصرة اشتريا بضاعة به فربحت بالمدينة
فاراد عمر ان ياخذ جميع الربح فراجعه عبد الله فحكم بينهما بنصف
الربح فاخذا جميعا نصف الربح واخذ عمر النصف لبيت المال وكتب
عمر ابن عبد العزيز الى عماله اما بعد فانما هلك من كان قبلكم
بمنعهم الحق حتى يشري وبسطهم الباطل حتى يفتدى الملك بالذين يفوا

والذين بالملك يبقا **وكان** عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إذا قدم عليه
العمال أن يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كيلا يحتجبون شيئا من الاموال
وقال عتاب بن أسيد والله ما اصبت في عملي الذي ولاني النبي صلى الله
عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان **وروي**
ان عليا رضي الله عنه استعمل ابا مسعود الانصاري على السواد فرجع الى
داره وقد امتلأت قال ما هؤلاء قال كذلك يصنعون بالرجل اذا
استعمل قال كل هؤلاء يريد أن ياكل في امانتي ويروي في اماراتي
فرجع الى علي رضي الله عنه فقال لا حاجة لي بالعمل وقد ذكرنا ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن ابن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله
خير لي قال اقعد في بيتك وفي الامثال ان الهدية تعمي وتصم وقال
بعض الحكما الرشوة رشا الحاجة **وانشدني بعضهم**
إذا اتت الهدية دار قوم ** تطايرت الامانة من كواها
وأنشد بعضهم ان الهدية حلوة كالسحر تجتلب القلوبا ** يدني
البعيد من الهوى حتى يصير قريبا ** وترد مطعن العداوة بعد
جفوته حبيبا **ومما قلته في الرشوة**
وأكرم مزيدق الباب شخص ** ثقيل الحمل مشغول اليدين
ينوء إذا مشى نفسا ونخا ** وينطح بابه بالركبتين

وأكرم شافع يمشي عليها ** ابو المنقوش فرق الصفحتين
ولـه ايضـا
إذا كنت في حاجة مرسلا ** وأنت بانجازها معدم
فأرسل باكمة خلابة ** به صمما اغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى ** رسول يقال له الدرهم
وكتب عبد الملك ابن مروان الى قاضيه الحارث ابن عامر وقد ارتشى
من عكرمة اي رشوة من باب بيت هجمت لتشكر فيه فالامانة
فيه سحت هز يمانه ووليت كانها حليم يولي عن جوار سفيه
الباب الخامس والخمسين في معرفة حسن الخلق
إعلموا ارشدكم الله إن هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقاموا الهوين
زكوه فحمدوا إلى اخلاق العامة وخلايق الغوغاء الدناة وما
يجري بينهم إذا تلاقوا وتعاشروا من الافراط في مدح بعضهم بعضا
وتعاطيهم الكذب والتصنع والملق والمراياة والمعاريض عن
الأمور المكتومة التي يسوا اظهارها والانخراط في سلك المزاح
والمهاترة فهذا وما أشبهه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا نقيض
ما نص الله ورسوله عنه من حسن الخلق فأول ذلك أن تعلم انه لا تحو
الأرض على بشر احسن خلقا من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكل من تخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعضها أو قاربها
كان احسن الناس خلقا وكل خلق ليس بعد من أخلاقه عليه السلام
فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب لمن عقل وانما أوتي الناس
في هذا الباب انهم استحسنوا الأخلاق العامية واستحسنوا الأخلاق
النبوية لجهلهم باخلاق المصطفى عليه السلام وها أنا أتلوا عليك من
أخلاق الأنبيا والمرسلين والأوليا والأصفيا والعلما والصالحين ما
أرجوا أن ينفعني الله واياك به قال الله تعالى لنبيه وصفيه
محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله سبحانه نبيه
عليه السلام من كريم الطباع وحسن الاخلاق من الحياء والكرم
والصفح وحسن العهد ما لم يوته غيره ثم ما اثنى الله تعالى عليه بشيء من
فضايله بمثل ما اثنى عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن
هذا قال الشيوخ ان الله تعالى دعا الخلق الى حسن الخلق ودعا النبي عليه
السلام من حسن الخلق وقال عبيد بن عمير قلت لعايشة رضي
الله عنها يا أم المومنين صفي لي خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
أما تقرا القران كان خلقه القران وحسبك بهذا منقبة الرسول صلى
الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق واذا كان خلق النبي صلى
الله عليه وسلم القران فالقران يجمع كل فضيلة ويحث عليها وينهى عن

كل نقيصة ورذيلة ويوضحها ويبينها وكذلك لما أنزل الله عليه
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال إن الله تبارك وتعالى يامرك أن
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك فهذا من
حسن الخلق كما ترى وانظر اين اخلاق العامة من هذا النمط
وان احدهم يقطع من وصله ويحرم من أعطاه ويظلم من سالمه
ويغضب على التهمة وانما اقتصر على هذه الكلمة لانها اصول الفضايل
وينبوع المناقب لأن في أخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم
واعطا المانع وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الارحام
وصون اللسان وغض الطرف عن الحرمات وفي تقوى الله تدخل
اداب الشرع جميعها فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلين
الصفح والحلم وصون النفس عن مماراة السفيه ومجازاة اللجوج
فهذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع نصا وتبينها وضمنا
واعتبارا روى انس قيل يا رسول الله أي المومنين أفضل ايمانا
قال أحسنهم خلقا وروى أبو داود في السنن ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم محاسن الأخلاق اقتضى الحديث
ان كل نبي مبعوث الى أمته انما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم محاسن الاخلاق اذا الحسن
الخلق امتثال الشرايع بأسرها وروي البخاري عن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال فان
من احبكم الي احسنكم اخلاقا وكان النبي صلى الله عليه وسلم في
بعض اسفاره وعليه رداء اعرابي غليظ الحاشية فجذبه اعرابي جذبة
شديدة حتى اثرت حاشية الردي في عنقه فقال له يا محمد مر لي
من مال الله الذي اتاك فلست تامر لي من مالك ولا من مال ابيك فالتفت
اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشي وروي
معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له حسن خلقك للناس يا معاذ
ابن جبل واعلم ان الخلق الحسن افضل مناقب العبودية وبه تظهر
جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه مشهور بخلقه الا ترى ان الله
سبحانه خص نبيه عليه السلام بمثل ما اثنى عليه بخلقه وروي
بعض المفسرين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال لا تخاصم ولا
تخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقيل لم تؤثر فيك جفا الخلق
بعد معرفتك بالحق وقال المحاسبي كظم الغيظ واظهار الطلاقة
والبشر الا للمبتدع او فاجر الا ان يكون فاجرا اذا انبسطت اليه
استحيا واقلع والعفو عن الزالين الا بادب او اقامة حد وكف

الاذي عن كل مسلم ومعاهد الا لتغيير منكر واخذ مظلمة لمظلوم فهذا
احسن الخلق وقيل حسن الخلق ان لا يتغير ممن يقف في الصف بجنبك وقيل
للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق قال تعلمت حسن الخلق من قيس ابن عاصم
المنقري قال بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته
خادم له بسفود عليه شوي فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات
فدهشت الجارية فقال لا روع عليك اذهبي فانت حرة لوجه الله
تعالى وكان ابن عمر اذا راى واحدا من عبيده يحسن الصلاة اعتقه
فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراياة له فكان
يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له وقال
الفضيل لو ان امرا احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة يسي اليها
لم يكن من المحسنين وكان المحاسبي يقول فقدنا ثلاثة اشيا حسن
الوجوه مع الصيانة وحسن العدل مع الامانة وحسن الاخا مع الوفا
وكان عبد الله بن محمد الرازي يقول حسن الخلق استصغار ما منك
واستعظام ما اليك وقال ابن شهاب حسن الخلق الا تطمع
مما ليس لك وليس بهذه الصفة احد غير الله سبحانه وتعالى وقيل
حسن الخلق تحمل افعال الخلق وقال الحسين ابن علي عليهما السلام عنوان
الشرف حسن الخلق وقال رجا الكرما في علامة حسن الخلق كف الاذي

واحتمال المون وقيل حسن الخلق ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم
غريبا وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من جفا الخلق بلا ضجر ولا قلق
وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة وقالت امراة
لمالك ابن دينار يا مرائي قال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل
البصرة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم بحسن الخلق وبسط الوجه وروي
ان ابا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فالقي عليه من فوق السطح طست
رماد فتغير اصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقي فقال ابو عثمان لا تقولوا
شيئا من استحق ان يصب عليه النار فصولح على الرماد فلم يجز ان يغضب
وقيل لابراهيم ابن ادهم هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين
احدهما كنت قاعدا يوما فجا انسان فصفعني وبال عليّ والثانية
كنت جالسا يوما فجا انسان فصفعني وكان اويس القرني اذا
راه الصبيان يرمونه بالحجارة الكبار وهو يقول ان كان ولا بد
فارموا بالحجارة الصغار كيما تدموا ساقي فتمنعوني الصلاة وروي
ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه
ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال يا غلام اما تسمع
قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي فقال امنت عقوبتك فبكا

وقال

وقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وهذا كما ترى قوة الهيبة
يفرغها الله تعالى على المصطفين من عباده واهل الصفوة من
اوليايه الا ترى الى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم جرّده
من حقايق البشرية والبسه من نعت الربوبية حتى قواه على صحبتهم
وصبره على تبليغ الرسالة اليهم مع الذي كان يقاسيه من اخلاقهم
مع كونه مستغرقا باستيلاء الحق عليه سبحانه يختص برحمته من يشا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم المومن الف مالوف فلا خير
فيمن لا يالف ولا يولف وانما سمي ادم لانه الف من الجواهر والالوان
لرجلين متباغضين ادام الله بينكما اي الف الله بينكما ومنه سمي
الادم لانه يولف الطعام ويحسنه ليوكل ومنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم لرجل اراد ان يتزوج امراة انظر اليها فانه احرى ان
يودم بينكما اي يولف بينكما وروي ان معروف الكرخي
نزل دجلة يتوضى ووضع مصحفه وملحفته فجات امراة فاخذتهما
فتبعها معروف وقال يا اختي انا معروف لا باس عليك الك من يقرا
قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاتي المصحف وخذي الثوب
وروي ان ابا ذر كان على حوض يسقي ابله فاسرع بعض الناس
اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل له في ذلك فقال ان

النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فان ذهب
عنه والا فليضطجع **وقال** علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
إنا لنصافح أكفا نرى قطعها وقال ابو ذر انا لنكشر في وجوه اقوام
وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحارث ابن قيس انه ليعجبني من القراء كل
طلق مضحاك واما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله
فلا أكثر الله في المسلمين مثله **وقال** عروة ابن الزبير مكتوب
في الحكمة يا بني لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك طلقا تكن
أحب للناس ممن يعطيهم العطا ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم
ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم **وروي** ان ابراهيم ابن أدهم
خرج الى بعض البراري فاستقبله جندي فقال له اين العمران فاشار
الى المقابر فضرب راسه فاوضحه فلما جاوزه قيل له هذا ابراهيم ابن
أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال له انك لما ضربتني
سألت الله لك الجنة فقال لم فقال قد علمت اني اوجر على ذلك
فلم يكون نصيبي منك الخير ونصيبك مني الشر **وحكي**
ان ابا عثمان الحيري دعاه إنسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار
قال يا استاد ليس لي وجه بذلك وقد ندمت فانصرف رحمك الله
قال فرجع ابو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل فقال يا استاد

ندمت

ندمت واخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى معه
فلما وافى داره قال مثل ما قال في الأول واخذ يعتذر ثم كذلك
فعل الثالثة والى العذر وابو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا استاد
انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه
فقال ابو عثمان لا تمدحني على خلق تجد مثله مع الكلاب فالكلب
إذا دعي حضر وإذا زجر انزجر **ويروى** ان بعض الفقراء نزل
على جعفر بن حنظلة وكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل أنت
لو لم تكن يهوديا فقال ابو جعفر عقيدتي تقدح فيما لا تحتاج اليه
من الخدمة سل لنفسك الشفا ولي الهداية وروي ان ابا جعفر القمودي
المتعبد لقيه بعض الاجناد ومعه كلب للصيد فقال خذ هذا الكلب
وقده خلفي فأبى فضرب راسه بالسوط حتى أوجعه فقال له بعض
المارين ويحك هذا ابو جعفر القمودي العابد فنزل عن فرسه وجعل
يقبل يديه ويعتذر اليه فقال له انت في حل **وقال**
ابراهيم ابن الحسن سمعت ابراهيم القمودي ليالي عدة إذا فرغ من
حزبه في جوف الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب
وارحمه وقيل مكتوب في الانجيل عبدي اذكرني حين تغضب
أذكرك حين أغضب **وقال** بعض المفسرين في

قوله تعالى وقولوا للناس حسنا كل من لقيته فقل له حسنا من القول
وقال لقمان لابنه ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة الحليم عند
الغضب والشجاع في الحرب والأخ عند الحاجة إليه وروي
ان عبد الله الخياط كان يعامله مجوسي يخيط له الثياب فيدفع اليه
دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها فجا المجوسي يوما بالدراهم فلم
يجده فاعطاها لتلميذه فلم يقبلها فدفع اليه صحاحا فلما رجع عبد الله
قال هذه اتى بها المجوسي وذكر قصته فقال عبد الله لبئس ما
عملت انه كان يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وانا أصبر عليه
والقيها في البئر لئلا يغر بها غيري وروي ان معوية نظر
الى يزيد يضرب امة له فقال اتضرب من لا يمتنع عليك لقد حال
القدرة بيني وبين اولي التراب وقال بعضهم أصل سو الخلق ضيق
القلب وضيقه على قسمين ادناه واهونه الا يتسع لمراد الخلق واقصاه
وشره الا يتسع لمراد المولى وقال المحاسبي أصل سو الخلق الاعجاب
وهل يسيء خلق الرجل الا من عجبه وتكبر لا يرى فوقه احدا ولا
يعرف قدر نفسه فيداخله العزة وقال الحسن في قوله
تعالى وثيابك فطهر أي خلقك فحسن وكان لبعض النساك شاة
فراها على ثلاث قوايم فقال من فعل هذا بها قال غلامه انا فعلته

قال

قال ولم قال لاغمك بها قال لاغمن من امرك بها إذهب فانت حر
وروي البخاري عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
رأى عيسى عليه السلام رجلا يسرق فقال له اسرقت قال لا والله
الذي لا إله الا هو قال عيسى امنت بالله وكذبت عيني وقال
علي عليه السلام فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء وقال الخلق السيء
يضيق قلب صاحبه لانه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق
لا يسع فيه غير صاحبه ويقال من سو الخلق أن يقع بصرك على سو خلق
غيرك وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشوم قال سو الخلق وروى
أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ادع الله على المشركين
فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا ولما وصى يعقوب
أولاده قال احفظوا على خصلتين ما انتصفت على ظالم قط قولا ولا
فعلا وما رأيت حسنة الا افشيتها ولا سيئة الا تركتها وسترتها
كذلك فافعلوا وقال ابن عمر اذا سمعتموني اقول للملوك أخزاه
الله فاشهدوا علي انه حر ويقال السيء الخلق هو الذي لا يملك نفسه
عند الغضب ويقال أصل سو الخلق مطالبة غيرك أن يوافقك دون
أن تطلب نفسك لموافقة غيرك وعلامة حسن الخلق أن يحتمل
معاملة سيء الخلق ليستر بها سو الخلق وقيل العارف يعاتب نفسه

ولا يعاتب خلقه وعلامة من بينه وبين نفسه عتاب الا يكون بينه وبين
خلقه عتاب **وروي** ان عبد الله بن عمر كان في حجره يتيم سيء الخلق
فكان يحزن عليه بن عمر فقيل له انك تجد غيره فقال فمن اين لي مثل سوء
خلقه وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سيء الخلق فقيل له لم تمسك هذا
الغلام فقال لا تعلم عليه الحلم وقيل في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق وقال
الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء
الخلق فان قيل اليس قد روي ان عيسى ويحيى ابن زكريا التقيا فقال
يحيى لعيسى تلقاني ضاحكا كانك امن وقال عيسى تلقاني عابسا
كانك ايس فاوحى الله اليهما ان احبكما الي ابشكما بصاحبه قلنا
كذلك يستحب ان يكون المومن وليس اطلاق الوجه والتبسم في وجه
اخيك منهي عنه وانما المكروه هو ما ذكرناه في اول الباب
من الملق والتصنع وفصل الخطاب في هذا الباب ما روي هند بن ابي
هالة في صفة مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان اصحابه كان
على روسهم الطير ومعلوم ان من كان على راسه طير فانه لا يبرح
ولا يتحرك ولا يتكلم ولا يطرف بعينه حذرا ان ينفر الطاير وقال
ابن المقفع كان لي صديق من اعظم الناس في عيني وكان راس ما عظمه
في عيني صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي
ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعوا
اليه مونة ولا يستخف له رايا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهلة
فلا يقدم ابدا الا على ثقة بمنفعة كان اكثر دهره صايما صامتا فاذا
قال بذ القايلين وكان متضاعفا مستضعفا فاذا جا الجد فهو الليث
عاديا كان لا يدخل في دعوى ولا يشرك في مرا ولا يدلي بحجة حتى يرى
قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلزم احدا على ما يكون العذر
في مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكوا وجعا الا لمن يشتكي عنده
البر ولا صاحبا الا لمن يرتجي عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا
يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا ينتقم حتى العدو ولا يغفل عن الولي
ولا يخص نفسه دون اخوانه بشي من اهتمامه وحيلته وقوته فاخلف
فاقف هذه الاخلاق فان لم تكن فاخذ القليل خير من ترك الجميع
وروي ان حكيما سمع رجلا يذم الزمان واهله وانه قد
فسد الناس ولم يبق احد يصحب فقال له يا هذا انت تطلب صاحبا
تؤذيه ولا ينتصر وتنال منه ولا ينتصف وتاكل رحله ولا يوزاك
بشي وتجفوا عليه فيحلم فلم تنصف في الطلب فلم تجد حاجتك ولكن
ان اردت صاحبا يوذيك فلا تنتصر ويجفوك فلا تنتقم وياكل رحلك

ولا تأخذ منه شيئا وجدت أصحابنا وإخواننا وأنا أول من يصحبك فصل

في الفرق بين المداهنة والمداراة من دارى سلم ومن داهن أثم

وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون أنهم يداروا

فالمداهنة منهي عنها والمداراة مأمور بها وقد قال الله تعالى في

المداهنة ودوا لو تدهن فيدهنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم

في المداراة رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس

وأمرت بمداراة الناس كما أمرت بأداء الفرائض واعلم أنه إذا سمحت

المداراة صارت مداهنة فالمداهنة أن تداري الناس على وجه

يذهب فيه دينك والمداراة مخالفته على وجه يسلم فيه دينك وذلك

أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قالت له قريش

يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونؤمن بك فأبى فقالوا له شهرا فأبى قالوا

حينا ما فأبى قالوا ساعة فأبى قالوا فاستلمها بيدك ونؤمن بك

فتوقف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وطمع إن فعل أن يؤمنوا

فأنزل الله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وقيل له ولولا أن ثبتناك

لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف

الممات ومثاله أن يقول للظالم أبقاك الله ومن دعا للظالم بالبقاء فقد

أوجب أن يعصي الله سبحانه وهذا باب ينبغي للذي في الدين حفظه

وقد روى بعض الفقهاء الخروج من هذه العهدة والتعريض وكان الفقيه

ابن الحفار له بقرطبة جار نصراني يقضي له الحاجة وينفعه فكان

الفقيه يكثر أن يقول له أبقاك الله وتولاك أقر الله عينك بسرني

والله ما يسرك جعل الله يومي قبل يومك لا يزيد قط على هذه الكلمات

فيبتهج لها النصراني ويسر فعوتب الفقيه في ذلك فقال إنما أدعوا

لعراض وقد علم الله ذلك مني أما قولي أبقاك الله وتولاك فإني أريد

أن يبقيه الله ليعزم الجالية ويتولاه بالعذاب وأما قولي أقر الله

عيناك أريد أن يبقيه الله حركتهما لشر يعترض لها فلا تتحرك جفونهما

وأما قولي يسرني والله ما يسرك فإن العافية تسرني كما تسره وأما

قولي جعل الله يومي قبل يومك فأريد أن يجعل الله اليوم الذي

أدخل فيه الجنة برحمته قبل اليوم الذي يدخل فيه النار بكفره

الباب السادس والخمسين

في الظلم وسوء عواقبه وشومه قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل

الله فأولئك هم الظالمون وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الفاسقون وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون

وقال سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال أحمد

ابن خضرويه لو أذن لي في الشفاعة لما بدأت إلا بالظالمين لأني تبينت

منهم تعزية الله تعالى في قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون قال لا أعينهم سفروا الا يكون فيه من يوذيني ويظلمني شوقا
مني بالمعرفة بالله للمظلومين قال ميمون ابن مهران كفى
هذه الآية وعيدا للظالمين وتعزية للمظلومين وقال كعب لأبي
هريرة في التوراة في الظلم من يظلم يخرب بيته فقال له أبو هريرة وذلك
في كتاب الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا والظلم أدعى شي الى
سلب النعم وحلول النقم وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يروي عن الله انه قال قال الله تعالى في بعض
الكتب يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا
يا عبادي كلكم ضال الا من هديت فاستهدوني اهدكم يا عبادي
كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار
الا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي انكم تخطون بالليل
والنهار وانا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي انكم
لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو
ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد
منكم ما ازداد ذلك في ملكي شيا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم
وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من
ملكي

ملكي شيا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسالوني فأعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك من ملكي
الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي اعمالكم أحصيها
لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا
يلومن الا نفسه يرويه ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر مسندا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وكان ابو ادريس اذا حدث به جثى على ركبتيه وروى
عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيمة
وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة
المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى أبو هريرة قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرضه أو شي فيتحلله
قبل ان لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر
مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيات صاحبه فحمل عليه وروى
سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الأرض
شبرا طوقه من سبع أرضين قال جعفر الطحاوي معناه انه يقلب شجاعا
اقرع فيطوقه كما قال عليه السلام في مانع الزكاة يجي ماله يوم
القيمة شجاعا أقرع يتبعه ويقول انا مالك انا كنزك وكان هذا
داخل في قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وروى

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مطل الغني ظلم وروي أبو موسى
الأشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى ليملي للظالم
حتى إذا أخذه لم يفلته وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة
إن أخذه أليم شديد **وروي** أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
أنصر أخاك ظالما ومظلوما قالوا يا رسول الله هذا أنصره مظلوما فكيف
أنصره ظالما قال تأخذ فوق يده وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال صنفان من أهل النار لم أرهما ناس معهما سياط كأذناب
البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات
على رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يرين ريح الجنة ولا يجدن ريحها
قال الله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وفي الآية تأويلان أحدهما أمرناهم
بالطاعة ففسقوا فيها أي خرجوا عن الطاعة والثاني على ما قرأه المدائني
وكثرنا عددهم وأسبغنا النعمة عليهم فعصوا وتتابعوا ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة
أي كثيرة النتاج واعلموا أن حشرات الأرض وهوامها تلعن العصاة
قال مجاهد إذا تشعثت الأرض تقول البهائم هذا من أجل عصاة
بني آدم لعن الله عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى أولئك يلعنهم

الله

الله ويلعنهم اللاعنون **وفي** الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن الحشرات لتموت هزلا بذنب بني آدم يعني أنه بذنوب
الخلق فيمتنع القطر فلا تنبت الأرض فتهلك الدواب والحشرات وسمع
أبو هريرة رجلا يقول في الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله حتى
أن الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم **وقال** ابن مسعود
خطيئة ابن آدم قتلت الجسد وروى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار
وحرم عليه الجنة فقال الرجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله
قال ولو قضيبا من أراك **قال** ابن عباس ما ظهر الغلول في
قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم قط إلا فشا فيهم
الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ولا حكم
قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم العدو
وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة
قدرة الله عليك ولا يعجبنك رحب الذراعين بسفك الدما فإن له قاتلا
لا يموت **وروي** أن بعض الملوك رقم على بساطه **هذه الأبيات**

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ۞ فالظلم آخره يفضي إلى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه ۞ يدعو عليك وعين الله لم تنم

أنشدنا قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني ببغداد **هذه الأبيات**
إذا ما هممت بظلم العباد ٭ فكن ذاكرا هول يوم المعاد
فان الظالم يوم القصاص ينظر ٭ لمن قد تزودها شر زاد
وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حكيم يقول والله ما هبت رجلا
قط هيبتي لرجل ظلمته وانا اعلم انه لا ناصر له الا الله فيقول حسبك الله
الله بيني وبينك **وقال** بلال بن سعد اتقوا الله فيمن لا ناصر
له الا الله وقال ابو سليمان الداراني لما دخل اخوة يوسف عليه عرفهم
ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع فجلا بكبيرهم وكان ابن خالته
فقال له بما أوصاك ابوك قال بأربع قال ما هن قال يا بني لا تتبع
هواك فتفارق ايمانك فان الايمان يدعوا الى الجنة والهوى يدعوا الى النار
ولا يكن منطقك فيما لا يعنيك فتسقط من عينه ولا تسيئ بربك الظن
فلا يستجيب لك ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين وبكا علي
ابن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك فقال أبكي على من ظلمني اذا وقف
بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة **وقال** محمود الوراق
إني وهبت لظالمي ظلمي ٭ وتركت ذاك له على علمي وتركته اسدي الي
يدا لما أبان بجهله حلمي ٭ رجعت إساءته عليه واحساني إلي
مضاعف الجرمي ٭ وغدوت ذا أجر ومحمدة وغدا يكسب الاثم

والذي

والذمي ٭ ما زال يظلمني وأرحمه حتى رثيت له من الظلمي ٭
وكأنما الاحسان كان له وانما المسيئ إليه في الحكمي ٭
وروي مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله
تعالى اشتد غضبي على من ظلم من يكن له ناصر غيري وقال ابن مسعود
لما كشف الله تعالى العذاب عن قوم يونس ترادوا المظالم حتى انه
كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده وقال ثور ابن يزيد الحجر
في البنيان من غير حله رهن على خرابه **قال** عروة لو ان
الجنة أسست وهي دار البقاء على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب
وقال الحكيم العدل حرمة والظلم ظلمة بالعدل تنجز لك الحوائج والجور
يهجم عليك الحوائج فاحذر من لا حيلة له الا الثقة بنزول الغفر ولا سلاح
له الا الابتهال الى مقلب الدول **وقال** مالك ابن دينار قرأت
في بعض الكتب يا معشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فانهم ان ذكروني
ذكرتهم برحمتي واذا ذكرتموني ذكرتكم بغضبي ولعنتي وقال
ابو امامة يجيء الظالم يوم القيمة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه
المظلوم وعلم ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى نزعوا
ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حمل عليهم من سيئاتهم
مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الأسفل من النار **وفي** صحيح مسلم

انّ هشام ابن حكيم مرّ بالشام على أناس قد اقيموا في الشمس وصب على
رؤسهم الزيت فقال ما هذا قال يعذبون في الخراج فقال أما انّي سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنّ الله يعذب الذين يعذبون الناس
في الدنيا واخبرني رجل ممن كان يقرا العلم بالاسكندرية قال
كان ها هنا شيخ يكون عينا للمكاسين يدور حولهم فرايته في النوم
بعد وفاته فقلت له من اين تجي فقال لا تسل فاعدت عليه فقال لا تسل
فسألته فقال من الجحيم قلت له فالى اين تذهب قال الى مثل الدار التي
خرجت منها قلت وكيف لقيت قال وما ذا لقيت قال فان جسمي جعل في
هاون ودق حتى صار مثل الكحل **واخبرني** رجل من أهل اليمن
وكان من أهل العلم والدين قال رايت فلانا البياع في النوم بعد وفاته
فقلت ما صنع الله بك فقال انا محبوس عن الجنة قلت فيم ذاك قال
كنت أبيع في الدكان فتزاحم الناس عليّ فاخذت دراهمهم ووضعتها
في فمي فكلما تفرغت وزنتها واعطيت كل انسان حقه فاختلطت في فمي
فضتان ودفعت لاحدهما بفضة الآخر وكان النقص في فضته حبة
ثم حوسبت فبقي على حبة فقلت له فادفع له الحبة عنك تتخلص فجعل
يقلب كفيه ويقول من اين أدفع له ومن اين ادفع له ويكررها
مرات **ويروي** انّ يونس لما نبذ بالعراء وأنبت الله عليه

شجرة من يقطين كان ياوي الى ظلها فيبست فبكا فاوحى الله تعالى
اليه تبكي على شجرة فقدتها ولا تبكي على مائة الف أو يزيدون اردت
أن اهلكهم وقيل لابن السماك الاسدي أيام معوية كيف تركت
الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي **وقال**
بعض الحكماء أفقر الناس لكثر كسبهم من حرام لانه يستدان ولا بد
له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر ابن عبد العزيز فذكر
الحجاج فشتمته ووقعت فيه فقال عمر انّ الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال
المظلوم يشتم الظالم ويسبه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم حق عليه
وقال عمرو بن دينار نادي رجل في بني اسرايل من رآني فلا
يظلمن احدا واذا رجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يبكي ويقول
من راني فلا يظلمن احدا فسيل عن حاله فقال بينما انا أسير على شاطي البحر
في بعض سواحل الشام إذ مررت بنبطي قد اصطاد سبعة انوان
فاخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت راسه فعض النون ابهامي
عضة يسيرة فوقعت الأكلة في ابهامي فاتفق الأطبا على قطعها
فقطعتها فوقعت في كفي ثم في ساعدي ثم في عضدي فمن راني فلا
يظلمن احدا فخرجت أسيح في الأرض فاردت قطع عضدي إذ رفعت
الى شجرة فاويت الى ظلها فنعست فقيل لي في المنام لاي شي تقطع

اعضادك رد الحق الى أهله فجيت الى الصياد فقلت يا عبد الله انا مملوكك
فاعتقني فقال ما اعرفك فاخبرته فبكا وتضرع وقال انت في حل فلما
قالها تناثر الدود من عضدي وسكن الوجع فقلت له لم ذا دعوت علي
قال لما ضربت رأسي واخذت السمكة نظرت الى السما وبكيت وقلت
يا رب اشهد انك عدل تحب العدل وهذا منك العدل وانك الحق
وانت تحب الحق وخلقتني وخلقته وجعلته قويا وجعلتني ضعيفا فاسلك
كما خلقتني وخلقته أن تجعله عبرة لخلقك **وقال** معاوية
إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة والانتقام وإن أنقص الناس
عقلا من ظلم من دونه وقال بعض الحكما الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا
يغفره الله تعالى وظلم لا يتركه الله تعالى وظلم لا يعبا الله به شيئا فاما
الظلم الذي لا يغفره الله تعالى فهو الشرك بالله وحده وأما الظلم الذي لا
يتركه الله تعالى فمظالم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم الذي لا يعبا الله به
شيئا فظلم العبد بينه وبين الله تعالى **وقال** ميمون ابن مهران
من ظلم رجلا ففاته أن يخرج منه من مظلمته فاستغفر له دبر كل صلاة رجوت
أن يخرج من مظلمته وقال يوسف بن اسباط دفن رجل من الحواريين
فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا ذلك الى المسيح فوقف على قبره ودعا
له فاحياه الله تعالى وفي رجليه نعلين من نار فسأله عيسى عليه السلام

عن ذلك فقال والله ما عصيت قط إلا انني مررت بمظلوم فلم أنصره ف
شغلت هذه النعلين وأما انا فأوصيك إذا فعلت بأحد مكروها فادع الله
تعالى واستغفر له كما فعل موسى لما أذى هرون واخذ برأسه ولحيته
ثم تبين له براءته وأن بني اسرايل غلبوه عليه وعلى عبادة العجل فقال رب
اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين **وروي**
أن قوم لوط كانت فيهم عشر خصال فاهلكهم الله بها كانوا يتغوطون
في الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفي المياه الجارية وفي شطوط
الأنهار وكانوا يحذفون الناس بالحصا فيغرونهم وإذا اجتمعوا في المجالس
أظهروا المنكر باخراج الريح واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم
قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهي اللوطية قال الله
تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم
المنكر والنادي المجلس ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق وضرب
الدف وشرب الخمور وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق ولبس
الحمرة وتزيد عليهم هذه الأمة باتيان بعضهم بعضا وانما حملهم على اتيان
الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة في منازل لهم وحوايط فاصابهم
قحط وقلة من الثمار فقالوا أي شيء يمنع ثمارنا حتى لا يطرقها أحد من
الناس فاصطلحوا على أن من وجدوه فيها نكحوه وغرموه اربعة دراهم

فيفعلوا وما سبقهم بها من احد من العالمين قال ابن عباس وكان بدو
الفاحشة فيهم انهم هموا بذلك فجاءهم ابليس في هيئة صبي أجمل شيء يراه
الناس فنكحوه وجروا على ذلك وقال ابو العتاهية في الظلم

أما والله ان الظلم لوم ولكن المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
سل الأيام عن زمن تقضى ستخبرك المعالم والرسوم

وروي ان انوشروان كان له معلم حسن التاديب فعلمه حتى فاق في
العلم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد عليه انوشروان فلما
ولي الملك قال ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما قال لما رأيتك
ترغب في العلوم رجوت لك الملك بعد أبيك فاحببت أن اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم

الباب السابع والخمسون

في السعاية والنميمة وقبحهما قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين
هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم فذكر الله
تعالى في القرآن صنوف اهل الكفر والالحاد والتثليث وأهل الزهو
والفسوق والظلم وأشباههم ولم ينسب الله سبحانه احدا منهم الى النميمة
في هذه الآية وحسبك بهذه خسة ورذيلة وسقوطا وصفة هذه الآية
نزلت في الوليد ابن المغيرة في أصح الأقوال والهماز المغتاب الذي ياكل

لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز باخيه للناس
في المجلس وهو الهمزة اللمزة والعتل في اللغة الغليظ الجافي واصله من العتل
وهو الدفع بالعنف قال ابن عباس العتل الشديد المنافق وقال عبيد
بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن
شعيرة وقال علي والحسن العتل الفاحش السيئ الخلق وقال يمان هو
الجافي القاسي اللئيم العسر وقال مقاتل العتل الضخم وقال الكلبي
هو الشديد في أمره وكل شديد عتل وقيل العتل الشديد الخصومة
بالباطل واما قوله تعالى هماز فمعناه مغتاب ياكل لحوم الناس طعان
فيهم وقال الحسن هو الذي يغمز باخيه في المجلس وهي الهمزة واللمزة
والزنيم هو الذي لا يعرف من ابوه وقال حسان ابن ثابت
وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط في آل هاشم خلف الراكب القدح الفرد
وقال غيره زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم
وقال أكثر النقلة إنه ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وعن هذا
قالت القدماء لا يكون نماما إلا وفي نسبه شيء ولما سعى رجل إلى بلال
ابن ابي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال انصرف حتى أكشف عنك
فكشف عنه فاذا هو لغير رشده يعني ولد زنا وقال أبو موسى الاشعري
لا يسعى على الناس الا ولد بغي قال ابن عباس لما وصفه الله تعالى بتلك

الخلال المذمومة لم يعرف حتى قيل زنيم لانه كانت له زنمة في عنقه
يعرف بها كما تعرف الشاة بزلتها ومن ذلك قول الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على
ما فعلتم نادمين نزلت في الوليد ابن عقبة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم
الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية
فخرجوا يتلقوه تعظيما لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ففزع ورجع الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب النبي
صلى الله عليه وسلم عليهم ثم استبرى امرهم فوجد ما قاله كذبا فنزلت
هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا ومن ذلك قوله تعالى سماعون للكذب
أكالون للسحت فأشرك الله تعالى بين السامع والقايل في القبح وسوى
بينهم في الذم فكان فيه تنبيها على ان سامع النميمة نماما في الجملة ولما
روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروي مسلم في صحيحه عن همام قال
كنا مع حذيفة فقيل له ان رجلا رفع الحديث الى عثمان ابن عفان
فقال حذيفة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات
وفي لفظ اخر نمام **وروي** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من شراركم المشاؤن بالنميمة
المفسدون بين الأحبة الباغون للعيوب وروي ابو هريرة ان النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعونة ذو اللسانين ملعون كل
شفار ملعون كل قتات ملعون كل نمام فالشفار المحرش بين الناس
يلقي بينهم العداوة والبغضا والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن
به **وروي** عن ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين
فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما احدهما فكان لا يستبري
من البول والاخر كان يمشي بالنميمة ثم اخذ جريدة خضرا فشقها نصفين
نغرس في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم فعلت ذلك قال لعله يخفف
عنهما ما لم ييبسا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم وأما السعاية
الى السلطان أو الى ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة والحالقة لانها
الخصال المذمومة الغيبة ولوم النميمة التغرير بالنفوس والأموال والقدح
في المنازل والأحوال ويسلب العزيز عزه ويحط المكين عن مكانته
والسيد عن مرتبته فكم دم اراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة
باع وكم من صفيين تقاطعا وكم من محبين تباغضا وكم من متواصلين
تباعدا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل
ساعدته الأيام وترادفت عليه الأقدار ان ينصح لساع أو يسمع لنمام
وروي ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة لا
يدخلها ديوث ولا قلاع فالديوث الذي يجمع بين الرجال والنسا سمي

بذلك لانه يذث بينهم والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء
لانه يقصد الرجل المتمكن عند السلطان فلا يزال يقلع فيه حتى يقلعه
وقال كعب اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام
فخرج موسى يستسقي ببني اسرايل فلم يسقوا ثم خرج فلم يسقوا فلما خرج الثالثة
اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان
فيكم نمام قال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال الله تعالى
يا موسى انهاكم عن النميمة واتيها فتابوا فارسل الله عليهم الغيث ولما
لقي اسقف نجران عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال يا امير المومنين احذر
قاتل الثلاثة قال وما قاتل الثلاثة قال الرجل ياتي الامام بالحديث
الكذب فيقبله الامام فيكون قد قتل امامه ونفسه وصاحبه فقال
اراك ابعدت وجدنا في حكم القدماء ابغض الناس الى الله تعالى المثلث
قال الاصمعي هو الرجل يسعى بالنميمة باخيه الى الامام فيكون قد قتل
نفسه واخاه وامامه وذكر السعاية عند المامون فقال لو لم يكن
من عيبهم الا انهم اصدق ما يكونون ابغض ما يكونون عند الله تعالى
وقال حكيم الفرس الصدق زين كل احد الا السعاية
فان الساعي اذم ما يكون اذا صدق وروي ان رجلا سعى بجار له
عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد اما انت فلجير انك جار سوء

ان شيت ارسلت معك فان كنت صادقا ابغضناك وان كنت كاذبا
عاقبناك وان شيت تاركناك قال تاركني يا امير المومنين قال
تاركتك ولله در الاسكندر حين وشي اليه واش برجل فقال له
الاسكندر ان شيت قبلناك على صاحبك بشرط ان نقبله عليك وان
شيت اقلناك قال اقلني قال قد اقلتك كف عني الشر يكف الشر عنك
ومن العجب الذي لا عجب بعده ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل
فلا تقبله حتى تسل عنه هل هو من اهل الثقة والعدالة والامانة
ثم ينمو اليك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله وقال
الحسن ابن زيد قلت للحسن ابن علي عليهما السلام لما سقي السم اخبرني من
سقاك فدمعت عيناه وقال انا في اخر قدم من الدنيا واول قدم من
الاخرة تامرني ان اغمز وقال رجل للمهدي عندي نصيحة يا امير المومنين
قال بما نصيحتك هذه لنا او لعامة المسلمين او لنفسك قال لك يا امير
المومنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا اقبح حالا ممن قبل
سعايته ولا يخلو من ان يكون حاسد نعمة فلا يشفي غيظك او عدوا
فلا يعاقب لك عدوك ثم اقبل على الناس وقال يا ايها الناس لا ينصح
لنا ناصح الا بما فيه لله رضا وللمسلمين صلاح وروي ان ساعيا سعى
برجل الى الفضل ابن سهل فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية

اشر السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن
قبل واجاز لان من فعل اشر ممن قال **وروي** ان رجلا رفع الى
المنصور نصيحة فوقع عليها انك لم ترد بها وجه الله تعالى فوقع عليها لا
جواب عندنا لمن اثرنا على الله تعالى ويروى ان رجلا قال للمامون يا امير
المؤمنين الله الله في اصحاب الاخبار فانهم قوم ان اعطوا كذبوا وان حرموا
كذبوا وان اعطوا امدحوا وهم كاذبون وان حرموا ادموا وهم
كاذبون فقال المامون لله درها من كلمة ما اصدقها وابين فضلها
وامر ان تثبت في اصحاب الاخبار وقال مروان بن زنباع العبسي يا بني
عبس احفظوا عني ثلاثا من نقل اليكم نقل عنكم واياكم والتزويج
في بيوتات السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا من
العدو ما استطعتم فان استكثاره ممكن وقال بعض الحكما احذروا
اعدا الفضول ولصوص المودات **قال** حكيم العرب اياك والسعاة
فانهم اعدا فضلك وعدلك ولصوص عقلك يتفرقون بين قولك وفعلك
وفي المثل السائر من اطاع الواشي ضيع الصديق ومن يقطع الشجرة بالفوس
فينبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه واحق
الناس برعاية من اسمنه من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكمة
واستودعته من هذه السنن من اتاه الله سلطانا ومكن له في الارض

قدما

قدما فذوا القدرة اذا اطاع الواشي هلك العالم **وقال** بعض الحكما
من اراد ان يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فيجعل نفسه بينه وبينهم
قاضيا عدلا ويحكم بالحق ولا يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود
وتعديل فانا قد اجبنا باقوال اقوام وابغضنا باقوال اخرين فاصبحنا
نادمين ومن لطيف حكمة الله تعالى في النميمة لما علم من شومها ٥
واستطالة شرها وعموم مضرتها في الورى حكم بفسق النمام حتى لا يقبل
له قول فيستريح الخلق من شره قال ابن عمر وفد الله حاج ووفد السلطان
رسل وهم قوم يرسلهم الله الى السلطان يسلهم عن حالهم فيخبرونهم ان الناس
راضون عنهم وليسوا براضين واعلموا ان الله تعالى خلق الانسان على اتحاد
شتى لسنا نذكرها الان بكثرتها وطول شعبها فخلق الله تعالى الحواس
الشريفة والاعضا التابعة الرئيسة فمن افضل ما ركب فيه اللسان الذي
هو آلة النطق والبيان وبه فصل بينه وبين البهائم ثم فضله على سائر
الحيوان وامتن به عليه في اول سورة الرحمن فقال سبحانه وتعالى
الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان وخلق فيه اعضا تدل
ونستهان وجعلها تجري بفضول الطعام والشراب فمن يتبع سقطات
الكلام ويروي عن عثرات الانام التي هي كالعورات الواجب
سترها ودفنها كان قد استعمل اشرف الالات في اخس المستعملات

فصار كمن لحس ماس بلسانه سوءة أخيه وجعل اكرم جوارحه لاخس اجناس المستعرضين ورضي أن يقع من الناس موقع الذباب من الطين يتبع نقل الجسد ويتحامى صحيحه وقد كان له في تمييز المحاسن شغل ولكن اهل كل ذي حال أولى بها وفي هذا سبق المثل ان لم يكن ملحا يصلح فلا تكن ذبابا بعسل ومن لم يقدر على جميع الفضايل فلتكن فضايله ترك الرذايل فاذا تتبع الامام عورات الناس افسدهم **وروي** أن النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما فسمع ناسا من اصحابه يتحدثون فامتنع من الخروج اليهم حذرا الا يفسد عليهم قلبه ولو علم الذي يستمع اخبار الناس ماذا اجنى على نفسه لعلم ان الاصم كان أهنى لعيشه وانعم لباله من سماع الأخبار فاما واحد اذا علم نقلة الاخبار حملوا اليك الصدق او الكذب فيكون في سماع الكذب فيمن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب ويكون في سماع الكذب والصدق وحما لا للهم حرج الصدر على الخلق معاديا لهم متبعا لعثرات الناس وحرانا لسقطاتهم برد عيب منهم ما يجب ستره وحفظت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع النصفة من كل قايل لانك لئن كنت ذا قدرة أهلكت الرعية ثم لا تستطيع ان تهلك جميع الرعية وان كنت سوقة لم تشف غيظك ثم افسدت اخوانك وأبغضت من يجب ان تحبه واحببت ان تحب من تبغضه ثم لا تزال تحمل الحسايف وتروي الاحقاد والضغاين وترصد

لكل قايل يوما تشفي صدرك فيه فما أغنى العاقل عن هذه الثلاثة ولله در عمرو بن العاص يروى انه لحاه رجل يوما فقال له الرجل اما والله لئن عشت لاتفرغن لك فقال له عمرو بن العاص الان وقعت في الشغل يا ابن اخي والسلام

الباب الثامن والخمسين في القصاص

قال الله تعالى ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب يعني اذا علم القاتل والقاطع والفاتك انه يقتص منه احجم ولم يقدم على القتل فيكون في ذلك حياته وحياة الذي هم فيه **وروي** ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ما يقضي الله تعالى بين الناس في الدما وروي أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له عند أخيه مظلمة فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ منه لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيآت أخيه فطرحت عليه هذا حديث صحيح رواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فكيف يوخذ الظالم بذنبها فيرفقه المظلوم قلنا معنى الاية الا يعاقب احد بذنب احد ابتدا وانا في مسلتنا لمظلمة بقيت عنده وليس له وفا لها فهذا الذي اكتسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم. **وروي** أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون

علي قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في
الدنيا حتي إذا فرغوا أذن لهم في الدخول الي الجنة فوالذي نفسي بيده
لاحدهم اهدي لمنزلة في الجنة منه بمنزلة في الدنيا **وروي** أن النبي صلي
الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي مظلمة فليأت حتي
أقصه من نفسي فقام سواد بن غزية وقال لرسول الله صلي الله عليه وسلم
إنك ضربتني علي بطني ليلة العقبة فاوجعتني فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم دونك فاقتص مني فقال يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف
البطن فكشف النبي صلي الله عليه وسلم عن بطنه واذا هي كالقباطي يعني
ثياب مصر فاقبل عليها يقبلها فقال يا سواد ما حملك علي هذا فقال يا رسول
الله انا خارج للقاء هؤلاء المشركين فاردت أن أكون آخر العهد بك أن
أقبل بطنك فهذا رسول الله يقتص من نفسه مع ان الله تعالي قد غفر
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلمه ان الله لا يدع القصاص في المظالم من
العباد لأن الله تعالي أعدل من ان يدع مظلمة عند احد لا عند نبي ولا
غيره **وفي الحديث** يقول الله تعالي يوم القيمة انا ظالم ان فاتني
ظلم ظالم ويروي ان داود عليه السلام يقدمه خصمه الي الله تعالي يوم
القيامة فيقضي له عليه فيدفعه الي أوريا سلما ثم يستوهبه الله تعالي من
أوريا لداود عليه السلام ثم يعوض أوريا علي ذلك الجنة وقال حبيب

دخل عثمان بن عفان فوجد غلامه يعلف ناقة له فاذا في علفها شي فاخذ
باذنه فعركها ثم ندم فقال لغلامه قم فاقتص مني فابي الغلام فلم يزل
حتي قام فاخذ باذنه ثم قال اعرك اعرك وهو يقول شد شد حتي عرف
انه قد بلغ منه ثم قال واها لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة **وروي**
عن زيد بن عبد الله ان النبي صلي الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه
اما كان نايما أو ما كان فقال النبي صلي الله عليه وسلم لولا القصاص
لاوجعتك **وروي** ابن وهب في موطاه عن ابن شهاب وقد
أقاد النبي صلي الله عليه وسلم الخليفتين من أنفسهما ليستن بهما ولم
يتعمدوا حيفا وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روي أبو هريرة أن
النبي صلي الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس منا من لا
له درهم ولا متاع قال ان المفلس من أمتي ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام
وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك
دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان
فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح
في النار **وقال** مالك بلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه
لما ولي الخلافة ضرب رجلا ثم ندم فقال ما لي ولهذا الا رددتها
عليهم فسمعت عايشة فارسلت الي عمر فجاء عمر فقال إني ضربت رجلا

وقد كنت معافا من هذا ان اضرب قال عمر كذلك الامام قال فما المخرج
قال ان يأتي الرجل فتسله فيجعلك في حل فاتياه فاستحلاه دلت الآثار على هذا
ان الامير والمامور في القصاص سوا اذا جنى احدهم على الآخر وان الامير
اذا ظلم المامور نزل بامره عليه في ذلك المعنى وكان الامر في ذلك
المعنى كبعض المؤمر عليهم حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم وكان
عمر رضي الله عنه يقول انما ابعث امراي ليعلموا الناس دينهم ويقسمون بينهم
ويعدلون فيهم ولم ابعثهم ليظلموا ابشارهم ويحلقوا اشعارهم فمن ظلمه اميره
فلا امرة عليه دوني حتى اخذ له حقه فقال عمرو بن العاص يا امير المومنين
ان اذن رجل من رعيته انك لتقتصه منه فقال عمر انا لا اقصه منه وقد
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه فاما القصاص من البهايم
فاختلف الناس في حشرها وفي جريان القصاص بينهما فكان ابن عباس
يقول حشرها موتها قال وحشر كل شيء الموت الا الجن والانس فانهما يوافيان
يوم القيمة وقال معظم المفسرين انها تحشر ويقتص منها قال ابن جبير تحشر
البهايم وقال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب وكان ابو الحسن الاشعري
لا يقطع باعادة البهايم والمجانين ومن تبلغه الدعوة ويجوز ان يعادوا
وان يدخلوا الجنة ويجوز ان لا يعادوا والدليل على ثبوت الاعادة
في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقوله تعالى وما من دابة

في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم ثم قال الى ربهم
يحشرون وروى مسلم في الصحيح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى تقاد الشاة الجلحا من الشاة
القرنا **قال** ابو ذر انتطحتا شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اتدري فيما انتطحتا قلت لا ادري فقال لكن الله يدري وسيقضي
الله بينهما قال ابو ذر لقد تركنا النبي صلى الله عليه وسلم وما يقلب طاير
جناحه في السما الا ذكرنا منه علما وقال ابو ذر ان الحجر ليسال عن
نكتة اصبع الرجل **وفي** الحديث الصحيح يرويه مسلم والبخاري
وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتي احدكم على رقبته بعير
له رغا او على رقبته بقرة لها خوار او على رقبته شاة تثغو ثم تنبسط
لها بقاع من قرقر تطاه باظلافها وتنطحه بقرونها كلما مرت عليها
اولاها عادت عليه اخراها والحديث وارد في مانعي الزكاة وقال
ابو الحسن لا يجوز المقاصة بين البهايم لانها غير مكلفة ولا يجري عليها
القلم قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله عليه السلام تقتص
الجما من القرنا وبسل العود لم خدش والعود فعلى سبيل المثل والاخبار
عن شدة التقصي في الحساب ولانه لا بد ان يقتص المظلوم من الظالم
وابى ذلك الاستاد ابو الحسن الاسفرايني قال في الجامع الجلي يجري

القصاص بينهما ويحتمل انها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا فلهذا
اجري فيها القصاص قلت وكلام الاستاد له وجه في الصحة لان البهيمة
تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل العلف وينزجر الكلب
اذا زجر ويستانس اذا اشلي والطير والوحوش تفر من الجوارح
استدفاعا لشرها فان قيل القصاص انتقام وهو جزا علي جنايه وقعت
مخالف للامام والبهايم ليست مكلفة ولا لها عقول ولا جاها رسول
والعقول عندكم لا يجب بها شي علي العقلا فضلا عن البهايم وفي هذا
انفصال عن قول الاستاد انها كانت تعقل هذا القدر ان لا يجب له
بالعقل شي ويشهد له قوله تعالي وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا
والجواب انها ليست مكلفة لان من ضرورة التكليف ان يعلم الرسول
والمرسل وذلك من خصايص العقلا وهم الثقلان واذا لم يكونوا
مكلفين كانوا في المشية سوا يفعل الله بهم كما اراد كما سلط
عليهم في الدنيا الاستسخار والذبح فلا اعتراض عليهم والله تعالي
ان يفعل في ملكه ما يشا وما يريد من تنعيم وتعذيب واذا جاز
ان يولم البهيمة ابتدا جاز ان يولمها بعد جنايتها والاية محمولة
علي من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجر عليهم قلم في الدنيا فانما رفع
القلم عنهم في الاحكام ولكن فيما بينهم يواخذون به وقد روي

البخاري ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه كان
ينفخ علي ابراهيم عليه السلام فهذن عجما عوقبت علي سو صنيع جنسها
وفيه دليل علي ان الله تعالي يعذب بملكه لا بالمعصية وقد ضرب
موسي عليه السلام الحجر الذي فر بثوبه وبنوا اسرايل ينظرون عورته
رواه البخاري عن النبي صلي الله عليه وسلم قال فضربه بعصاه والحجر
يفر وموسي يقول ثوبي حجر ثوبي حجر قال ابو هريرة فوالذي نفسي
بيده انه لندب الحجر ستة او سبعة **وروي** في تفسير قوله
تعالي وقودها الناس والحجارة انها الحجارة التي تكسر الناس في الدنيا
ويروي ان المسيح عليه السلام مر بجبل فسمع انينه فساله عن ذلك
فقال سمعت الله تعالي يقول وقودها الناس والحجارة فلا ادري
اكون من تلك الحجارة ام لا وقد تاول بعضهم قول ابن عباس رحمة
حشرها بموتها بحشر بضرب من القصاص بينهم ثم تصير ترابا وقلت
تاويل ابن عباس يقيد لان الحشر الجمع وليس في موتها جمعها بل تفرقها
وتفرقة اجزايها ثم قد قال ثم الي ربهم يحشرون وانما يكون الحشر
الي الرب تعالي باعادة الحياة اليها وجمعها الي ربها

الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة

قال الله تعالي وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه

ان مع العسر يسرا وقال سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف
السوء وقال الحسن لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم
ابشروا فقد جاءكم الفرج لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود
والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر لن يغلب عسر
يسرين ومعنى الاية انه لما عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب
اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته فهو هو واذا انكرته ثم كررته
وهو اثنان **وقال بعضهم**

ان يكن نالك الزمان ببلوى عظمت شدة عليك وجلت
وتليها فوادح ناكبات سئمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايا اذا توالت تولت
واذا اذهبت قواك وجلت كشفت عنك جملة فتجلت

وقال ابن عباس اول ما اتخذ النسا المنطق من قبل ام اسمعيل
اتخذت منطقا ليعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وابنها
اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها على البيت عند دوحة فوق زمزم
في اعلا المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ما فوضعها هنالك
ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفل ابراهيم منطلقا فتبعته
ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا في هذا الوادي

الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت
الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى
اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل البيت بوجهه ثم دعا بهؤلاء
الدعوات ورفع يديه وقال يا رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون فجعلت ام اسمعيل ترضعه وتشرب
من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت ام اسمعيل
تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فانطلقت فوجدت الصفا
اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه فاستقبلت تنظر من بالوادي فلم
ترا احدا ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة
فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم ترى احدا ففعلت ذلك سبع مرات
قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما
فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه صه تريد نفسها فسمعت
ايضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غياث فاذا هي بالملك عند موضع
زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول
بيدها هكذا تغرف من الما في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف فقال
النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو
لم تغرف لكانت عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها

الملك لا تخافي الضيعة فانّ ها هنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه
وانّ الله تعالى لا يضيع أهله **ومنها** قصّة الثلاثة الّذين خلّفوا عن
غزوة تبوك وذلك انّ كعب ابن مالك وزرارة ابن الربيع وهلال
ابن أميّة تخلّفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم من كلام
الثلاثة قال فاجتبنا الناس وتغيّروا لنا حتى تنكّرت لنا الأرض بما رحبت
فما هي الّتي أعرف وكنت أطوف في الأسواق وأشهد الصّلاة مع المسلمين
فلا يكلّمني احد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلّم عليه وأقول
في نفسي هل حرّك شفتيه بردّ السّلام أم لا حتّى إذا طال ذلك عليّ من
جفوة النّاس تسوّرت جدار حايط أبي قتادة وهو ابن عمّي واحبّ الناس اليّ
فسلمت عليه فوالله ما ردّ عليّ السّلام فلمّا تمّت خمسون ليلة من يوم نهى النبي صلى
الله عليه وسلم من كلامنا صلّيت صلاة الفجر وانا على ظهر بيت من بيوتنا
فبينما انا جالس على الحالة الّتي ذكرها الله ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ
الأرض بما رحبت وما كان اهمّ شيء عليّ من ان أكون أموت فلا يصلّي عليّ
النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت النبي صلى الله عليه وسلم فأكون من النّاس
في تلك المنزلة لا يكلّمني احد ولا يصلّي عليّ فانزل الله تعالى توبتنا ٥
فسمعت صارخا من أعلا الجبل يا كعب ابن مالك أبشر فخررت ساجدا لله تعالى
وعرفت انّه قد جاء الفرج فجعلت ثوبي على الصّارخ بشارة لبشراه ووالله

ما كنت

ما كنت أملك غيرهما ثمّ أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلّمت عليه وهو يبرق
وجهه من السّرور فقال أبشر بخير يوم مرّ عليك من يوم ولدتك أمّك
فقلت يا رسول الله إنّ من توبتي تأمرني أن انخلع من مالي صدقة لله تعالى
ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك
بعض مالك فهو خير لك **وروي** انّ ابراهيم عليه السّلام لمّا
شبّ ودرج في موضع ربّي فيه فلمّا راى كوكبا يقال انّه راى الزّهرة
فقال هذا ربّي فلمّا افل قال لا أحبّ الآفلين فلمّا راى القمر بازغا قال
هذا ربّي فلمّا افل بعد طلوع الفجر قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من
القوم الضّالّين فلمّا أصبح وراى الشمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر
فلمّا افلت قال يا قوم اني بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي للّذي فطر
السّموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين وحاجّه قومه قال اتحاجّوني
في الله وقد هدان يعني الى الاسلام ولا اخاف ما تشركون به إلّا ان
يشاء ربّي شيئا وسع ربّي كلّ شيء علما افلا تتذكّرون فقالوا يا ابراهيم
انّا نخاف من آلهتنا أن تخبلك او ان تصيبك بسوء لا تقوم له ان انت
سبّيتها وعبتها قال وكيف اخاف ما أشركتم ولا تخافون أنّكم
أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن
ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع اصناما تعبدها قومه ثمّ يعطيها

الى ابراهيم عليه السلام ليبيعها فيكسرها ويذهب بها الى نهر لهم فيكبها
فيه على رؤسها ويقول لها اشربي استهزا بها واظهارا لقومه فسادما هم
عليه ففشا ذلك عندهم من غير أن يبلغ الى نمرود فاقول ما نادا قومه ان
نظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم و على اصنامهم فظنوا
انه مطعون وكانوا يفرون من الطاعون اذ سمعوا به فتولوا عنه مدبرين
فراغ الى الهتهم فدخل عليها وهم قد وضعوا لها شرابا وطعاما فقال ما
لكم لا تاكلون ما لكم لا تنطقون فاقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها
وقطع أيديها و ارجلها حتى جعلها جذاذا واراق طعامها و شرابها
وعمد الى الفاس فعلقه في عنق الههم العظيم بيده ثم خرج عنها وتركها
فلما رجع قومه من عيدهم دخلوا بيت اصنامهم فلما راوا ما صنع بها
راعهم ذلك وعظموه وقالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
وقال بعضهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم يعني
يسبها ويستهزي بها قال النمرود فاتوا به على اعين الناس لعلهم
يشهدون فلما أتي بابراهيم قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال
بل فعله كبيرهم هذا فسلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم
فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نسبها اليه ثم قالوا بعد أن عرفوا انها
لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون

الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله
افلا تعقلون قال له النمرود حين سمع ذلك منه صف لي الهك الذي
تعبد وتدعوا الى عبادته قال ابراهيم ان ربي يحيي ويميت قال النمرود
وانا احيي وأميت قال ابراهيم وكيف ذلك قال أخذ رجلين قد استوجبا
القتل في حكمي فأقتل أحدهما فأكون قد أمته وأعفوا عن الاخر فأكون
قد أحييته قال ابراهيم فان كنت صادقا فاحيي الذي قتلت بر عمك
واخرج روحا من جسد من غير أن تقتله وان كنت صادقا فان الله ياتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمرود ولم
يرد اليه شيئا وأمر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعوا اهل
السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر امره وفشا واتبعه قوم كثير
على دينه فلما ارادوا أن يحرقوا ابراهيم واراد واذلك واجتمعوا عليه
بنوا بيرا طول حايطه ستون ذراعا ووضعوه على سجف الى جنب جبل
منيف لا يرام ولا يرتقى وبلطوا الجدار فلا يمشي احد الا زلق واذن
موذن النمرود أيها الناس احطبوا النار ابراهيم ولا يتخلفن عنها انثي
ولا ذكر ولا حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك
القي في تلك النار فعملوا في ذلك اربعين ليلة حتى ان المراة منهم تنذر
ذلك على نفسها ان رجع غايبها أو افاق عليلها حتى اذا كمل ذلك

قذفوا فيه النار حتى انه يسمع وهيج النار على المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك
وضع ابراهيم قذفوا في كفة المنجنيق **وقال** وهب ابن منبه
فبلغني أن السما والأرض والبحار وما فيها والأرض وما فيها ضجوا الى الله
ضجة واحدة قالوا ربنا ليس في أرضك أحد يعبدك غيره فايذن لنا
في نصرته فاوحى الله تعالى اليهم ان استعان بشيء منكم فانصروه
وأعينوه وان دعاني فانا وليه وناصره فلما وضع في كفة المنجنيق
وقذفوه قال حسبي الله ونعم الوكيل اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة
قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار فاوحى الله تعالى الى النار أن
كوني بردا وسلاما على ابراهيم فأطاعت ربها ولو لم يقل سلاما لمات
ابراهيم من شدة بردها ولبث ابراهيم عليه السلام في النار سبعة أيام
وظن قومه انه قد احترق ثم قال نمرود انظروا ماذا فعل ابراهيم فاني
نظرت الليلة في منامي ان جدار هذا الحير قد تهدم وخرج الى ابراهيم يمشي
قال وكان قد ذاب النحاس الذي قد شد به باب الحير واحترق الجدار
وصار رمادا فاطلعوا على ابراهيم فراوه صحيحا مسلما وخرج الناس ينظرون
اليه على تلك الحال فلما راهم خرج يمشي حتى قصد الى أمه وهي في الجمع فاقبلت
سارة وكانت أول من آمن به حتى جلست اليه وقالت يا ابراهيم اني آمنت
بالذي جعل النار عليك بردا وسلاما فقالت لها أم ابراهيم إحذري القتل

على

على نفسك فقالت اليك عني فاني لا اخاف شيئا وقد آمنت بإله ابراهيم
وحول ابراهيم جمع من الناس لا يحصي عددهم إلا الله يأتمرون ليحدثوا
عليه عذابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا فسفت رماد تلك النار في
وجوههم وعيونهم ففروا عنه وقام ابراهيم داعيا إلى الله تعالى وذاكره
وقال مجاهد وقتادة وغيرهما ان نبي الله تعالى سليمان ابن
داود عليهما السلام انطلق الى الحمام ومعه جني يقال له صخر ولم يكن
سليمان يدخل الخلا ومعه خاتمه فدخل الحمام واعطى خاتمه للشيطان فرماه
الى البحر فالتقمته سمكته وانتزع ملكه منه وألقى على الشيطان
شبه سليمان فجلس على كرسي سليمان وسلط على جميع ملك سليمان غير نسائه
فجعل يقضي بين الناس والناس ينكرون قضاياه حتى قالوا لقد فتن
سليمان نبي الله ومكث سليمان عليه السلام على ذلك أربعين يوما ثم
اقبل في حالته تلك وهو جايع تايه حتى انتهى الى صيادين في البحر فاستطعم
احدهم من صيده وقال انا سليمان فقام إليه فضربه بعصا فشجه فجعل
سليمان يغسل وجهه على شاطئ البحر فلام الصيادون ذلك على ما فعل
وأعطوا سليمان سمكتين مما تغير عندهم ونتن فما شغله ما كان
به من الضربة فقام فشق بطن احداهما فوجد خاتمه في بطنها فأخذه
ولبسه فرد الله عليه بهاه وملكه وجاءت الطير حتى حامت عليه

فعرف القوم انه سليمان فجاوا معتذرين اليه وقال وهب
ابن منبه ان الله تعالى وهب لابراهيم عليه السلام اسحاق فلما كان
ابن سبع سنين اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام ان يذبحه ويجعله
قربانا فكتم ابراهيم عليه السلام ذلك من اسحاق عليه السلام ومن امه
ومن جميع الناس واسرّ الى خليل يقال له العازر وكان اول من امن
به من قومه يوم القي في النار فقال ان الله تعالى رفع اسمك عن جميع
اهل البلا حتى صرت ارفعهم منزلة والله تعالى يرفعك بقدر ذلك في المنازل
والفضايل وقد علمت ان الله تعالى لم يبتليك بذلك ليفتنك ولا ليضلك
ولا قوة الا بالله واعوذ بالله ان يكون ذلك ولكن هذا احسن الظن
بالله تعالى فان عزم ربك على هذا فكن عند احسن علمه بك ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فتعزى ابراهيم بقوله واستند له برايه
وبنصرته وانطلق باسحاق فلما صعد الجبل ومعه السكين والحبل واداة
القربان فقال له اسحاق يا ابه اني ارى معك اداة القربان ولا ارى
قربانا فقال يا بني القربان بعين ربك ينظر اليه فان شا رحم ابوك
فلم يفطن اسحاق فلما وافى راس الجبل قال ابراهيم يا بني ان الله تعالى
امرني ان اذبحك واجعلك قربانا يرفعك الله تعالى ويتقبلك فانظر
ماذا ترى فتهلل اسحاق واستبشر فقال له والده لقد فجعتك يا بني

بامر

بامر ما افجع به والد ولده واني لادري من سرورك وبشرك لربك امرا
رجوت به العافية والفرح قال يا ابت لم يكن شيا من الدنيا احب الي
من البر بك وبابي وقد حرمنيه ربي تعالى فاذا اردت ذبحي فاشدد وثاقي
فاني اخاف حين يبلغ دقني عقلي واجد الم الحديد ان يتحرك مني عضو فاذيك
وانا اكره ان اختم بذلك عملي فاذا فرغت من امري فاقرئ امي السلام
وقل لها لا تجزعين فقد احرز الله تعالى ابنك في حياته فلما فرغ من وصيته
عمد ابراهيم عليه السلام اليه فعصبه بعمامته ما بين منكبيه الى الكعبين
ثم اكبه لوجهه وكره ان يستقبله بوجهه لكي يدركه رحمة اذا
هو سخط فادخل يده من تحت حلقه فلما اراد ان يجرا انقلبت السكين
فاوجس ابراهيم في نفسه فلما اراد الثانية ان يجرا انقلبت السكين ونودي
ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو
البلا المبين وفديناه بذبح عظيم هذا ابنك قد فداه الله تعالى فنظر
ابراهيم عليه السلام خلفه فاذا كبش قد لوى قرنه على ساق شجرة فوجهه
ابراهيم عليه السلام الى القبلة وقبلته يومئذ مكة وذبحه ابراهيم
وفصله اسحاق عليهما السلام فلما فرغا منه وضعاه قربانا فرفعه الله تعالى
اليه وقبله • قال ابو هريرة ولما صار يوسف عليه
السلام في مصر واستقر بعد الخدمة جزع جزعا شديدا وجعل يبكي

الليل والنهار على اخوانه ووطنه وما ابتلى به من الرزق فاجى ليلة من
تلك الليالي بعد عوادته تعالى فكان من دعائه أن قال يا رب أخرجتني
من أحب البلاد اليك وفرقت بيني وبين ابوي واخوتي ووطني فاجعل
لي من ذلك فرجا ومخرجا من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وحبب
البلاد التي انا فيها إلي وحببها الى كل من يدخلها وحببني الى أهلها
وحببهم الي ولا تمتني حتى تجمع بيني وبين ابوي واخوتي في ستر منك
ونعمة وسرور وتجمع لنا به خير الدنيا والآخرة انك سميع الدعا فاتي
يوسف عليه السلام في منامه فقيل له إن الله تبارك وتعالى استجاب لك
دعاك وأعطاك سؤلك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك
ابويك واخوتك وأهل بيتك فطب نفسا واعلم ان الله تعالى لن يخلف
وعده وبدعا يوسف عليه السلام صارت مصر محبوبة يحبها من دخلها
فلا يكاد يخرج منها قال معاد ما سكنها نبي قبله ولما جمع الله تعالى
له شمله وتكاملت النعم عليه اشتاق الى لقاء ربه فقال رب قد آتيتني
من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والأرض انت وليي
في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين **ولما**
وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون.
ويقسم الأمر الضيق على يزيد بن ابي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة

ولي يزيد ابن ابي مسلم افريقية فاستخفى محمد بن يزيد بن ابي مسلم فاتي به في
شهر رمضان عند المغرب وفي يد يزيد بن ابي مسلم عنقود عنب فقال
له يزيد حتى دنا منه محمد بن يزيد قال نعم أما والله ان طال ما سألت الله
تعالى ان يمكنني منك بغير عقد ولا عهد فقال محمد وانا والله فطال
ما سألت الله تعالى أن يجيرني منك ويعيدني فقال يزيد فوالله ما اجارك
ولا اعاذك وان سابقني ملك الموت الى روحك قبضته والله لا اكل
هذه الحبة حتى أقتلك فاقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العنقود وتقدم
ليصلي وكان أهل افريقية قد اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل
على رأسه بعمود فقتله **وقيل** لمحمد بن يزيد اذهب الى حيث شئت
فسبحان من قتل الأمير واحيى الأسير سنة الله التي قد خلت في عباده طلوع
الحياة في شفار الموت وحضور الموت في موضع الحياة **وروي**
أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قايد البحر وقال
انفذ الآن مركبا الى افريقية يا توني بأخبارها فعمد القايد الى المركب
فارسله لوقته فلما اصبحوا اذا بالمركب في موضعه لم تبرح فقال له
الملك اليس قد فعلت ما امرتك قال نعم امتثلت امرك وانفذت المركب
ورجع بعد ساعة ومعه رجل وسيحدثك فجا مقدم المركب ومعه
رجل فقال له الملك ما منعك ان تذهب حيث امرتك قال ذهبت بي

المركب فبينما انا في جوف الليل والبحارون يقذفون إذا انا بصوت يقول
يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فكررها مرارا فلما استقر صوته في
أسماعنا ناديناه مرارا يا لبيك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين
ونحن نجيبه يا لبيك يا لبيك وقدفنا بالمركب نحو الصوت فالقينا هذا
الرجل غريقا على آخر رمق من الحياة فانقذناه من الغرق وسالناه عن حاله
فقال كنا مقلعين قافلين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام ومازلت
أسبح حتى وجدت الموت فلم اشعر الا والندي من ناحيتكم فسبحان من أرق
سلطانا وأسهر جبارا في قصر لغريق في ظلمة لجة البحر وظلمة الوحشة
لا إله الا انت سبحانك **واخبرني** رجل كان امام الجامع
بالاسكندرية قال كنت بصقيلة ايام فتن العدو فزحف اليها في البحر
في سفن تقارب ثلاثماية سفينة وأرست في الساحل فرابنا أمرا مهولا
وفينا الشيخ الصالح العابد السمنطاري فلجأ الناس اليه واجتمعوا حوله
يتبركون به ويطلبون الفرج على يديه قال فنظر الى السما حينا
ثم سجد وعفر خديه في الأرض يقلبهما يمينا وشمالا قال فوالله ما برحنا
حتى هبت الريح ومزقتها كل ممزق ولم تجتمع منها اثنان واخبرني
أبو القاسم بن فاتك قال كنت في طريق الحجاز فعطش الناس في مفازة
تبوك وعدم الما فلم يوجد الا عند صاحب لي جمال فجعل يبيعه بالدنانير

بارفع الاثمان فجا رجل كان موسوما بالصلاح عليه قطعة نطع فحمل
ركوة ويحمل ولده ومعه شي من دقيق فشفع بي الى الجمال ليبيعه
الما بذلك الدقيق فكلمته فابى علي ثم عاودته فابى قال فبسط
الرجل النطع في الارض ونثر عليه الدقيق ثم رمق السما بطرفه وقال
الهي انا عبدك وهذا رزقك وما املك غيره وقد ابى ان يقبله مني
ثم ضرب يده في النطع وقال وعزتك لا ابرح حتى اشرب قال فوالله
ما تفرقنا حتى نشات السحاب وأمطرت مطرا للحين فشرب الما ولم يبرح
وكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يوبه له
ومطروح بالابواب لو اقسم على الله لابر قسمه **وأخبرني**
شيخ مسن ممن كان يصحب العلما بالقيروان يقال لجرير قال اخبرني
عبد الكافي الديباجي قال رايت بالقيروان اية عظيمة وذلك ان رجلا
جا بصبي له قد اسكت لا يتكلم فدخل الى الفقيه أبي بكر ابن عبد الرحمن
وقال له ان ابني هذا قد اسكت لا يتكلم منذ أيام فادعوا الله له أن
يفرج ما نزل به قال فدعا له ساعة ثم مسح وجهه فاستفاق الصبي
فقال له قل لا إله الا الله فقال الصبي اشهد ان لا اله الا الله واشهد
أن محمدا رسول الله ثم التفت الى الرجل فقال اكتمها علي الى الموت
ثم التفت الى جاريته وقال اكتمي علي هذا الى الموت وأنت حرة

فلما كان يوم توفي الشيخ أبو بكر واجتمع الناس لجنازته وتكاثر الأمم
قام الرجل فانتصب وانصت الناس وسكتوا فقال يا أهل القيروان اسمعوا
قصتي مع هذا الشيخ وذكر الحديث كما سقناه وحدثني هذا الشيخ
قال نزلت عندنا بالقيروان قصة لم نسمع في السالفين بمثلها وذلك أن
بعض الجزارين اضجع كبشا ليذبحه فتخبط من يده وأفلت منه وذهب
فقام الجزار يطلبه فجعل يمشي الى أن دخل خرابة وإذا فيها رجل مذبوح
يتخبط في دمه ففزع وخرج هاربا وإذا الشرط والرجالة عندهم خبر القتيل
فجعلوا يطلبون القاتل والمقتول فاصابوا الجزار بيده السكين وهو ملوث
بالدم والرجل مقتولا في الخرابة فقبضوه وحملوه الى السلطان فقال
له السلطان انت قتلت الرجل قال نعم فما زالوا يستنطقونه وهو يعترف
اعتراف الاشكال فيه فأمر به السلطان أن يقتل فأخرج للقتل فاجتمع
الناس ينظرون اليه فلما هموا بقتله اندفع رجل من الحلقة المجتمعين
وقال يا قوم لا تقتلوه انا قاتل القتيل فأخذ وحمل الى السلطان فاعترف
وقال انا قتلته فقال السلطان قد كنت معافا من هذا ما حملك على
الاعتراف قال رايت الرجل يقتل ظلما فكرهت أن ألقى الله تعالى
بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل ثم قال للرجل يا ايها الرجل ما دعاك
الى الاعتراف بالقتل وانت بريء قال فما حيلتي رجل مقتول في الخرابة

فاخذوني وانا خارج من الخرابة وبيدي السكين وانا ملطخ بالدم فان
انكرت فمن يقبلني وان اعتذرت فمن يقبل عذري فخلى سبيله وانصرف
مكرما **ولما** وزر فخر الدين بن نظام الملك بسنجار وكان لفخر
الملك ابن عم يقال له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزله فقال للملك
سنجار لا حياة لي معك أو تقتل ابن عمي شهاب الملك فابى سنجار فما زال
يراجعه الى أن امر به فحبس في بلد يقال لها بيهق وكان والي تلك البلدة
يكرمه لجلالته وجلا له أهل بيته وأخلا له دارا مشرفة في القلعة
ثم جعل فخر الملك يفسد قلب سنجار ويحمله على قتله الى ان ارسل سنجار الى الوالي
يامره بقتل شهاب الملك فاستعلم الوالي ذلك واخره اياما ثم لم يجد بدا
من قتله فعزم على ذلك في يوم جمعة فبينما شهاب الملك يتطلع من طيقان
الدار وقد احس بالهلاك اذا بفارس يركض فأوجس في نفسه خيفة
منه وقال هذا ايريد قتلي فوصل الفارس اليه وقال مات فخر الملك فخلى
سبيل شهاب الملك ثم وزر لسنجار مكان فخر الملك فسبحان الفعال
لما يريد **واخبرني** أبو الفضل المعتز بمصر قال كان بمصر ملوك
آل حمدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكوا وجع
القولنج فاعيا الاطبا فلم يوجد له شفا ثم ان السلطان دس على قتله
فارصد له رجل بخنجر فلما جا في بعض دها ليز القصر وثب عليه الرجل

فضربه بالخنجر فاصاب الخنجر طرف المعا الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من
الخلط ثم عاناه فصح وبرى كأحسن ما كان **ولما** كنت
بالاسكندرية نزلت سفن العدو بساحل بلاد برقة فاخذوا سفينة للمسلمين
وقتلوا بعض من فيها واسروا البعض فاسر رجل منهم وشد كتافه من
خلفه فلما نهبوا السفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفصه فالقاه في البحر
ثم طعنه برمح كان معه فلم يخط نصل الرمح حل الكتاف فقطعه وانحلت
يدا الرجل وسبح حتى لحق بالشاط فسلم ووصل الى الاسكندرية سالما
في عافية واخبرني بعض الشاميين ان رجلا خبازا بينما هو يخبز في تنور
بمدينة دمشق إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش فاشترى منه وجعل ياكل
بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروا فإذا هو ميت فجعلوا يتربصون
به ويجمعون له الاطبا فيلتمسون دلايله ومواضع الحياة منه فقضوا
بأنه ميت فغسل وكفن وحمل الى الجبانة وهم خارجون به من باب
المدينة استقبلهم رجل طبيب يقال له اليبرودي وكان طبيبا ماهرا
حاذقا بالطب فسمع الناس يذكرون حديثه فقال لهم حطوه حتى اراه
قال فحطوه فجعل يقلبه وينظر في امارات الحياة التي يعرفها ثم فتح
فمه فسقاه شيا او قال حقنه فاندفع ما هنالك فاذا الرجل قد فتح
عينيه وتكلم وعاد الى ما كان عليه من العافية **وكان**

رجل يمشي ببغداد فبينما هو في بعض الطريق إذا بدار قد وقعت عليه
نخرت كالجبل العظيم وإذا في الحايط طاقة فما اخطات راسه
فصارت تلك الدار كوما وخرج الرجل سالما من الطاقة وحدثني
ابو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في ارض آل الصليحي فوشي بي الى
السلطان فامر بقتلي فاخرجت وقدمت للقتل وتركني السياف وقال
لي مد رقبتك فمددت عنقي لقضا الله تعالى فقال لي السياف ابيد
نقلت دونك يا هذا فبينما نحن كذلك إذا بصارخ من داخل القصر
لا تقتلوه فخلي سبيلي **وجرت** بقرطبة قصة غريبة في ايام
المنصور ابن ابي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم ابن محمد الشمسي
شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور مدة مع جماعة من الادبا
مرموقين بالانهماك والزندقة من وجوه قرطبة وكان ينادي عليهم
في كل جمعة يوقفون اثر صلاة الجمعة بباب الجامع الاعظم من كانت
عنده شهادة فيهم فليوديها فثبت على قاسم عند القاضي سجلا بشهادات
الشهود وبانواع منكرة تتضمن الزندقة والكفر فطلعوا الى القصر
وعقد مجلس عظيم واستشور الفقها فيه فاوجبوا قتله فاستحضر
القاسم فحضر وحضر ابنان صغيران لقاسم ولبسوا ثياب الحداد وحمل
ابوه معه بعشا وحمالين وجعل ابوه وصبيته يبكون على باب القصر

واحضر بضرب عنقه سيّافٌ يعرف بابن الحسيني وذُبحت إليه أسياف
من القصر فجعل يَرُوزها ويلتمس شفارها وابوه وابناه ينظرون وحضر
الفقيه ابو عمر والمكوكي الاشبيلي على كره منه وكان يأبى الحضور
فاستفتوه فقال يا مولاء ان الدما لا تسفك إلّا بالحق الواضح دون
الشبهة احبسوا قاسما فروحا أروني بماذا تفعلوا هذا فقال ابن المشرف
القاضي لما ثبت عندي فانعمت النظر فيه فقال الفقيه اوقفني عليه
فأخذ السجل ونظر فيه فقال له أخبرني بمن قتله من هؤلاء الشهود قال
بهذا او هذا حتى عدّ خمسة قال الفقيه بجميعهم يقتل قال نعم قال فلو
شهد منهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا انما قوي بعضهم بعضا
وزكي اكثرهم عندي فالتفت الفقيه الى الفقها المشاورون ثم قال
يا مولاء بالدعاوي تقتل المسلمون عندكم وتسفك دماوهم فلست
اري قتله ولا أشير به فرجع الفقها إلى قوله ولم يروا عليه شيئا بعدما
افتوا بقتله منذ ستة اشهر فانتقض الجمع ورفع السيف وطار البشير
الى ابن ابي عامر فاخبره بالمجلس فقال ابن ابي عامر مضيتم تقتلوا ابن الشبلي
بذميم المعاصي قد اجتهدنا للدين ولا قائل لمتوكل فجلس اياما ثم اطلق
وكان ابن ذكوان الفقيه يقول للقاضي في مثل هذا قال القايل
إذا سُئل بم عرفت الله قال بنقضه لعزايمي ومعنى الدعا نام على لسان

الفقه هم الشهود الذي لو انفرد منهم اثنان لم يثبت الحكم بهم ولا قتلا
به فاذا اكثروا قوي بعضهم بعضا فلا يثبت الحكم بهم وفي
نقيض هذا ما احدثني ابو مروان الداني بطرطوشة وقد ولي قضاها
فتذاكرنا يوما فقال نزلت قافلة بقرية خربة من اعمال دانية فاتوا
الى دار خراب هنالك ليسكنوا فيها من الرياح والامطار فاستوقدوا
نارهم وشووا معيشتهم في تلك الخربة وبها حايط قد مال وقد اشرف
على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة يا هؤلاء لا تقيموا تحت هذا
الغرر ولا تدخلوا هذه البقعة فابوا الا دخولها وبات الرجل مستندا ا
خارجا عنهم لم يعرف ذلك المكان ثم أصبحوا في عافية وحملوا دوابهم
فبينما هم كذلك إذ دخل الرجل الخربة يستخن ببقية النار فخر عليه
السقف فمات مكانه وبلغني عن بعض الفقهاء أن
جيشا من الجيوش كان بصقلية ناهضا من مكان الى مكان فقعدوا
ساعة لبعض شانهم فاذا عقرب تدب فضربها بعض الاجناد بمقرعة
كانت معه ثم شال المقرعة الى نحو عنقه فاذا بالعقرب قد تعلقت
بأهداب المقرعة وهو لا يشعر فلدغته في عنقه فقضي مكانه
واخبرني القاضي ابو الوليد الباجي رضي الله عنه عن ابي ذر قال
كنت اقرا الحديث على الشيخ ابي حفص عمر بن احمد بن شاهين ببغداد

في حانوت فجاءه رجل يبيع العطر فسأله جالس معه في الحانوت إذ جاءه
رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يده فأعطاه
عشرة دراهم وقال له ادفع لي أشيا سماها له من العطر فأخذها في
طبقه ومشى بها فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكا
الطواف حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تجبر له
بعض هذه الأشيا قال نعم فنزل فجمع ما اجتمع منها وجبر له ما نقص
من هذه الأشيا وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع
وأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أتظن يا شيخ أن جزعي لضياع
ما ضاع لقد علم الله تعالى مني أني كنت في القافلة فضاع لي هميان
فيه اربع ماية دينار واربعة آلاف الشك من أبي ذر ومعها فصوص
قيمتها مثل ذلك فما جزعت لضياعها ولكن طلع لي الليلة مولود فاحتجت
في البيت إلى ما تحتاج اليه النفسا ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم
فاشفقت ان اشتري منها حوايج النفسا فابقى بغير راس مال ولا اقدر
على المكسب فقلت اشتري بها شيئا وأطوف به صدر نهاري فعسى
استفضل شيئا أسد به رمق أهلي ويبقى راس المال أتصرف فيه فلما
قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت ما عندي ما أرجع به اليهم
ولا ما أكتسب منه وعلمت انه لم يبق لي الا الفرار منهم وتركهم

على هذا الحال يهلكون بعدي فهذا الذي أوجب جزعي **وقال**
الشيخ ابو ذر وكان رجل من شيوخ الجند جالس على باب داره يستوعب
الحديث فقال للشيخ ابي حفص أنا أرغب إذا تممتم امرم أن تدخلوا معه
عندي وقام فدخل فظننا انه يعطيه شيئا قال فدخلنا عليه فقال
الجندي للطواف عجبت من جزعك فأعاد عليهم القصة وقال الجندي
وكنت في تلك القافلة فقال نعم وكان بها من اعلام الناس
فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال له وما علامة الهميان
وفي أي موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة فقال له
الجندي لو رايته كنت تعرفه قال نعم فاخرج الجندي هميانا ووضعه
بين يديه فقال الطواف هذا همياني وعلامة صحة قولي ان فيه من
الاحجار ما صفته كذا وكذا ففتح الهميان ووجد الأحجار على ما ذكر
فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف هذه الاحجار
قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذ انت الدنانير ونفسي طيبة بذلك
فقال الجندي ما كنت اخذ شيئا على امانتي فدخل الطواف وهو من
الفقرا فخرج وهو من الأغنيا فبكا الجندي بكا شديدا وانتحب
فقال له أبو حفص ما تبكي وقد رد الله تعالى أمانتك وقد بذل لك مالا
كثيرا أو إن شئت عرضنا عليه أن يعطيك قال ما ابكي لذلك

وانما أبكي لاني اعلم انه قد حان أجلي فانه ما كان بقي لي شي أسل الله
تعالى فيه ولا منية اتمناها الا أن يأتي صاحب هذا الهميان فيأخذ ماله
فلما قضى الله سبحانه ذلك بمنه لم يبق لي اجل علمت ان قد حان اجلي قال
الشيخ أبو ذر فما انقضى شهر حتى توفي وصلينا عليه **قال**
القاضي وحدثني أبو القسم بن حسن بالموصل قال لقد جرت في هذا المسجد
وفي هذه الدار والحانوت قصة عجيبة كان يسكن هذه الدار رجل
من التجار ممن سافر الى الكوفة في تجارة الخز فبينما هو يحمل الخز على
حماره في خرج وجميع ماله نزلت القافلة فاراد انزاله عن الحمار فثقل
عليه فامر انسانا هنالك فاعانه على انزاله ثم جلس ياكل فاستدعى ذلك
الرجل لياكل معه فاجابه واكل معه ثم سأل عن أمره فأخبره انه رجل
خرج من الكوفة لأمر أزعجه دون زاد فقال الرجل تجوز معي وتعينني
على سفري ويكون طعامك عندي فقال الرجل اني حريص على خدمتك
ومحتاج الى طعامك فسار معه في طريقه يخدمه على احسن حال
الى ان وصلا تكريت فنزلت القافلة خارج البلد ودخل الناس
لقضا حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلنا حتى ادخل واشتري
حاجتنا ثم دخل وقضا حوائجه فأبطا هنالك ثم خرج فلم يجد الرفقة
ولا وجد صاحبه فظن انه لما رحلت الرفقة رحل معها فلم يزل يسعى

حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما جا صاحبنا
ولا رأيناه ولكنه ارتحل لاسباب على الحمار ودخل المدينة على اثرك
فظننا انك امرته بذلك فكر الرجل راجعا إلى تكريت فسأل
عنه فلم يجد له خبر ولا اثر فيئس منه وسار إلى الموصل مسلوب المال
فوافاها نهارا جايعا عاريا فقيرا مجهودا فاستحى أن يدخل نهارا فيشمت
به العدو ويحزن الصديق فبقي حتى امسى ثم دخل فدق باب الدار
فقيل من هذا فقال فلان يعني نفسه فأظهروا سرورا عظيما وفرحا
فقالوا الحمد لله الذي جابك في مثل هذا الوقت على ما نحن فيه من الضيق
والضرورة والحاجة والفاقة حملت جميع مالك وطال سفرك واحتاج
أهلك وقد ولدت اليوم ولدا والله ما وجدنا ما نشتري به شيئا
للنفسا ولقد كانت هذه الليلة طاوية على حالها فتحيل لنا في دقيق
ودهن نسرج به فلا سراج عندنا وزاده ذلك غما فكره أن يخبرهم
بحاله فيحزنهم فاخذ وعا الزيت وجراب الدقيق وخرج الى حانوت
وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحوه فوجده قد
اغلق دكانه واطفا مصباحه ونام فناداه فاجابه وعرفه وشكر
الله على سلامته فقال التاجر لصاحب الحانوت اقدح زنادا أزن لك
دراهم في زيت ودقيق وعسل احتجت اليه الساعة وكره أن يخبره

بتاخير الثمن فيمتنع عليه فقدح البياع الزنا دو استصبح فقال له التاجر
زن لي من الدقيق كذا ومن العسل كذا ومن السمن كذا ومن الملح
كذا ومن الحطب كذا اما يرمقوا به الحال في تلك الليلة فبينما هو كذلك
إذ حانت منه التفاتة في قاع الحانوت فراي فيه خرجه الذي هرب
به صاحبه فلم يملك نفسه ان وثب اليه والتزمه والقي يده في اطواق
صاحب الحانوت وجذبه الي نفسه وقال له يا عدو الله اين مالي فقال
له صاحب الحانوت مالك يا فلان فوالله ما علمتك متعديا ولا علمت
اني خنيت عليك ولا علي سواك فما هذا قال خرجي ولي به خادم خدمني
بجميع مالي وحماري قال مالي علم غير ان رجلا ورد علي بعد العشا
فاشتري مني عشاه ومضي الي المسجد واستضافني فاضفته وجعلت
الخرج في حانوتي والحمار في دار جارنا والرجل في المسجد بايت فقال
له احمل معي الخرج وانهض معي الي الرجل فرفع الخرج معه والقاه
علي عاتقه ومشي معه الي المسجد وإذا الرجل نايم في المسجد فرفصه
فقام مذعورا فقال له مالك فقال اين مالي يا خاين فقال هذا هو
علي عنقك والله ما تغادر منه ذرة فقال له واين الحمار والتّه
فقال هو عند الجاي معك فنهض الي داره فوجد متاعه سليما واخرج
الحمار من الموضع الذي كان فيه ووسع علي اهله في النفقة فاخبرهم

ولما وفي
بقصته فزاد اهله فرحا وتبركوا بذلك المولود
موسي عليه السلام لصهره شعيب عليه السلام الاجل الذي اجله لرعي
الغنم غنم شعيب التي رعاها عوضا من مهر ابنته اخذ موسي عليه
السلام زوجته وكر راجعا من مدين فلما واني الواد المقدس عند
جانب الطور اجنهم الليل بظلمته فامسيا باتين فبينما هما كذلك إذ
ضرب زوجته الطلق وكانت حاملا وليس معها ما تحتاج اليه النفسا
من الغدا والدوا وما يصلح به شانهم فبقوا في ضيق من الحال وقلة
من الحيلة فخرج موسي عليه السلام يلتفت يمينا وشمالا عسي فرج لما قد امسوا
فيه من الضرر إذ راي نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي
اتيكم منها بقبس او اجد وة من النار فلما اتاها اضيق ما يكون ذرعا
واحرجه قلبا وانسه من دقيق نودي من شاطي الواد الايمن يا موسي
اني انا ربك وهذه لطايف الحي سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله
وتكلم بالهدي والبشري بفسح الله امله ويعطيه فوق ما امله هذا موسي
عليه السلام خرج يقتبس نارا فنودي بالنبوة وعن هذا قال العلما ليس في
خصال الخير وان جلت ولا في اعمال البر وان عظمت اعلا من حسن
الظن بالله تعالي **ونظمه** بعض الشعرا فقال
أيها العبد كن لما شئت ترجوا من نجاح ارجي لما كنت راج

إنّ موسى مضى ليقبس نارًا من ضياءٍ رآه والليل داج
فأتى أهله وقد كلّم الله وناجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتدّ بالعبد دنت راحة الانفراج

ولما نزلت سفن العدو بساحل افريقية في عدد كثير نفد ماؤهم وعطشوا وهمّوا بالهلاك فنفر المسلمون إليهم في خلق كثير في تلك السواحل والحصون يمنعوهم النزول والاستقا وراسلوا المسلمين أن يخلوا لهم الما فأبوا فتضاعف عطشهم فأيقنوا بالهلاك ففتحوا أناجيلهم واخذوا في الدعاء والاستسقاء والتضرع إلى الله تعالى فلم يكن إلا هنيّة دون أن نشأت السحاب وأرخت السماء ماءً كثيرًا فبسط القوم أوعيتهم وجفانهم وشربوا وملوا فضجّ المسلمون عند ذلك وقال هؤلاء أعداء الله ورسوله قد اخلصوا إلى ربهم وأنابوا إليه وسألوه ما يحيوا به رمقهم فأجابهم فنحن أحق بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى وأولى بالإجابة منهم ثم أخذ المسلمون في الدعا والصلاة والابتهال إلى الله تعالى أن يريهم آية تقوى بها قلوب الضعفا ويتزايد شكر أهل المعرفة والأوليا فبينما هم كذلك إذ أرسل الله تعالى عليهم ريحًا فبددتهم ومزّقتهم كل ممزّق وكسرت مراكبهم ولم يجتمع منهم اثنان **ومن عجايب** صنع الله تعالى في هذا الباب أن رجلا

من ديار بكر حاجًا إلى بيت المقدس وزار قبر الخليل عليه السلام وأكل من ضيافته فطارت حبّة عدس من ذلك الطعام في خيشومه ورام خروجها بكل حيلة فأعجزته حتى تركته مصلتم رجع إلى بلاده فبينما هو جالس إذ عطس فطارت العدسة في الأرض وإذا طاير فالتقطها لوقتها فسبحان من جعل أنف هذا الرجل حرزًا لقوت هذا الطاير على بعد المشقة وطول المسافة وأما أنا فلما هممت بالرحيل من بلدي إلى المشرق في طلب العلم لا أعرف التجارة ولا لي حرفة أرجع إليها فجزعت من الخروج وقلت إن ذهبت نفقتي ماذا أفعل وكان أقوى الآمال في نفسي أن أحفظ البساتين بالأجرة وأقرا العلم بالليل ثم استخرت الله تعالى فرحلت وكانت معي نفقة وافرة في هميان على وسطي وكنت أسمع المسافرين يقولون من نام بالليل في الفيافي وله نفقة على وسطه فليحلها فإن اللصوص إذا كاثرت الخلق يبتدروا أوساطهم فخرجت من بلاد السويدية إلى انطاكية وهي إذ ذاك بالروم فسرينا ليلتنا فأصبحنا على باب انطاكية فأخذتني عيني فحللت الهميان فجعلته تحتي ونمت إلى ضحوة نهار ولم استيقظ ومددت يدي إلى الهميان فلم أجده فجعلت أنظر إلى القافلة فالتفت إلى وجوه الناس وقد اسقط في يدي ولم يبق لي حيلة فاسترجعت ودفعت أمري إلى الله تعالى وإذا رجل

من أهل القافلة ملتفتًا إليّ فوقع وجهي في وجهه فإذا هو يضحك لما رأى
ما بي فقال ما لك أيها الفقيه قلت خيرًا فراجعني قلت خيرًا فقام إليّ
وقال خذ هميانك عافاك الله تعالى فسألته كيف ظفرت به فقال
رأيتك قد تزحزحت ذراعين أو ثلاثة والتفتّ فرأيت سوادًا في الموضع
الذي كنت فيه فسرت إليه فأخذته فإذا هو همياني رحمة الله عليه

الباب الستون في الشجاعة

وهي الخصلة التي هي أم الخصايل وينبوع الفضايل ومن فقدها لم تكمل
فيه خصلة ويعبّر عنها بالصبر وبقوة النفس قالت الحكما وأصل الخيرات
كلها في ثبات القلب ومنها تستمد جميع الفضايل وهو الثبوت والقوة
على ما يوجبه العدل والعلم والجبن غريزة تجمعها سو الظن بالله تعالى والشجاعة
حال مبسوطة بين الخير والتبور سُيل الأحنف عن الشجاعة فقال
الصبر على حرّ السيوف فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين **واعلم**
أن القادم للقتال طريدة من طرايد الموت واستقبال الموت خير
من استدباره وقد قال بعض الحكما ربّ حياة سببها التعريض
للوفاة ووفاة سببها التعريض للحياة ومن حرص على الموت في الجهاد
وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شفرة من شفار الموت والفار يمكّن
من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقال ثمرة الشجاعة الأمن من العدو

واعلم أن من قتل في الحرب مدبرًا أكثر ممن قتل مقبلًا وقالوا تأخير الأجل
حصن المحارب وقيل لبعضهم في أي جُنّة تحب أن تلقى عدوك قال في أجل
متأخر وقيل لآخر في أي سلاح تشتهي أن تلقى عدوك قال بإقبال مدّتي
وانقضا مدّته واعلم أن الشجاعة لمن كانت له الدولة فإذا انقضت
المدة لم تغن كثرة العدة **وقال** علي ابن أبي طالب رضي الله
عنه إذا انقضت المدة كانت الهلكة في الحياة واعلم أن كل كريهة
تدفع أو مكروه يكتسب لا يحقق إلا بالشجاعة ألا ترى أنك إذا هممت
أن تمنح شيًا من مالك خار طبعك ووهن قلبك وعجزت نفسك فسمحت به
وإذا حققت عزمك وقويت نفسك وقهرت ذلك العجز أخرجت المال
المصون به على قدر قوة القلب وضعفه تكون طبيعة النفس بإخراجه
أو كراهية لإخراجه مع إخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضايل منهما
لم يقاربها قوة النفس لم تحقق وكانت مخروجة **وروي** أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشجاعة والجبن غرايز يضعها الله تعالى فيمن يشا من
عباده والجبان يفر عن أبيه وأمه والشجاع يقاتل عمن لا يؤوب به إلى
رحله فقوة القلب بصان امتثال الأوامر والانتهاء عن الزواجر وبقوة
القلب يصاير اكتساب الفضايل وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى
والتضمخ بالرذايل **قال الشاعر**

جمع الشجاعة والخضوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب
ونقوة القلب تصبر المجالس على اذا الجليس وجفا الصاحب
ونقوة القلب تكتم الاسرار وتدفع العدو ونقوة القلب تقتحم الامور
الصعاب ونقوة القلب يتحمل اثقال المكاره ونقوة القلب يصبر
على اخلاق الرجال سفد كل عزيمة ورذية اوجبها الحزم والعدل
والعقل ونقوة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبها
مسخونة بالضغاين والاحقاد كما قال ابو ذر انا لنكشر في وجوه
اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه انا لنصافح أكفا نرى قطعها وليس الصبر والشجاعة وقوة
النفس أن يكون مصرا في المجال لجوجا في الباطل ولا ان يكون جلدا
عند الضرب صبورا على التعب مصمما على التعزير والتهوين فان هذه
صفة الحمير والخنازير ولكن ان يكون صبورا على اداء الحقوق عليه
وصبورا على سماعها غالبا لهواك مالكا لشهواتك ملتزما للفضائل
بجهدك عاملا في ذلك على الحقيقة الذي لا يحيلك حياة ولا موت
حتى تكون مؤيدا على الخير الذي أشار به العلم والعقل وأوجبه العدل
خير من البقاء على ما اوجب رفض العلم والعدل كما قال علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه للحسن عليه السلام يا بني ما يبالي ابوك لو ان الخلق كلهم

خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير كله بعد الموت الا للمحق وعن هذا
قالت الحكما إذا لم يكن للملك من نفسه معين كان في جميع امره ضعيفا
مخذولا واعلم أن الجبن مقتله والحرص محرمه والعجز ذل والجبن
ضعف والجبان يعين على نفسه يفر عن امه وأبيه وصاحبه وبنيه
والشجاع يحمي عمن لا يناسبه ويحمي مال الجار والرفيق بمهجته والجبان
يخاف ما لا يجتنب به والجبان حتفه من فوقه وقالوا الشجاعة عند اللقاء
على ثلاثة اوجه رجل اذا التقى الجمعان وتقارب الزحفان واكتحلت
الاحداق بالاحداق يفر من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي
هل من مبارز والثاني إذا اختلط القوم وصاروا جملة ولم يدر واحد
من اين ياتيه الموت يكون رابط الجاش ساكن القلب حاضر اللب
لا يخامره الدهش ولا تخالطه الحيرة فينقلب بقلب القايم على نفسه المالك
لامره والثالث إذا انهزم اصحابه يلزم الساقة ويضرب وجوه العدو
ويحول بينهم وبين اصحابه ويقوي الضعيف ويشد قلوبهم بالكلام
القوي ويشجع نفوسهم فمن وقع اقامه ومن وقف حمله ومن سقط
عن فرسه كشف عنه حتى يبين العدو منه وهذا احمدهم شجاعة
• وعن هذا قالوا المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين
ومن اكرم الكرم الدفاع عن الحريم وقال لكل واحد منهما

يوما ن لا بدّ منهما احدهما لا بُخل عليه والثاني لا يقصّر عنه فما الجبان
والفرار وكان شيوخ الجند يحكون في بلادنا قالوا إذا دارت
الحرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجد في المعترك قطعة من
بيضة الحديد قد رثلثها ضربه بما حوته من الراس فيقال له لم يُرَ قط
اقوي منها وكان شيوخ الجند في بلدي طرطوشة يحكون انهم
خرجوا في ايام سيف الملة في سرية الي بلاد العدو فبينما هم يسيرون
إذ لقيتهم سرية الروم يريدون ما يريد الاخرون وعرف بعضهم
بعضا وفي الروم صناديد الروم وفي المسلمين صناديد المسلمين قال
فتواقعنا ساعة ثم شددنا فالتقينا فتجاولنا ساعة ثم منحنا الله تعالى
النصر فجعلناهم حصيدا كانهم جزر علي الاوضام وكان هناك بقربهم
قربة فيها شي من الخمر فشربنا وسكرنا ثم اشتهينا شرايح اللحم
فاقمنا نقطع من لحومهم ونجعل في النار فاكلنا ففرغ من كان
اسرناه منهم وبلغ الحديث الي بلاد النصرانية تعجبا منا وقذفت
في قلوبهم الرعب **وروي** ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
لقي عمرو بن معدي كرب فقال يا عمرو اي السلاح افضل في الحرب
قال عن ايها تسل قال ما تقول في السهام قال منايا تخطي وتصيب
قال ما تقول في الرمح قال حول حانك قال فما تقول في الترس قال

هو الداير وعليه تدور الدواير قال فما تقول في السيف قال ذاك
لا أم لك وكان عمر رضي الله عنه من شجعان العرب وابطالها نزل
يوم القادسية علي النهر فقال لاصحابه اني عابر علي الجيش فان سرعتم
مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي يقابل به تلقا وجهي
وقد عقرني القوم وانا قايم بينهم وان ابطاتم وجدتموني قتيلا بينهم
ثم حمل علي القوم فانغمس فيهم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون
صاحبكم والله اني لا ادري أن تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد
صرع عن فرسه وقد اخذ برجل فرس من العجم وان الفارس يضربه
فما يقدر الفارس ان يتحرك فلما غشيناه رمي الرجل بنفسه وخلي فرسه
فركبه عمرو وقال اتروني كذبتم والله لن تفقدوني قالوا اين فرسك
قال رمي بسهم فشب فصرعني وعاد **ويروي** أن عمر حمل يوم
القادسية علي رستم وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس
يوم القادسية علي قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستما علي فيل فجذم
عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه اربعون
الف دينار فقتل رستم فانهزمت العجم ويروي ان قاتل رستم رسيم
بن فلان واما الضربة التي جازت ثلث البيضة بما حوته من الراس
فلم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام فحملوها الروم فعلقوها

في كنيسة لهم وكانوا إذا عيّروا بانهم امتهم يقولون لقينا رجالا لا
هذا اضربهم فترجل لها ابطال الروم اليها ليرونها وانما كانت العرب
تفخر في هذا الباب بقول النمر بن تولب نصف ضربة سيف

ابقي الحوادث والايام من يمن ... استاد سيف قديم اثره باد
يظل يحفر عنه ان ظفرت به ... فقد الذراعين والقيدين والهاد

ويُنشدون قول النابغة في السيف

يقد السلوقي المضاعف نسجه ... ويوقدون بالصفاح نار الحباحب

فاين هذا من قد الحديد بما حواه من الراس واين الثريا من الثرى
واين الحسام من المنجل ولولا كراهية التطويل لذكرنا من امثال
هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت والسيف لعاب المنية
والرمح رشا للمنية والسهام رسل لا يرام من ارسلها والرمح اخوك
وربما خانك والدرع مشغلة للراجل متعبة للفارس وانها
لحصن حصين والترس مجن وعليه تدور الدوائر

الباب الحادي والستين

في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها واحكامها ومن حزم الملك ان لا
يحتقر عدوه فان كان جليلا فلا يغفل عنه وان كان حقيرا
فكم من برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك وان ... كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب ... وتعجز عما تنال الابر

وفي الامثال لا تحقرن الدليل فربما شرق بالذباب العزيز ومثل
العدو مثل النار ان تداركت اولها سهل اطفاؤها وان استحكم
احراقها صعب مرامها وتضاعف بليتها ومثالها ايضا مثل القرح
الخبيث ان تداركته سهل برؤه وان اغفلته حتى تغل عظمت
نكيته واعيا الاطبا برؤه واعلم ان الناس قد وضعوا
في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا قد لا يسع سائر الاقاليم
اذ لكل امة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضرب
من المكيدة وجنس من اللقا والمكر والكبر والغر وتعبية
المواكب وحمل بعضهم على بعض ولكن نصف منه اشيا تجري
مجري المعاقد لا تكاد تختلف في انها ائمة الحروب ونبدا اولا
بما ذكر الله عز وجل في كتابه قال الله عز وجل واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على ما في مقدور البشر من العدة
والالة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة فمر على اناس
يرمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة

الرأي وكان بعض الصحابة إذا اراد الغزو لا يقص أظفاره ويتركهم
عدة ويراهم قوة فاول ذلك ان تقدم بين يدي اللقا عملا صالحا
من صدقة وصيام ورد مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف
ونهيه عن منكر وأمثال ذلك فقد كان عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه يامر بذلك ويقول انما تقاتلون بأعمالكم **ويروى**
أن يزيد اورد عليه بالفتح للمسلمين فقال له عمر اي وقت لقيتم العدو
قال غدوة قال ومتى انهزم قال عند الزوال فقال عمر انا لله وانا
اليه راجعون وقام الشرك الايمان من بكرة الى الزوال لقد احدثتم
بعدي حدثا او احدثت بعدي حدثا والشان كل الشان في
استجادة القواد وانتخاب الامرا وأصحاب الالوية فقد قالت حكما
العجم أسد يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد فلا ينبغي
أن يقدم على الجيش الا الرجل ذا البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة
ثبت الجنان صارم القلب جرية رابط الجاش صادق الباس قد توسط
الحروب ومارس الرجال ومارسوه وقارع الابطال وقارعوه عارف
بمواضع القلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب
سجنه بالحماة والابطال بصنوف العدو ومواقع الغرة منه ومواضع
الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدرا لكل عن رأيه كان جميعهم

كانهم

كانهم مثله فان رأى لقراع الكتايب وجها والا رد الغنم الى
الزريبة **واعلم** أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء
وأخر ما يجب ركوبه قدع الكتايب وحمل الجيوش بعضها على بعض
فليبتد بتعريف الحيلة في نيل الظفر قال نصر بن سيار كتب أمير
خراسان من قتل مروان الجعدي أخر بني أمية قال كان عظيم
الترك يقولون ينبغي للقايد العظيم القياد أن يكون فيه عشرة اخلاق
من اخلاق البهايم شجاعة الديك وتحنن الدجاجة وقلب الاسد
وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراحة وحراسة
الكركي وغارة الذيب وسمن بغرو هي دويبة تكون بخراسان
تسمن على التعب والشقا وكان يقال اشد خلق الله تعالى عشرة
فاشد خلق الله الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تاكل الحديد
والما يطفي النار والسحاب يحمل الما والريح يصرف السحاب والانسان
يتقي الريح لحاجته والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر
والهم يمنع النوم فاشد خلق ربك الهم فاول ذلك ان تبث
جواسيسه في عسكر عدوه يستعلم اخباره مع الساعات ويستعلم
رؤساهم ومفسديهم وقوادهم وذي الشجاعة منهم وتدبيراتهم
ويعد لهم عدا جميلا ويوجههم اليهم بضروب الخدعة ويقوي

اطماعهم في أن يأتوا لو أما عندهم من الولايات السنية والهبات الفخمة
فان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وأتحف وسامهم أما العذر بصاحبهم
وأما اعتزاله وقت اللقا ويفشي على ألسنتهم كتبا مدلسة اليها
ويثبتها في عسكرهم ويكتب على السهام اخبارا مزورة ويرمي بها في
جيوشهم ويضرب بينهم في الميسور من ذلك فان جميع ما ذكرناه تنفق
فيه الأموال والحيل واللقا تنفق فيه الأرواح والرؤوس ووجوه الخدع
فيه لا تحصى والحاضر فيها ابصر من الغايب ولله در المهلب لما كتب
إليه الحجاج يعجله في حرب الأزارقة رد الجواب فقال ان البلا أن
يكون الراي عند من يملكه لا عند من يبصره وقال
المختار ليزيد ابن انس حين ولاه الجزيرة وامره بقتال عبيد الله ابن زياد
الق عدوك براي غير مستبد وبحزم غير متكل ولا تركن الى الدولة
فربما انقلبت واستشر من لا يطمع في عملك ولا تستر تقلبك واستخر الله
تعالى قبل اقدامك توفق واوصت ام الذيال العبسية ابنها القتال
وهو من اشد العرب فقالت يا بني لا تنسب في حرب ان وثقت
لشهوتك حتى تعلم وجه المهرب منها فان اليقين اقوى شي ان
وجدت سبيل الحيلة واضعف شي إذا يئست من الحيلة واحمد الشدة
إذا كانت الحيلة مدبرة لها إذا لم يكن النصر من الله تعالى فابدلها

واختلس

واختلس من تحارب خلسة الذيب وطر منه طيران الغراب فان الحذر
زمام الشجاعة والتهور عدو الشدة وقال ابو السرايا
وكان احد القواد لابنه يا بني كن بحيلتك أوثق منك بشدتك
وبحذرك أوثق منك بشدتك وبشجاعتك فان الحرب حرب المتهور
وغنيمة الحذر واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها أوبالا
عليها وإذا اراد الله تعالى في حلول البلا كانت الآفة في الحيلة
وقالت الحكما إذا نزل القضا كان العطب في الحيلة وإذا انقضت
مدة الدول أدبرت سنة الغفلة من سنة الحذر ويغلب الضعيف
باقبال دولته كما يغلب القوي بفنا مدته وقالوا سعود الدول
ونحوسها مقرونة بسعود الملك ونحوسه وقالوا اثني على كل امرئ
دولته فإذا انقضت بدت عورته وقال بعض
الحكما إذا زالت دولة ذلت امة وإذا اتت دولة نسخت امة
وقالوا رب حيلة اهلكت المحتال ومن الحزم المالوف عند سواس
الحروب ان يكون حماة الرجال وكماة الأبطال في القلب فان
مهما انكسر الجناحان فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت راياته
تخفق وطبوله تضرب كانت حصنا للجناحين يأويان اليهما كل
منهزم وإذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك الطا بر

إذا انكسر احدى جناحيه يرجى عودته ولو بعد حين وإذا انكسر
الراس ذهب الجناحان ولا يحمى انكسار جناحي العسكر وثبات القلب
ثم ترجع الفارّون الى القلب ويكون الظفر لهم وقلّ عسكر انكسر
قلبه فافلح او تراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش
فيجعل القلب قصدا او تعمّدا ولا يغادر به كبير امر حتى إذا توسّطه العدو
واستعجل بنهبه اطبقت عليه الجناحان **ومن اعظم** المكايد
في الحروب الكمنا ولا يحصي كثرة كم عسكر انسحت بيضته
فلت عزته الكمنا وذلك أن الفارس لا يزال على حمية في الدفاع
وحما الديار حتى يلتفت فيرى وراه بدرا منشورا او يسمع صوت الطبول
فحينئذ همته خلاص نفسه ولتكن همتك ورا ذلك وعليه مدار الحروب
في اصطناع الشجعان واختبار الابطال فاصطنع ذوي البسالة والاقدام
والجراة ولا عليك الا يكثروا وبعيد عليك أن يكثروا ولا تنس قول
الشاعر والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف ان امر عنا
كلّ قد جرّب ذلك فوجد الواحد خير من العشرة الاف وساحكي
لك من ذلك ما يقضي فيه العجب فهم في الجيش وان قلوا كالانفحة
في اللبن فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية ابن ردميل
النصراني على مدينة وشقة في ثغور المسلمين وبلاد الاندلس وكان

العسكران

العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما مراهق عشرين الف مقاتل
من خيل ورجل فحدثني رجل ممن حضر الوقعة من الاجناد قال لما
دنا اللقا قال الطاغية ابن ردميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب
لرجاله استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين تعرفهم كما
يعرفوننا فمن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان
وفلان حتى عدّ سبعة رجال فقال انظروا الآن في عسكري من الرجال
المعروفون بالشجاعة ومن كان منهم فعدوهم فجاوا ثمانية رجال لا
يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا بياضك من يوم
ثم ناشبت الحرب بين الفريقين ولم يول احد دبره ولا تزحزح من
مقامه حتى فني اكثر العسكرين ولم يبق واحد منهم فلما كان وقت
العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا فداخلونا مداخلة ففرقوا
بيننا وبين اصحابنا وصادوا بيننا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا
ولم يقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة منهم فاشاروا مقدم العسكر
على السلطان أن ينجوا بنفسه فكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم
وملك العدو مدينة يقال لها وشقة فليعتبر ذوو العزم والبصيرة
من جمع يحتوي على اربعين الف مقاتل ولا يحضر من الشجعان المعدودين
الا خمسة عشر رجلا فليعتبر بضمان الفلاح بالظفر والغنيمة لما ناد

في ابطاله رجل واحد وسمعت أستاذنا القاضي ابا الوليد الباجي رحمه الله
يحكي قال بينما المنصور في بعض غزواته إذ وقف على نشز من الأرض
مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه ويساره
قد ملأوا السهل والجبل فالتفت إلى مقدم العسكر وهو رجل يعرف
بابن المصحفي وقال كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير فقال ابن
المصحفي ارى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يعجزنا
أن يكون في هذا الجيش الف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت
ابن المصحفي فقال المنصور ما سكوتك ليس في هذا الجيش الف مقاتل
من أهل الشجاعة قال لا فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال أفيهم
خمس مائة رجل من الأبطال المعروفين قال لا قال فحنق المنصور
وانعطف عليه وقال أفيهم مائة رجل من الأبطال المعدودين قال
لا قال أفيهم خمسون رجلا من الأبطال قال لا فسبّه المنصور واستخف
به وأمر به فأخرج على اقبح صفة فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت
الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكا في
سلاحه يكر ويفر وينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين
فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب لها
المسلمون ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادي هل من مبارز

فبرز

فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج فصاح المشركون
سرورا وذل المسلمون وكادت أن تكون عليهم كسرة فقيل للمنصور
مالها غير ابن المصحفي فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ما ترى ما
يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم قال بعيني جميع ما جرى قال فما
الحيلة فيه قال وما الذي تريد قال أن تكفي المسلمين شره الآن
قال نعم ثم قصد إلى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من رجال الثغور
على فرس قد نشرت أوراكها هزالا وهو يحمل قربة ماء بين يديه على
الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصحفي ألا
ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فماذا ترى فيه قال
أريد رأسه الآن قال نعم فحمل القربة إلى رحله ولبس لامة حربه
وبرز اليه فتجاولا ساعة فلم ترى الناس إلا والمسلم خارجا إليهم
يركض ولا يدرون ما هنالك فإذا هو يحمل رأس العلج فألقاها
بين يدي المنصور فقال له ابن المصحفي عن هؤلاء الرجال أخبرتك
أنه ليس في عسكرك منهم ألف ولا خمس مائة ولا خمسون ولا
عشرون ولا عشرة فرد ابن المصحفي إلى منزلته وأكرمه وأعلم
أن أول الحرب شكوا وأوسطها نجرا وآخرها نارا والحرب
شعثا عابسة يسرها كالحة جزور في حياض الموت شموس في

الوطيس تعدّ ابا لنفوس الحرب أولها الكلام وآخرها الحمام الحرب
مرّة المذاقة إذا قامت على ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها
تلف جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجناحها
الطاعة ولسانها المكيدة وقايدها الرفق وسايقها النصر وقال
النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال الحروب غشوم سميت
بذلك لانها تتخطى إلى غير الجاني كما وقال الشاعر
لم اكن من جناتها علم الله واني لحرّها اليوم صالِ وقال آخر
رأيت الحرب تجنيها اناس وتصلى حرها قوم براء
وقال آخر الحرب اول ما تكون فتية يسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اضطربت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطا ينكر لونها ويتغير في مكروهه للشم والتقبيل
وقال بعض الحكماء قد جمع الله تعالى لنا ادب الحرب
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا إذا لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين واستوصى
قوم أكثم ابن صيفي في حرب ارادوها فقال أقلوا الخلاف
على امرايكم واعلموا أن كثرة الصياح فشل ولا جماعة لمن اختلف
ونثبـ

وتثبتوا فان أحزم الفريقين الركين وقال عتبة ابن ربيعة
يوم بدر لاصحابه ألا ترون اصحاب محمد جثيا على الركب كأنهم
خرس يتلمظون تلمظ الحيات ورا بتغير واحد ممن ألف الحروب
يكره رفع الصوت بالتكبير ويقولون بذكر الله تعالى في أنفسهم
واعلم أرشدك الله ان الله تعالى أوضح لنا في كتابه علة
النصر وعلة الهزايم والفرار فقال يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت اقدامكم يعني ان تنصروا دين الله ورسوله واما الفرار
فعلته المعاصي قال الله تعالى إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا أي بشوم ذنوبهم وترك المركز
الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه رتب عليه السلام
الرماة يوم أحد على ثلمة الجبل ليمنعوا قريشا أن يخرجوا عليهم كمينا
من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون والكفار فانهزم الكفار
فقالوا الرماة ألا تقوموا للغنايم فاقبلوا على الغنايم وتركوا المركز
الأول فخرجت خيل المشركين من هناك واقبلوا على المسلمين فكانت
مقتلة احد وليخف قايد الجيوش العلامة التي هو مشهور بها فان
عدوه قد استعلم حليته والوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا
ونهارا ويبدل زيه ويغير خيمته ويعمي مكانه كيلا يلتمس عدوه غرته

واذا اسلبته الحرب فلا يمشي في النفر القليل خارج عسكره فان عيون عدوه قد ارتكبت عليه وعلى هذا اكسر المسلمون جيوش فريقية عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت في وسط النهار فخرج مقدم العدو خارج العسكر يتميز عساكر المسلمين فجا الخبر الي عبد الله ابن الشرح وهو نايم في فتية فخرج فيمن وثق به من رجاله فحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح **ولما** عبر طارق مولى موسى بن نصير الي بلاد الاندلس ليفتحها وموسى اذ ذاك بافريقية خرجوا في الجزيرة الخضرا وتحصنوا بالجبل العظيم الذي يسمى جبل طارق اليوم وهو في الف وسبع مايه رجل فطمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة ايام وكان على الروم تدمير استخلفه لذريق ملك الروم وكان قد كتب الي الذريق بان قوما لا يدري اهم من الارض ام من اهل السما وقد لقيتهم فانهض الي بنفسك فاتاه لذريق وسبعين الف عنان ولقيهم طارق على جبله مغيث الرومي مولى الوليد عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة ايام اشد قتال فراى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام حظهم على الصبر ورغبهم في الشهادة وبسط في اما لهم ثم قال لهم اين الفرار البحر من ورايكم والعدو امامكم فليس لكم الا الصبر منكم والنصر من ربكم وانا فاعل شيا فافعلوا كفعلي والله لاقصدن

طاغيته فاما ان اقتله واما ان اقتل دونه فاستوثق طارق من جلة وعرف حلية لذريق وعلامته وخيمته فحمل مع اصحابه حملة رجل واحد فقتل الله تعالى لذريق بعد قتل ذريع في اصحابه وحمى الله تعالى المسلمون فلم يقتل منهم كبير شي وانهزمت الروم واقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام وهذا ما ياتي على الملوك من لزومهم مكانا واحدا واخذ طارق راس لذريق فبعث بها الي موسى وبعث بها موسى الي عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن همه الا المايدة التي يذكر اهل الكتاب انها مايدة سليمان بن داود عليهما السلام فدفع اليه ابن اخت لذريق المايدة والتاج فقومت المايدة بمايتي الف بما فيها من الجواهر التي لم ير مثلها وبهذه الحيلة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم وقبضه واسر رجاله واباد جمعهم وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل ان يجمع بعدهم مثلها وكان يبلغ عددهم ستمايه الف مقاتل كتايب متواصلة وعساكر متزاحمة وكراديس يتلوا بعضها بعضا كالجبال الشوامخ ولا يدركهم الطرف وقد اعدوا من السلاح والكراع والالات لفتح الحصون ما يعجز الوصف عنها وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة دارت لهم وان نجوم السعود قد خدمتهم

ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم اليهم واضطرب لها ممالك الاسلام
واحتشدوا للقائها البارسلان التركي وهو الذي يسمى الملك العادل
وجمع جموعه باصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج بهم فلم يزل
العسكران يتدانيان الى أن عادت طلايع المسلمين وقالوا للبارسلان
غدا يترائى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والقوم في عدد لا يحصيهم
إلا الله وما هم في المسلمين إلا أكلة جايع فبقي المسلمون واجمون لما
دهاهم فلما أصبحوا نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمون ما رأوا من كثرة
العدو وقلتهم فامر البارسلان المسلمين ان يعتدوا فبلغوا اثنا عشر
الف من الترك فاذا هم منهم كالرقمة في ذراع الحمار فجمع ذوي الراي
من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب كلها
فاستشارهم في استصلاح صواب الراي فتشاوروا برهة ثم أجمع
رايهم على اللقا فتوادع القوم وتحالفوا وناصحوا الاسلام وأهله ثم
تأهبوا أهبة اللقا وقالوا للبارسلان بسم الله نحمل فقال لهم يا معشر المسلمين
تمهلوا فهذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون ويدعون لنا في مشارق الأرض
ومغاربها فاذا زالت الشمس وفات الافيا وعلمنا أن المسلمين قد صلوا
فاذا صلينا أعلمنا امرنا فصبروا الى ان زالت الشمس وصلوا ودعوا
بعضهم بعضا ودعوا الله تعالى أن ينصر دينه وان يربط على قلوبهم

بالصبر

بالصبر وأن يوهن عدوهم ويلقي في قلوبهم الرعب وكان البارسلان
قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال
لرجاله لا يتخلف احد منكم أن يفعل كفعلي ويضرب بسيفه ويرمي
بقوسه حيث اضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل وحملوا حملة رجل
واحد الى خيمة الملك فقتلوا من كان دونها وخاضوا اليه وقتلوا
من كان حوله وأسروا ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم
قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم انه قد قتل فتبددوا وتمزقوا
كل ممزق وعمل السيف فيهم اياما واخذ المسلمون أموالهم وغنايمهم
واستحضر ملك الروم بحبل في عنقه فقال له البارسلان ماذا كنت
تصنع بي لو اخذتني قال وهل تشك في اني كنت أقتلك قال له
البارسلان وانت اقل في عيني من أن اقتلك أذهبوا به فبيعوه فيمن يزيد
فكان يقاد بالحبل في عنقه وينادى عليه من يشتري ملك الروم
فمازالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل الملوك وينادى عليه
بالدراهم والفلوس حتى باعوه من انسان بكلب واخذ الذي تولى ذلك
من أمره الكلب والملك وحملهما الى البارسلان قال قد طفت به
جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل لي احد فيه شيئا إلا رجل واحد
دفع لي فيه كلبا فقال البارسلان قد انصفك لان الكلب خير منه

فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم انه بعد ذلك امر باطلاقه
فذهب الى قسطنطينيه فعزلته الروم وكحلته بالنار انظروا ماذا يتأتى
على الملوك اذا اغرقوا من الحيلة والمكيدة **واعلم** ان القدما
قالوا للكثرة الرعب وللقلة النصر ثم اعلموا ان الله جل وعز قال ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما
رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة ابدا يصحبها الاعجاب ومع الاعجاب
الهلاك وخير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربع مائة وخير الجيوش اربعة الاف
ان يغلب جيشا يغلب اثنا عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم فاما صفة
اللقا وهي احسن ترتيب رأيناه في بلادنا وهو ارجى تدبير تفعله في لقا
عدونا أن يتقلد الرجال بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزارق
المسنونة المقومة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم
خلف ظهورهم في الارض وصدورها شارعة الى عدوهم وهم جاثمون في
الارض وكل رجل منهم قد القم الارض ركبته اليسرى وترسه قايم
بين يديه وخلفهم الرماة المختارون الذين تمرق سهامهم من الدروع
والخيل خلف الرماة فاذا حملت الروم على المسلمين لم تتزحزح الرجال
عن هيئتها ولا قام رجل على قدميه فاذا قرب العدو رشقوهم الرماة
بالنشاب والرجالة بالمزارق وصدور الرماح تلقاهم فاخذوا يمنة

ويسرة فتخرج خيل المسلمين فتنال منهم ما شا الله **ولقد** حدثني
من حضر مثل هذه الوقعة في بلدي طرطوشة قال صافنا الروم
على هذه الصفة والترتيب فحملوا فينا رجل منا كان في اخر الصف
فقام على قدميه فحمل عليه علج من الروم فاصاب غرته فقتله ولما
برز المقتدر بالله بن هود ملك الاندلس من سرقسطة في ثغور بلاد
الاندلس للقاء الطاغية بزرودميل عظيم الروم وكان كل واحد منهما
قد احتشد بما في ميسوره من ذلك فالتقا المسلمون والكفار ثم تنازلوا
للقتال وتصافوا ودام ذلك بينهم صدرا كثيرا من النهار وكان
المسلمون في خسارة فافزع المقتدر ذلك وفرق من شوم ذلك اليوم
فدعا رجلا من المسلمين لم يكن في الثغور اعرف منه بالحروب يسمي
سعداده فقال له المقتدر كيف ترى هذا اليوم قال سعداده هذا
يوم اسود ولكن قد بقيت لي حيلة فذهب وكان زيه زي الروم
وكلامه كلامهم لمجاورتهم وكثرة مخالطتهم فانغمس في عسكر الكفار
ثم قصد الى الطاغية رودميل فالفاه شاكا في سلاحه مكفنا بالحديد
لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتحيله ويرصد غرته الى ان امكنته
الفرصة فحمل عليه فطعنه في عينه فخر صريعا لليدين والفم وجعل
ينادي بلسان الروم قتل السلطان يا معشر الروم وشاع قتله في العسكر

فتحا دلوا وولوا منهزمين وكان الفتح باذن الله تعالى **ولما**
استضعفت الروم صقلية ضرب عليهم الخراج فكانوا يحملون اليه الخراج
ويحملون الاموال الى العرب بافريقية يستنجدون بهم على الروم فقال لهم
ملك الروم مثلي ومثلكم كمثل رجل كهل وله زوجتان عجوز وصبية
فاذا بات عند الصبية تلقط الشيب من لحيته لتصبيه واذا بات عند العجوز
تلقط السواد من لحيته لبهجته عند الصبية فيوشك ان دام به هذا انه
يبقى اطلس كذلك حالكم معي ومع العرب واذا اديتم المال لي وللعرب
يوشك ان تنفد اموالكم فتبقوا فقرا ضعفا فاتملككم **وروي**
انه لما دام اخذ صقلية امر ان يبسط بساطا في الارض ثم جعل في وسطه
دينارا ثم قال لوجوه رجاله من اخذ منكم الدينار ولم يطا البساط علمت
انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل احد اليه فلما اعياهم ذلك طوى
ناحية البساط من عنده وامر كل واحد ان يطوي مما يليه حتى طوى
البساط فمدوا ايديهم فاخذوا الدينار فحينئذ قال لهم اذا اردتم مدينة
صقلية فخذوا ما حولها من الحصون الصغار والضياع والقرى حتى
اذا ضعفت اخذتموها وكان بسرقسطة فارس يقال له ابن فتحون
وكان يناسبني من جهة والدي فهو خال والدي وكان اشجع
العرب والعجم وكان المستعين ابو المقتدر بالله يرى ذلك له ويعظمه

وكان

وكان يجري له في كل يوم عطيته خمس مائة دينار وكانت النصرانية باسرها
عرفت مكانه وهابت لقاه فيحكى ان الرومي كان اذا سقى فرسه
فلم تشرب يقول له اشرب لو ان ابن فتحون رأيت في الماء فحسده نظراؤه
على كثير العطا ومنزلته من السلطان واغروا به صدر المستعين فمنعه
من العطا ثم ان المستعين غزا غزوة في بلاد الروم فتواقف المسلمون
والمشركون صفوفا ثم برز علج وسط الميدان ينادي هل من مبارز
فخرج اليه فارس فتجاولا ساعة فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا
وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الرومي يكر بين الصفين ويقول هل
من مبارز الى ان قتل اثنان وصار ينادي ثلاثة بواحد فلم يتجسر
احد من المسلمين ان يخرج اليه وبقي الناس في حيرة فقيل للمستعين
ما لها الا ابو الوليد بن فتحون فدعاه واستلطفه وقال له اما ترى
ما يصنع هذا العلج فقال هو بعيني قال فما الحيلة فيه فقال ابو الوليد
فماذا تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال الساعة يكون ذلك ان
شا الله فلبس غلالة كتان واستوى على سرجه بلا سلاح واخذ
بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه
فعجب النصراني وحمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني
سرج ابن فتحون فتعلق ابن فتحون برقبة فرسه ونزل الارض لا شي منه

في السرج ثم استوي على سرجه وحمل عليه فضربه بالسوط على عنقه فالتوى
على عنقه واخذه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به نحو المستعين فالقاه
بين يديه فعلم المستعين انه اخطا في صنعه معه فاكرمه ورده الى احسن
احواله **أيها** الاجناد رحمكم الله قلوا الخلاف على الامراء فلا ظفر
مع الاختلاف ولا اجماعة لمن اختلف عليه قال الله عز وجل ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم اول الظفر الاجتماع واول الخذلان الافتراق
وعماد الجماعة السمع والطاعة وانما اوتي علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
يوم صفين وكان قد ظفر اهل العراق باهل الشام وتضعضعت صفوف
معوية واحس الشر وانه مغلوب فقال لعمرو بن العاص اذهب فخذ لنا
الامان من ابن عمك فاراد عمرو الحيلة وامرهم ان يرفعوا المصاحف في
اطراف الرماح وينادون ندعوكم الى كتاب الله تعالى فلما راى
ذلك اصحاب علي كفوا عن الحرب فقال لهم علي رضي الله عنه اي يا
قوم ان هذه لمكيدة منهم ولم يتوقى القوم فاعصوه
وتركوا القتال فكان ذلك بسبب الحكمين واعلموا ان من
احزم مكايدة الحروب اذكاء العيون واستطلاع الاخبار وافشا
الغلبة واظهار السرور واماتة الحذر والاحتراس من العدو وان
لا يخرج هاربا الى قتال ولا يضيق امانا على مستامن وقال

بعض

بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقا فشل غضوا الاصوات وتجلببوا
السكينة واكملوا اللوام واحموا الجبن ادرعوا الليل فانه اخفى للويل
الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع الليل المرد الاعظم الحازم ان يحذر
عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والمكمن ان انكشف
والاستطراد اذ ولى الجهل قوة الحرق لمن اغتر بقوته فقد وهن ليس
من القوة التورط في القوة ولكن اشد ما كنت حذرا ما كنت
عند نفسك اكثر قوة وعددا من استضعف عدوه اسعروا في
قلوبكم في الحروب الجراة فانها سبب للظفر واذكروا الضغاين
فانها تبعث على الاقدام والزموا الطاعة فانها حصن المحارب
اذا وقع القضا اولي السيف زال الحيارب مكيدة ابلغ من
نجدة رب كلمة هزمت عسكرا الصبر سبب النصر الظفر مع الصبر
اجعل قتال عدوك اخر حيلك النصر مع التدبير لا ظفر مع بغي
ولا تعتزوا بالاقرباء لفضل قوتكم على الضعفاء لا تجبنوا عند اللقا
ولا تميلوا عند القدرة لا تسرفوا عند الظهور ولا تغلوا
عند الغنايم ونزهوا الجهاد من عرض الدنيا

الباب الثاني والستين

في القضاء والقدر والتوكل والطلب اعلم وفقك الله ان

مذاهب أهل الحق في القضاء والقدر وخلق الأفعال وإرادة الكائنات
منتشرة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث فمن خالفنا
في القضاء والقدر وافقنا في العلم وقد تباين الخلق فيه وتشتت
مذاهبهم وتعاطوا فيه وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم
تضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق لأن لذلك
يستدعي مجلدات وأسفارا وإنما نذكر في هذا الباب أحكاما ظاهرة
قريبة من العقول ليقرب للفائدة على الناظر فيه إعلم أولا أن كل ما
يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وإيمان
وكفر وطاعة ومعصية وكذلك فلا يطير طائر بجناحيه ولا تدب
حيوان على رجليه ولا تسقط ورقة إلا بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته
ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك إلا وقد سبق علمه به ثم اعلم أن
القدر والطلب لا يتنافيان والكسب والتوكل لا يتضادان
وذلك أن تعلم أن كلما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة
كما أن ما علم الله تعالى أنه يكون فهو كائن ومن خالفنا في القضاء
والقدر وافقنا في العلم فرب أمر قدره الله تعالى وأراد وصوله
إليك بغير طلب فلا يصل إليك إلا بالطلب والطلب أيضا من القدر.
لا فرق بين القدر والمطلوب وبين الطلب في أنهما مقدوران فمن

هاهنا

هاهنا قلنا إنهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب
لأن التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضاد شيئان
في محلين بعد ما يتحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى فإن
تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسيره **قال**
أنس جاء رجل على ناقة فقال يا رسول الله صلى الله عليك أدعها وأتوكل
فقال اعقلها وتوكل فالتوكل والاعتصام بالقدر من العقل والطلب
والكسب يستمدان من الأمر فالتوكل على الله تعالى هو الثقة بما تضمنه
والقطع يكون ما حكم به فمن رام أمرا من الأمور ليس الطريق في تحصيله
أن يعلق بابه عليه ويفوض أمره إلى الله تعالى وينتظر حصول ذلك الأمر
بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله عز وجل
وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول
المدينة يستظهر به ويحرس من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه
من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويعبي الجيوش ويأمرهم
وينهاهم بما فيه من المصلحة واسترقى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر
بالدواء وقال أنزل الله تعالى الداء والدواء فإن قيل أليس قد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من استرقى أو اكتوى فقد بريء.
من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين

وسائر ما ذكرنا آنفًا فان قيل فما المخرج من ذلك قلنا معناه من
استرقى واكتوى متوكلًا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما
خاصة فهذا يخرجه من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث
الى غير الله تعالى فأما من باشر الأسباب والأدوية وتعاطى تدبير
الأمور بنفسه واخوانه وماله على ما جرت به سيرة الله تعالى في ارضه
وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك بل هو واثق القلب
ان ما حصل فبتقديره وما تعسر فبتدبيره ومعتمده في ذلك على المسبب
لا على الأسباب فهذا هو التوكل لكن من شرطه أن يمشي في ذلك كله
مع الأمر ولا يسلك طريقًا فيه معصية فليس يستنزل ما عند الله تعالى
بمعاصيه وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه من ابتغى
أمرًا بمعصية الله تعالى كان ابعد لما يرجا واقرب لمجيء ما اتقى ومن
ظن ان الكسب والاكتساب ينافي التوكل فقعد في بيته واغلق
عليه بابه متوكلًا على الله في زعمه كان على العقل خارجًا وفي رتبة
الجهل والجفا ويقال له فعجب من هذا إذا جعت وحضر الطعام أن
لا تمد يدك اليه ولا تفتح فمك فان ما مضى عليه كان الى العقل احوج
منه الى المعرفة وينبغي لاهله أن يداروه ألا ترى ان الله تعالى
قال فهزي اليك بجذع النخلة فهلا امرها أن تسكن ثم حمل الرطب

ال

الى فمها وهكذا القول ممن له دابة أو بستان دون يوم يسقي البستان
وحفره واصلاح شانه ويوم وان يعلف الدابة ويسقيها وانشدوا
ألم تر ان الله قال لمريم ❀ إليك فهزي الجذع يساقط الرطب
ولو شا أجنى الجذع من غير هزها ❀ اليها ولكن كل شيء له سبب
وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق
توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو اخماصًا وتروح بطانًا
فلم يحمل ارزاقها اليها في أوكارها بل الهمها طلبه للغدو والرواح
وقد كان جهبل رئيس القيد هارس يرى من تصديق القدر وتكذيب
الطلب دون أهل زمانه من الملوك ما جحده عن الطلب والتدبير
فاخرجه اخوته من سلطانه وقهروه على مملكته فقال لهم بعض
الحكما ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه صاير الى
اخلاق ذوات الاحجر من الحيوان كالضبع ساير الحشرات يلبثوا في
احجرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطلب انهما لعدلين
على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما ارجح مما حمل في الآخر سقط
حمله وتعب ظهر الدابة وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم
ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبًا وقالوا
ان اعمى ومقعد كانا في قرية لفقر وضر لا قايد للاعمى ولا حامل

للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من
الطعام والشراب فلم يزالا بخير وفي عافية الى ان مات المحتسب فلبثا
بعده اياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رايهما
على ان يحمل الاعمى المقعد ويدله المقعد على الطريق ببصره ويستعمل
الاعمى يحمل المقعد فيدوران في المدينة يستطعمان اهلها ففعلا فنجح
امرهما ولو لم يفعلا ذلك هلكا فكذلك القدر شبيه الطلب
والطلب شبيه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فاخذ جهيل
في الطلب فظفر باعدايه ورجع الى ملكه فكان يقول لا تدعن
الطلب اتكالا على القدر ولا تجهدن نفسك في الطلب معتمدا عليه
مستهينا بالقدر فانك اذا اجهدت نفسك بالطلب بوجوه التدبير
المحمود ومصدقا بالقدر نلت ما تحاول ولم تلتو عليك الامور فان علمت
ذلك فالتوى عليك مطلوبك فذلك من عوق القدر وانك قد اتيت
ذنبا فتفقد جوارحك واستكشف ظاهرك وباطنك وتب الى الله
تعالى من كل ذنب اتيته بجارحة من جوارحك واخرج من كل مظلمة
تحملتها فاذا فعلت ذلك فابلك الحظ وساعدك القدر ان شا الله تعالى
واعلم ان على هذا الاصل الذي قدرناه يخرج كلما ورد في القران.
وحديث الرسول عليه السلام من الامر بالتوكل على الله تعالى والتسليم

لامر

لامره والتفويض اليه من ذلك ان سليمان الخواص تلى يوما قوله تعالى
وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال ما ينبغي لعبد بعد هذه الاية
ان يلجا الى احد غير الله تعالى قلنا معناه لا يلتجي الى الاسباب
اعتمادا عليها ولكن يلجا اليها واثقا بان الله تعالى يفعل ما يشا
كما امر النبي صلى الله عليه وسلم بعقل الناقة وحمل درعين الا ترى
ان من يطلب الزرع والولد ثم قعد في بيته لم يطا زوجته ولم يبذر
ارضه معتمدا في ذلك على الله تعالى وواثقا به ان تلد امراته من
غير وقاع وتنبت ارضه من غير بذر كان عن العقلا خارجا ولامر
الله تعالى تاركا وللايمة والحكما في القدر الفاظ بارعة سليمة عن
الشين والامتحان منها ما روي ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه سيل
عن القدر فاعرض عن السايل وابى الا الجواز فقال علي عليه السلام
اخبرني اخلقك الله تعالى كما تشا او كما يشا فامسك الرجل عن الجواب
فقال علي عليه السلام للحاضرين اترونه يقول كما اشا اذا والله
اضرب عنقه فقال الرجل كما يشا فقال علي افيحييك كما يشا او
كما تشا قال بل كما يشا قال ايميتك كما تشا او كما يشا
قال كما يشا قال افيحشرك كما يشا او كما تشا قال كما يشا قال
ثم فليس لك من الامر شي **وروي** ان رجلين قدريا ومجوسيا

تناظرا فقال القدري للمجوسي ما لك لا تسلم فقال المجوسي لو اراد الله تعالى
لأسلمت فقال القدري قد اراد الله تعالى ولكن الشيطان يمنعك
قال المجوسي فانا مع أقواهما **وروي** في الاسرائيليات ان نبيا
من الأنبيا مرّ بفخ منصوب وإذا طاير يطير قريبا منه فقال الطاير
يا نبي الله هل رايت اقل عقل من هذا نصب هذا الفخ ليصيدني به
وأنا أنظر اليه قال فذهب ثم رجع فاذا الطاير في الفخ فقال له
عجبا لك ألست القايل انفا كذا وكذا فقال يا نبي الله إذا جا الحين
لم تبق اذن ولا عين **وقال** رجل من الخوارج لعلي ابن أبي
طالب كرم الله وجهه أرايت من جنبني سبيل الهدى وسلكني
سبيل الردى احسن الي أم أسا فقال له علي عليه السلام ان كنت
قد استوجبت عليه حقا فقد انتهى وان كنت لم تستوجب عليه حقا
فهو يفعل ما يشا **وقال** ميمون ابن مهران لغيلان القدري
سل فا قرب ما تكن بون إذا سألتم فقال غيلان ان يشا الله ان
نعصي فقال ميمون اتعصي كارها فانقطع غيلان ويروى
أن رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر فقال وما تصنع
بالمناظرة في القدر رايت ظاهرا استدللت به على باطن ورأيت
احمقا مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس الى العباد

ولبعضهم

يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه ۞ ويعطي المنى من حيث يحرم طالبه
ولما قدم موسى بن نصير من فتح الأندلس على سليمان بن عبد الملك
قال له يزيد ابن المهلب أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت
نفسك في يد سليمن فقال له موسى إن الهدهد يهندس الما في
الأرض القيفا ويبصر القريب منه من البعيد على بعده من التخوم
ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة والحبة فلا يبصر حتى يقع فيه
وفي الاسرايليات ان الهدهد كان رايد سليمان عليه
السلام الى الما فيتقدم معسكره ثم ينظر الأرض فيقول الما هاهنا
على الف قامة أو اكثر أو اقل فتبادره الجن فلا يلحق سليمان عليه
السلام الا وقد استنبط الما واعلموا ان الهارب مما هو مقضي مقدر
عليه كالمتقلب في كف الطالب **وأنشد بعضهم**
وإذا خشيت من الامور مقدرا ۞ وفررت منه فنحوه تتوجه
ولبشار ابن برد **هذه الأبيات**
طعنت على ما في غير مخير ۞ هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا اعطى واعطي ولم ارد ۞ وقصر علمي ان ينال المغيبا
واصرف عن قصدي وعلمي مقصرا ۞ وأمسي وما اعقبت إلا التعجبا

ولما وقع الطاعون بالكوفة مر ابن أبي ليلا على حمار له
يطلب النجاة فسمع منشدا ينشد **هذه الابيات**

- لن تسبق الله على حمار ولا على ذي منعة طيار
- أو ياتي الحتف على مقدار قد يصبح الله امام الساري

فكر راجعا الى الكوفة وقال إذا كان الله امام الساري
فلات حين مهرب وانشد بعضهم **هذه الابيات**

- أقام على المسير وقد اناخت مطاياه وغرد حاديها
- وقال اخاف غادية الليالي على نفسي وأن ألقى رداها
- ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتابا فيه اذا كان
القدر حقا فالحرص باطل وإذا كان الغدر في الناس طباعا
فالثقة بكل احد عجز وإذا كان الموت بكل احد نازل
فالطمأنينة إلى الدنيا حمق **وقال** ابن عباس وجعفر
بن محمد والحسن رضي الله عنهم في قوله تعالى وكان تحته كنز
لهما انما الكنز لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم
عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت

لمن

لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بها
كيف يطمين اليها لا إله الا الله محمد رسول الله **وقال**
يحيى ابن معاذ عجبت من ثلاث رجل يتبنا ول رزقه بتدبيره وهو
يرى تناقص تدبيره ورجل شغله هم معاده وعن عمله ومن عالم مفتون يعيب
على زاهد مغبوط **ومن عجب** ما جرى بالاسكندرية أن
رجلا جنى جناية فانتهى الى السلطان أمره فاخذه الخدم فهرب
من خدم السلطان فانساب منهم في بعض الطريق وترامى في بير
وللمدينة مسربة تحت الارض يمشي الماشي في سرابها قايما يخترقها
الماشي ويدورها لأن في دورها ابار على تلك السروب فما زال يمشي
حتى لاح له بير مضى يطلع فيها فاذا البير في دار السلطان فطلع منها
فاخذه السلطان وادبه وكان فيه المثل الساير الفار من القضا
الغالب كالمنقلب في يد الطالب **وقال** ابن مسعود
ان الرجل يشرف على أمر من الامارة أو التجارة أو غيرهما ذكره الله
تعالى فوق سماواته فيقول الملك اصرف عن عبدي هذا الأمر
فاني ان ايسره له ادخله جهنم فيضل يغبط على جيرانه فيقول
سبقني فلان وحسدني فلان وما صرفه عنه إلا الله تعالى استاذن
العقل على الجد فقال اذهب لا حاجة لي بك فقال العقل ولم لانك

تحتاج الي ولا احتاج إليك **وقال** أوصى حكيم ابنه فقال
يا بني رزقك الله جدا يخدمك به ذووا العقول ولا رزقك عقلا
تخدم به ذوي الجدود وكان يقال افراط العقل مضر بالجد ويروى
أن رجلا خير في أمر فأبى أن يختار وقال انا بجدي اوثق مني بعقلي
فاولعوا في الأمثال ابيع بجد ولا يكد ابيع بجدك ودع جدك
لا كدك الجد لا الجد اغنى من الكد **واعلم** ان زمام
الأمور التوفيق ولم ينزل من السما الي الأرض أجل من التوفيق
وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وقد كنت جمعت فيه كتابا من جملة كتابي في الأسرار
هل التوفيق مكتسب أو موهبه بلا سبب فلا مزيد عليه ومن لطف
ما وقفت عليه في مجاري القضاء والقدر وان الهارب من القدر يتقلب
في يد الطالب ما نزل بنا في مدينة الاسكندرية من قصة الرجل الذي قدمنا ذكره

الباب الثالث والستون

وهو باب جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم وهو يشتمل علي خمس
فصول **الفصل الأول** يشتمل علي اخبار رفعت الينا
بعد الفراغ من هذا الكتاب فالحقناها **الفصل الثاني** يشتمل
علي حكم تحكيم الفرس خاصة **الفصل الثالث** يشتمل علي حكمة تحكيم

السند

السند خاصة **الرابع** يشتمل علي حكم تحكيم العرب خاصة
الخامس يشتمل علي حكم مجموعة منتخبة القيناه لك لتنظر في
عقول القوم واعراضهم ومنتهى مراميهم من كتاب جاويدان خرد
الفارسي قال ثلاث لا يصلح فسادهن بشي من الحيل العداوة بين
الاقارب والتحاسد للاكفاء والركاكة في العقول قالوا وثلاثة
لا يفسد صلاحهن بنوع من المكر العبادة في العلماء والقناعة في
المستبصرين والسخا في ذوي الهمم وثلاثة لا يشبع منهن الحيلة والعافية
والمال وقال ابن لقمان لابيه ما الداء العيا قال رعونة مولودة قال
فما الجرح الدوي قال المراة السو قال فما الحمل الثقيل قال الغضب ولما
قرا هذه الحكاية ابو عباد الكاتب وكان ظريفا في اخباره قال
لكن للغضب والله علي اخف من ريشه وكان اسرع الناس غضبا
فقيل له انما عني لقمان ان احتمال الغضب ثقيل فقال لا والله لا يقوى
علي الغضب الا الجمل وغضب يوما علي بعض اصحابه فرماه بدواة فشجه
فجعل الدم يسيل فقال ابو عباد صدق الله العظيم والذين اذا ما
غضبوا هم يغفرون قال فبلغ ذلك المامون فقال له ويلك الا تحسن
أن تقرا اية من كتاب الله تعالى قال بلي اني لاقرا من السورة الواحدة
الف اية قال فضحك المامون وأمر باخراجه وقيل لانو شروان

ما العقل قال القصد في كل الامور قيل فما المروة قال ترك الريبة

قيل فما السخا قال أن تنصف من نفسك قيل فما الحمق قال الاغراق

في الذم والحمد **وقيل** لبعض الحكما ما الحزم قال سوء الظن قيل

فما الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال

كف بذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب

والبغض **وقال** بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما

اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره وقال معوية لزياد حين ولاه العراق

يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان الغيرة كامنة واجعل للرجوع

والتروع بقية من قلبك واحذر صولة الاهمال فانها تودي الى المهالك

وهو مثل قول علي ابن ابي طالب رضي الله عنه أحبب حبيبك هونا ما

عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن

يكون حبيبك يوما ما **ومن ذلك** قول الاول

ولا تيأسن الدهر بالود كاشح ۞ ولا تأمنن الدهر صرم حديد

وانشد ابو حبيب

واحبب حبيبك حبا رويدا فليس يعولك ان تصرما

وسيل بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعني قيل فما الحزم

قال انتهاز الفرصة قيل فما الحلم قال العفو عن القدرة قيل

فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مغرق

وبغض مفرط **وقيل** لبعض الملوك ما الذي قد بلغ بك

المنزلة والقدر ما لم يبلغه احد من الملوك الذين كانوا في زمانه

قال عفوي عند قدرتي ولِيني بعد شدتي وبذلي الانصاف

ولوم نفسي وابقاي في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال

قال الاسكندر لبعض الحكما وقد اراد سفرا ارشد

لي لاحزم امري قال لا يمكن قلبك محبة الشي ولا يستولي عليه

بغضه واجعلها قصدا فان القلب كاسمه ينقلب وله خاصية من

القلب ينزع ويرجع واجعل وزيرك التثبت وسميرك التيقظ ولا

تقدم على امر الا بعد المشورة فانها نعم الدليل فاذا فعلت ذلك

فقد ملكت قلوب رعيتك ملكا لا يستعاد **وقيل**

لبعض الحكما ما الدليل الناصح قال غريزة العقل مع الطبع قيل

فما القايد المشفق قال حسن المنطق قيل فما العي المعيي قال

تطبيعك من لا طبع له **قال** الفضل ابن مروان سالت

رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم قال بذل عرفه وجود سيفه

فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا ينهض جنده ولا يخرج

رعيته سهل النوال حزن النكال الرجا والخوف معقودان في يده

قلت وكيف حكمه قال يرد الظلم ويردع الظالم ويعطي كل حق حقه
قلت الرعية قال اثنان راض مغتبط ومغتبط راض قلت فكيف
هيبتكم له قال تصور في القلوب فتغضي له العيون قال فنظر ملك
الروم الى اصغاي اليه واقبالي عليه وكانت الرسل ينزلون عندي
فقال للترجمان ما الذي يقول الرومي قال يصف له ملكهم
ويذكر سيرته فكلم الترجمان بشي فقال لي الترجمان انه يقول
ان ملكهم ذو اناة عند المقدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة
عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسا رعيته جميل نعمته
وقصرهم بعسف عقوبته فهم يتراوه انه راي الهلال خيالا لا وتخا
قومه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وردعهم سطوته
وكلمته فلا تهمه مزحة ولا تونسه غفلة اذا اعطى اوسع واذا
عاقب اوجع والناس اثنان راج وخايف فلا الراجي خايب ولا الخايف
بعيد الاجل قلت فكيف رهبتهم له قال لا ترفع اليه العيون اجفا
نها ولا تتبعه القلوب شانها كان رعيته ضبي وقرت عليها صقور
صوايد قال فحدثت المامون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتها
عندك قلت الفي درهم قال ما فضل ان قيمتها عندي اكثر من الخلافة
اما علمت ان حديث امير المومنين علي رضي الله عنه قال قيمة كل

امري

امري ما يحسن افتعرف احدا من الخطبا البلغا ان يحسن ان يصف
احدا من خلفا الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال
فقد امرت له بعشرين الف دينار معجلة لهما واجعل العدة ما ذه
بيني وبينها على العود فلولا حقوق الاسلام واهله لرايت اعطانهما ما
في بيت المال للخاصة والعامة دون ما يستحقانه وقال
الفضيل بن سهل كان عندي رسول ملك الروم وكان يحدثني
عن اخت الملك يقال لها خاتون قال اصابتنا سنة اختدم علينا
شواظها بحرارة المصايب وصنوف الافات ففزع الناس الى الملك
فلم يدر ما يجيبهم به فقالت له خاتون ايها الملك ان الحزم علق لا
يخلق جديده ولا يمتهن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح
رعيته وزاجر له عن استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك لفضل
العجز الى الالجا الى ما لا يريده الاساة الى خلقه عزا ولا ينقصها لعود
بالاحسان اليهم ملكا وما احد اولى بحفظ الوصية من الموصي
ولا بركوب الذلالة من الدليل ولا بحسن الرعاية من الراعي
ولم ازل في نعمة لم تغيرها نعمة وفي رضا لم يكدره سخط الى ان
جرى القدر بما عمي عنه البصر وذهل عنه الحذر فسلب المسلوب
الموهوب خ
والسالب هو الواهب فحدا اليه شكر النعم وعدته من فضيع

النقم فمتى تنسه ينسك ولا تجعلن الحيا من التذلل للمعز المذل شركا
بينك وبين رعيتك فتستحق مذموم العاقبة ولكن منهم ونفسك
بصرف القلوب الى الاقرار له بكنه القدرة وتبديل الالسن في
الدعاء بمحض الشكر له فان الملك ربما عاقب عبده لرجعه عن شي
فضل الى صالح عمل ولتبغيه درووب شكر يجزيه
فامرها الملك أن تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت فرجع
القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم قبول الوعظ في الامر والنهي
فحال عليهم الحول وما منهم متفقد نعمة كان سلبها وتواترت عليهم
الزيادات بجميل الصنع فاعترف الملك لها بالفضل فقلدها الملك
وجمع الرعية على الطاعة لها في المحبوب والمكروه فهذا فعل الله
باعدايه وضداير نعمه لما شكروه اعادا اليهم من نعمه ما كان قد استرجع
وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف نحن نوحده ونومن به لو صدقت
نياتنا وصحت كاين ضماير نا قال الواقدي توفي
بعض الملوك في خلافة هشام بدمشق فوجد في خضره لوح من ذهب
فيه مكتوب إذا ذهب الوفا نزل البلا وإذا مات الاعتصام عاش
الانتقام واذا ظهرت الجنايات استخفت البركات وقال الوضاحي
وجه انوشروان رسولا الى ملك قد اجتمع على محاربته وامره

ان

ان يتعرف بسيرته في نفسه ورعيته فرجع اليه فقال له وجدت
الهزل عنده اقوى من الحزم والكذب أكثر من الصدق والجور
ارفع من العدل فقال انوشروان رزقت الظفر عليه سر
اليه فليكن عملك في محاربته بما هو عنده اضعف واقل واوضع
فانك منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على ملكه وقال
بزرجمهر الهزل آفة الجد والكذب عدو
الصدق والجور مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت
هيبته وإذا استصحب الكذب استخف به وإذا أظهر الجور
فسد سلطانه وكان نقش خاتم سليمان ابن داود رستم وهو
احد ملوك الفرس الهزل مبغضة والكذب منقصة والجور مفسدة
وقتل بعض اصحاب اسفنديار رجلا من الترك فأصابوا في عنقه
لوحا من ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهيب وآفة المنطق
الحيا وآفة كل شي الكذب وقيل لبعض الحكما
ما قيمة الصدق قال الخلد في الدنيا قال فما قيمة الكذب قال
موت عاجل قال فما قيمة العدل قال ملك الابد قال فما قيمة
الجور قال ذل الحياة وسأل ملك الهند الاسكندر وقد دخل
بلاده ما علامة الملك ودوامه قال الجد في كل الامور قال

فما علامة دوائه قال الهزل قال فما سرور الدنيا قال الرضى بما
رزقت قال فما غمها قال الحرص على ما لعلك لا تناله وقال
بزرجمهر ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث هن غمها فاما السرور فالرضى
بالقسم والعمل بالطاعة في النعمة ونفي الاهتمام بالرزق لغد واما
الغم فحرص مسرف وسوال ملحف وتمني ما يلهف ومر بعض
الملوك بغلام يسوق حمارا سوء متعب وقد عنف عليه في السوق
فقال يا غلام ارفق به فقال ايها الملك ان في الرفق به مضرة عليه
قال وما مضرته قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفي العنف عليه
احسان اليه بالفه قال ما هو قال يخف حمله ويطول اكله فاعجب
الملك كلامه وقال قد امرت لك بالف درهم قال رزق مقدود
وواهب ماجور قال قد امرت باثبات اسمك في حشمي قال كفيت
مؤنة ورزقت معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك
قال كيف يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال
انما يكون الحمد والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه
حتى يبلوها قال فاستوزره فوجده ذا راي صليب وفهم رحيب
ومشورة تقع مواقع التوفيق قال وكتب الاسكندر
الى ارسطاطاليس وقد نفذت يده في الشرق والغرب وبلغ منها

ما لم يبلغه احد قبله اكتب الي لفظة موجزة تنفع وتردع فكتب
اليه اذا استولت لك السلامة فجدد ذكر العطب واذا هنيك العافية
فحدث نفسك بالبلا واذا اطمأن بك الامن فاستشعر الخوف واذا
بلغت نهاية الامل فاذكر الموت واذا احببت نفسك فلا تجعل لها
في الاساءة اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكما ملكا
فقال له ايها الملك ان الدنيا دار عمل والاخرة دار ثواب ومن لم يقدم
لا تجد فيهن نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءة اليها اعلم ان زمام
العافية بيد البلا وامن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن
مستور بالخوف فلا تكونن في حال في هذه الثلاثة غير متوقع
لاضدادها ولا تجعل نفسك عرضا لسهام الهلكة فان الدهر
عدو ابن ادم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد واذا فكرت
في نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ قال
وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية اجل قريب في يد غيرك
وسوق حثيث من الليل والنهار واذا انتهت المدة حيل بينك
وبين العدة فاحتل قبل المنع واكرم اجلك بحسن صحبة السابقين
واذا انستك السلامة فاستوحش بالعطب فانه الغاية واذا
بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد

والينه المورد **قال** ابن الاعرابي حدثني من رأى بين
اصفهان وفارس حجرا مكتوب عليه العافية مقرونة بالبلا والسلامة
مقرونة بالعطب والأمن مقرون بالخوف ولما ضرب انوشروان
عنق بزرجمهر وجد في منطقته كتاب لما رغب عن دين المجوسية
وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد في منطقته كتابا فيه ثلاث
كلمات إذا كان القدر حقا فالحرص باطل وإذا كان الغدر
طباعا فالثقة بكل احد عجز وإذا كان الموت بكل انسان
نازل فالطمانينة الى الدنيا حمق **ولما** تاب الله تعالى
على سليمان عليه السلام ورد عليه ملكه كتب على كرسيه إذا
صحب العافية نزل البلا وإذا تمت السلامة تحرا العطب وإذا تم
الأمن علا الخوف وحفر حفير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه
اربعة اسطر محفورة أولها أيها المعافا أبشر بالبلا والثاني
يا ايها السالم توقع العطب والثالث أيها الآمن خذ أهبة الخوف
والرابع أيها الموسر لن يبعد عليك العسر **ولما** نزل
أبو مسلم مدينة سمرقند اتاه استيدنان فقال أيها الملك إن
بالقيد هاد حجرا مدفونا فيه ثلاثه أسطر وجدت في الكتب .
ان سليمان ابن داود عليه السلام بعث به ودفن ها هنا ووجدت

انك الذي ستخرجه وتعمل بما فيه فأمر به فأخرج فاذا اول سطر منه ه
انتهاز الفرصة وترك الونى فيما يخاف عليه الفوت والسطر ه
الثاني الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم تقبل إلا ه
بأمر نزل الابنا ومن لم يصب لم يخب وكان ابو مسلم يقول علم جليل
به تتم هذه الدولة ان لم ينزل القدر ما يحول بينها وبين الحذر ولم
يزل يستعمل هذا الكلام الى أن قدم العراق فاعماه القدر عن
الاستعانة بالحذر **قال** ولما حج أبو مسلم قيل له إن
بالحيرة نصرانيا قد اتت له ما يناسبه وعنده علم من العلم الاول
فوجه اليه فأتي به فلما نظر الشيخ الى ابي مسلم قال قدمت بالكفاية
ولم يال في العناية وقد بلغت النهاية احرقت نفسك ثم اسكت حسك
وكأن قد عاينت رمسك فبكا ابو مسلم فقال لا تبك فإنك
لم تؤت من حزم وثيق ولا من راي رتيق ولا من تدبير نافع ولا
من سيف قاطع ولكن ما اجتمع لاحد غاية امله الا اسرع في تقريب
أجله قال فمتى تراه يكون قال إذا تواطى الخليفتان على امر كان ه
والتقدير في يد من يبطل حقه التدبير وان رجعت الى خراسان
سلمت وهيهات فاراد الرجوع فكتب اليه هارون بالمضي ووجهه .
إليه من يحبه فلولا ان البصير يعمى إذا نزل القدر لكانت هذه

دلالة على أمر ينفع موقع العيان ويبعث على التيقظ في الحذر والهرب
على ان لكل نفس غاية ولكل أمر نهاية **وقيل** لجالينوس
وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد نهكته العلة الا تعالج قال
إذا كان الداء من السما بطل الدوا وإذا قدر الرب بطل حذر
المربوب ونعم الدوا الاجل وبئس الدا الأمل وقال بعض الغزاة
فتحنا حصنا من بلاد الروم فراينا فيه صورة أسد في حجر مكتوب عليه
الحيلة خير من الشدة والتاني أفضل من العجلة والجهل في الحرب
احزم من العقل والتفكر في العاقبة مادة الحزم **وقال**
احمد بن سهل وجه ملك الروم الى هارون الرشيد ثلاثة أسياف
مع هدايا كثيرة وعلى سيف منها مكتوب أيها المقاتل احمل تغنم
ولا تفكر في العاقبة فتهزم وعلى الثاني إذا لم تصل ضربة سيفك
فصلها بالقا خوتك وعلى الثالث مكتوب التاني فيما لا يخاف
عليه الفوت أفضل من العجلة الى ادراك الأمل **وقال**
الحسن ابن سهل قرات في كتاب جاوند وبدارجرد ثلاث تبطل
مع ثلاث الشدة مع الحيلة والعجلة مع التاني والاسراف مع
القصد وقال الحضر ابن علي رايت بعدن راس حجر مكتوب عليه
بالحميرية أيها الشديد احذر الحيلة أيها العجول خف التاني أيها

المحارب

المحارب لا تايس من التفكر في العاقبة أيها الطالب موجودا الا بقطع
أملك من بلوغه **وكتب** قيصر الى كسرى اخبرني بأربعة
أشيا لم أجد من يعرفها واحالها عندك اخبرني ما عدو الشدة
وصديق الظفر ومدرك الأمل ومفتاح الفقر فكتب اليه الحيلة
عدو الشدة والصبر صديق الظفر والتاني مدرك الأمل والجود
مفتاح الفقر **وقال** بعض الملوك لحكيم واراد سفرا
تفيني على اشيا من حكمتك أعمل بها في سفري فقال له اجعل
تأنيك زمام عجلتك وحيلتك رسول شدتك وعفوك ملاك
قدرتك وانا ضامن لك قلوب رعيتك ان لم تخرجهم بالشدة عليهم
أو تبطرهم بالاحسان اليهم **وقال** الحضر ابن علي قرأت
في كتاب جاوندان جرد اضعف الحيلة انفع من أقوى الشدة واقل
التأني أحذ من اكثر العجلة والدولة رسول القضا المبرم وإذا
استبد الانسان برايه عميت عليه المراشد وكان المحكان ابو
بزرجمهر حامل القدر كامل القد وضيع الحال مفهم المنطق
فلما اتت لبزرجمهر خمسة عشر سنة حضر مجلس الملك وقال الحمد لله
المأمولة نعمه المرهوبة نقمه الدال عليه بالرغبة اليه المؤيد
الملك بسعوده في الفلك حتى رفع شأنه وعظم سلطانه وأبان

به البلاد واحيى به العباد وقسم له في التقدير وجوه التدبير فوعا رعيته
بفضل نعمته وحماها من الموبقات واوردها المعيشات وانادها
عن الادميين والفها بالرفق واللين لقضا ما من الله عليه وتثبيتا لما في
يديه واسئله ان يبارك له فيما اتاه ويخير له فيما استرعاه ويرفع ذكره
في السما وينشر ذكره تحت الما حتى لا يبقى له بينهما مناوي ولا يوجد
له فيهما مداني واستوهب له حياة لا يتنغص فيها وقدرة لا عجز فيها
وملكا لا اخرس فيه وعافية تدوم له البقا وتكثر له النما وعزا
يومنه من انقلاب رعيته او هجوم بليته فانه مولى الخير ودافع الشر
وامر الملك يخشى فوه بنفيس الجوهر ورفيعه ولم يدفع حد انه سنبه
مع جليل كلامه وان استوزره وقلده خيره وشره وكان له
اول داخل واخر خارج وقال عمر ابن عبد العزيز ما لله على العاقل نعمة
بعد الاسلام افضل من مباينته هذه السفلة بالفهم والعقل ولو
لم يكن هكذا ما عرف الله تعالى الا بالجهل الا ترى ان الله تعالى
خاطب اولي الالباب وذوي النهى وذوي البصاير ويجب على العاقل
ان يحمد الله تعالى على مباينتهم هذه السفلة بالفهم والعقل بالافهام
والعقول كما يحمدونه على جميع النعم وقيل لمروان ابن الحكم وهو
اخر ملوك بني امية ما الذي اصارك الى هذا قال الاستبداد برايي

لما

لما كثرت على كتب الي نصر ابن سيار ان امده بالرجال والجند قلت
في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال لما لنا من فساد
الدولة قبله وهبهات من ان تنتقض على خراسان فانتقضت
دولته من خراسان وقال الفضيل ابن سهل لما دعي
المامون في كور خراسان جاته هدايا الملوك سرورا بمكانه من
الخلافة ووجه ملك كابليسان شيخا يقال له ذوبان وكتب يذكر
انه قد وجهه بهدية ليس في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا انبل
ولا افخر فعجب المامون وقال يسل الشيخ التلبيخ عما معه فسالته
فقال ما معي شي اكثر من علمي فقلت واي شي علمك قال راي
ينفع وتدبير يقطع وجلالة يجمع فسر المامون بذلك وامر بانزاله
واكرامه وكتمان امره فلما اجمع على التوجه الى العراق لقتال
اخيه قال الذوبان ما ترى في التوجه الى العراق قال راي وثيق
وحزم مصيب وملك قريب والشرماض فاقض ما انت قاض قال
له من توجه قال الفتى الاعز الطاهر الاطهر يسير ولا يغير
قوي مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكم توجه معه من الجند
قال اربعة الاف صوارم الاسياف ولا ينقص في العدد ولا يحتاج
الى المدد فسر المامون ووجهه بطاهر بن الحسين قال وفي اي

وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع لك الأمر ويصير الى النصر نصر سريع
وقتل دريع ويفرق تلك الجموع والنصر له عليه ثم يرجع الأمر اليك
واليه فظفر طاهر وكان الأمر كما قال **قال** علي ابن عيسى
وزير الملك الأمين واستولي علي ملكه وعسكره فأمر المامون لددباذ
بماية الف درهم فلم يقبلها وقال أيها الملك إن الملك لم يوجهني لا
لفضل مالك فلا تجعل ردي لنعمتك سخطا وسأ قتل ما يفي بهذا المال
ويزيد عنه قال وما هو قال كتاب يوجد بالعراق فيه مكارم الاخلاق
وعلوم الآفاق من كتب عظيم الفرس فيه شفا النفس من صنوف الآداب
فيما ليس في كتاب عند عاقل لبيب ولا فطن اريب يوجد في خزاين
تحت ايوان بالمداين لا زيادة ولا نقصان فاحفر المدد واقلع الحجر
فاذا وصلت الي الساحة فاقلعها تجد الحاجة ولا تلزم لغيرها فتلزمك
عنه ضرها فارسل المامون الي ايوان كسري فحفر في وسطه فوجدوا
صندوقا من زجاج اسود عليه قفل منه فحمل الي المامون فقال
لروبان هذه بغيتك قال نعم أيها الملك قال خذه وانصرف قال
فتكلم بلسانه ونفخ في القفل فانفتح فاخرج منه خرقة من ديباج
فنشرها فسقط منها أوراق فعدها ماية ورقة ولم يكن في الصندوق
غيرها فاخذ الأوراق وانصرف الي منزله **وقال** الفضيل

ابن سهل فجيت فسألته فقال هذا كتاب جاويدان خرد تاليف
لمحور وزير ملك ايرانشهر فطلبت منه شيا فدفع الي ورقات
منها ترجمها لي الحسن بن علي ثم اخبرت المامون فقال احمل إلي
الورقات فحملتها اليه فقراها فقال والله هذا الكلام لا ما
نحن فيه من لي ألسنتنا في فراغ اشداقنا ولولا أن العهد حبل
طرفه بيد الله تعالى وطرفه بايدينا لأخذته منه **فصل**
ومن حكم بزرجمهر الفارسي قال نصحني النصحا ووعظني الوعظا
شفقة ونصيحة وتاديبا فلم يعظني احد مثل شيبتي ولا نصحني
مثل فكري ولقد استضات بنور الشمس ونور القمر فلم استضي
بشي اضوا من نور قلبي وكنت عند الأحرار والعبيد فلم يملكني
أحد ولا قهرني مثل هواي وعاداني الأعدا فلم أر أعدا إلي من
نفسي إذا جهلت واحترزت لنفسي بنفسي من الخلق كلهم حذرا
عليها وشفقة فوجدتها أشر الأنفس لنفسها ورايت اتلافاتها
الفساد إلا من قبلها وزحمتني المضايق فلم يزحمني مثل خلق السوء
ووقعت من أبعد البعيد وأطول الطول فلم اقع في شي أضر
علي من لساني ومشيت علي الجمر ووطيت الرمضا علي الرمضا
فلم أر نارا احر من غضبي إذا تمكن مني وطلبني الطلاب فلم يدركني

مثل اساءتي ونظرت ما الداء القاتل ومن اين جاني فوجدته من معصية
ربي سبحانه وتعالى فالتمست الراحة لنفسي فلم اجد شيئا اروح
لها من ترك ما لا يعنيها وركبت البحار ورايت الاهوال فلم
ارهولا مثل الوقوف على باب سلطان جاير وتوحشت في البرية
والجبال فلم ار اوحش من قرين السوء وعالجت السباع والضباع
والذياب وعاشرتها وعاشرتني فلم وغلبتها فغلبني صاحب الخلق
السوء واكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم اجد
شيئا الذ من العافية والامن وتوسطت الشياطين والجبال والسباع
فلم اجزع الا من الانسان السوء واكلت الصبر وشربت المر فلم ار
شيئا امر من الفقر وشهدت الزحوف ولقيت الحتوف وباشرت
السيوف وصارعت الاقران فلم ار قويا اغلب من المراة السوء
وعالجت الحديد ونقلت الصخور فلم ار حملا اثقل من الدين ونظرت
فيما يذل العزيز ويكسر القوي ويضع الشريف فلم ار اذل
من ذي فاقة وحاجة ورشقت بالنشاب ورجمت بالحجارة فلم ار
انفذ من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق وعمرت السجن
وشددت في الوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهدمني ما هدمني
الغم والهم والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت الاقوام

للعمدة والشدة والنايبة فلم ار شيئا اخير من التكرم عندهم
وطلبت الغنا من وجوهه فلم ار غنيا اغنا من القنوع وتصدقت
بالذخاير فلم ار صدقة انفع من رد ذي ضلالة الى الهدى ورايت
في الوحدة والغربة والمذلة فلم ار اذل من مقاساة جار السوء
وشيدت البنيان لاذكر به واعرف فلم ار شرفا ارفع من
اصطناع المعروف ولبست الكسوة الفاخرة فلم البس مثل
الصلاح وطلبت احسن الاشيا عند الناس فلم ار شيئا احسن من
حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك فلم اسر بشي اكثر من الخلاص
منهم **فصل** ومن حكم حكيم السند للملك
بن قانص الهندي يايها الوالي اتق عثرات الزمان وتخشى تسلط الايام
وتوق غلبة الدهر واعلم ان الاعمال جزا فاتق العواقب والايام
لها غدرات فكن على حذر والاقدار مغيبات فاستعد لها وللزمان
منقلب لولبي فاحذر دولته لئيم الكرة فخف سطوته سريع الغرة
فلا تامن دولته واعلم ان من لم يداو نفسه من سقام الايام
في ايام حياته فما ابعده من الشفا في دار لا دوا بها لم يضبط
حواسه وهي خمس ومن اذل حواسه واستعبدها فيما تقدم من
خير فلنفسه ابان فضله واظهر نبله من لم يضبط نفسه وهي واحدة

وإذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها ضعف عليه الاعوان مع من لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط اجزاه وهي خمس وإذا لم يضبط حواسه مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في نواحي البلاد واضطراب المملكة ابعد من الضبط فليبدا الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدو احق أن يبداه بالقهر من نفسه ثم يشرع في قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة منهن دون صواحباتها قد يأتي على النفس القوية الجديدة فكيف إذا اجتمعت خمس على نفس واحدة **واعلم** ان لكل واحدة منها سترة ليست للاخرى فاقهرها تسلم من شرها وانما يهلك الحيوان بالشهوات الا ترى ان الفراش يكره الشمس فيسكن من حرها ويعجبه ضيا النار فيدنوا منها حتى تحرقه والضبا على نفار قلبه وشدة خطره وينصت للسماع المونق الملهي فيمكن القابض من نفسه وذباب الورد المتبع لطيب الاراج يطلب ما يقطر من اذن الفيل لطيب رايحته فانه في كمن طيب رايحة المسك فيلهيه طيب الشم عن الاحتراس من تحريك الفيل اذنه فينوح في أصل اذنه فيقع عليه ضربة الاذن فيقتله والسمك في البحر تحمله لذة الطعم على ان يبلعه فتحصل الصنارة في جوفه فيكون فيه حتفه

قال

قال وخصال معروفة قتلت بالافراط فيها ملوكا معروفين فالصيد مات فيه قندة الملك والافراط في القمار مات منه قبيسة الملك والافراط في الشكر مات منه حادق الملك وشدة الحرص مات فيه مهرين الملك في العماير مات منه فبيست الملك والغضب لمن يحجوا والطمع وابل والفرح والليان والانعة بولس والتواني رمبرنهر واخلق خصال أهلكت ملوكا أن تجتنبها الملوك الرغبة تستظمي إلى الملك العادل استظما أهل الحذر إلى الغيث ويتعشون بطلعته كما نتعاش النبت بما ينا له من القطر بل الرعية بالملك العادل اعم نفعا منها بالغيث لان لمنفعة الغيث وقتا معلوما وعدل الملك على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن بالملك ان يسته تضادنف تدبيره بطباع ثمانية اشيا منها الغيث والشمس والقمر والريح والنار والارض والما والموت اما شبيه الغيث فتواتره الى اربعة اشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة وكذلك ينبغي للملك أن يعطي جنده واعوانه في اربعة اشهر تقديرا لتتمة السنة فيجعل رزقهم لو فعتهم ووضعهم في الحق سوا الذين يستوجبونه بمنزلته كما تستوي المطر لسنته بين كل اكمة مشرفة وحايط مستقبل ويعم كلام مرضاته من حقد به بعد رحاجته ثم يستحق الملك في الثمانية

اشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم وكما تجي الشمس بحرها وحدة فعلها
بدوام الغيث في اربعة أشهر للأمطار واما تشبيهه بالريح فان
الريح لطيفة المداخل فيولج على قلوب الناس بحق اسيسه وعيونه
لا يخفون عليه بشيء حتى يعرف ما يأتمرون به في بيوتهم واسواقهم
وقال وكالقمر اذا استهل ايامه فاضا واعتدل نوره على الخلق وسوا
الناس بضوءه ينبغي أن يكون الملك بهجته وزينته واشرافه
في مجلسه وانعاشه رعيته بسيرته فلا يخص شريفا دون وضيع
بطوله وكالأرض في كتمان السر والاحتمال والصبر والاناة
فكالنار على اهل الدعارة والفساد وكعاقبة الموت في الثواب
والعقاب يكون ثوابه لا يقصر على اقامته حد ولا يتجاوزه
وكالماء في لينه لمن لانه وهدوه واقلاعه الصخر لمن حاربه
واعلم انه قد يكشف كنف السلطان من شرار الناس والأعوان
على الحاجة اليهم من يستنسع كالحيات تلتف بالصندل فيقتلها
الصندل بطيب رايحته وبرده ونسيمه وينتفع الصندل اذ لا يرد
اليه من يريد قطعه ليكن فيك مع لطفك تشديد ليلا يجري عليك
فان القمر مستنار بضوه يظهر به لكن الشمس يستظل منها ويسكن •
من حرها وقالت العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فتوكل ولا مرا

فترما اجعل لكل طبقة من اعدايك أشباههم من اعوانك يسوسونهم
فانهم كالماء في الاذن الذي لا حيلة في اخراجه ارفق بالماء الذي
هو من جنسه اذا عاديت رجلا فاستبق من مودته شيئا فعسى
ينتفع به فان السيف القاطع من جنس الدرع الواقي لا يطمعن في
الكذوب والطبوع على الشر أن يقطعها بالاحسان فانه كالقرد
كلما سمن باطعام الحلاوة والدسم ازداد وجهه قبحا قدير د ا
الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يزدجر شعاع الشمس
اذا كان واقفا عايرا ومن الناس لن تقتل سهمه واحدا لكن
رميه عاقل دهن يقتل الجيش باسره والملك الشريف العاقل لا ينفد
فيه قدح أهل البغي فيمن انقطع اليه ولزمه كالجوهر المضي بنوره
لا يطفيه عصوف الرياح من كان قابلا لما يورد عليه من بقائه
الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ريح لقته ثم
لا يلبث ان عصفت الريح أن يطفي السراج تدبير الملك الحازم لسلطانه
كتعاهد صاحب البستان بخرج فاجل عيدانه وشوك شجره فيحيط
به على ثمره وزرعه ليقيه من الشرور والفساد ولا ينتجب الملك
• اهل السكينة والشوكة فيجعلهم في اقاصي بلاده وحدوده
رد الملكة وليكون الملك أحذر ما يكون امن ما يكون وقد قال

القايل الأول قد أمنتم ريب الزمان فيمتمر يا رب خوف كامن في أمان

بهرسان الملك انامت المرأة على فرشه رجلا فلما رام فراشه وثب

عليه فقتله باسراج الملك قتلته لامراة بخلخال مسموم ذوروق

الملك قتلته امراة بمدية خبتها في عقاصها واعلم ان العذو قد علم

منك مواضع الحذر وحالات الأمن وانما ترصده في حالات الأمن

والمواضع التي يظن ان العذو لا يكمن فيها فخذ حذرك منها

فصل من حكم أكثم بن صيفي من قال غيره لا ينبغي

للملك أن يكون له ايام معلومة يظهر فيها فان في ذلك خصالا

مذمومة منها انه قد يعوق الملك ذلك اليوم بشغل مهم او ببعض

الكسل أو لذة مغتنمة فيلزمه الخروج على كره ومنها انه إذا تخلف

عن الظهور في ذلك اليوم لأمر ما تطاولت الرعية بامنافها وكثر

الكلام وقال مرض أو مات أو أصابته آفة فيكسب العدو

جرأة وسرورا ويكسب الموالي جربا وخشية ومنها انه قد واعد

عدوه ليوم يلتقيان فيه فتخلف لأمر ما فيقوي عدوه ولا ينبغي

أن يكون الملك كثيرا لتصرف عنه فساد الزمان وحيث الرغبة

وعن هذا قالت الحكما إذا كان الجمل كثيرا لعفر كان نصيب

الذيب **فصل** من حكم اكثم بن صيفي من فسدت

بطانته كان كمن غص بالماء افضل من السؤال ركوب الأهوال

من حسد الناس بدا بمضرة نفسه العديم من احتاج الى ليئم من

لم يعتبر فقد خسر ما كل عثرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وفا

لمن ليس له حيا قد تشهر السلاح في بعض المزاح من وفا بالعهد فاز

بالحمد الموت يدنو والمرء يلهو اطول المرض الغضب يورث الوصب

رب عتق شر من رق ومن اصطنع الناس احتاج اليهم يوما ما الكذب

بهت والخلف مقت من لم يكلف اذاه لقي ما ساءه الحر بتعاصي لك

نفسه واللئيم يستحسن تسويفه وحبه ليس بانسان من ليس له اخوان

أنت مرد بنفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالمخاملة لمن لا يدوم

له مواصلة في الأسفار يبد والاجتبار اسد كل حسب من ليس له ادب

أفضل الفضايل (التغافل) صيانة العرض بالمال عن الرذايل خاذل الجهول بذي

معقول ليس للمخلف مثل الرد من جالس الجهال فليستعد لقيل وقال

ما جلا عنك الران مثل البيان ولا نقل عنك البهتان مثل البرهان

لم ينج من الموت غني بماله ولا فقير لاقلاله إذا اردت طرد الحر

فسمه الهوان كثرة العلل افة البخل كفر النعمة لوم وصحبة

الأحمق شوم ان من الكرم لين الشيم اياك والخديعة فانها

خلق اللئيم امحض اخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة رب شاب

قد هاجه العتاب الصدود آفة المقت سبب الحرمان التواني من سأل
فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب
يؤوب إن من الفساد إضاعة الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد
ولا ترغب فيمن يزهد فيك رب بعيد أقرب من قريب المزاح يورث
الضغائن وسل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار غثك
خير من سمين غيرك من أجد المسير أدرك المقيل استر عورة أخيك
لما تعلم فيك لا تكثر المزاح فتذهب هيبتك ولا الضحك فيستخف
بك من أكثر من شيء عرف به كفى بالحلم ناصرا المنة تهدم
الصنيعة نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة ربما نصح غير الناصح وربما
غش المنتصح الكلام فيما ينفعك خير من السكوت والسكوت عما يضرك
خير من الكلام لا يغرنك من جاهل قرابة ولا جوار ولا الف فإن
أقرب ما يكون من النار أقرب ما يكون منها ارفض الدناءة تلزمك
المهابة دع مجالسة أهل الريب على كل حال فإنك ان يسلم دينك
لم تسلم من سوء المقال الكرم شكر البلاء واللوم كفر النعمة أكرم
الصنائع سلامة الصدر لا تسلم من الناس حتى يسلموا منك من
عدم الإيمان لم تزده الرواية فقها الحرب مفسدة للعقل ومقطعة
الحيلة الكثرة من النوم اماتة للقلب شدة الحزن تدل على ضعف

النفس

النفس محادثة السفهاء والحمقاء تورث سوء الخلق الدليل على الحمق الإعجاب
المرء بعقله من لا يستمع الحديث فارفع عنك مؤونة من حدث من لم يفقه
كمن قدم مائدة إلى أهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحدثه
فليس بصاحب أدب من عرف بالصدق جاز كذبه من عرف بالكذب
لم يقبل صدقه من وصل من يحسده قوي عدوه وقصر في نفسه
اغتفر له صديقك من غضب من غير شيء رضي من لا شيء من
غضب على ما لم يقدر عليه طال حزنه الرجل عبد هواه لولا جهل
الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كسل الفقير
هلاكه شح الغني فضيحته من لم يتورع في كلامه اظهر فجوره
كل شيء لا يوافق الأحمق فاعلم أنه صواب إذا غلبتك امرأتك
على الأمر فجاهدها فإنها عدوتك من لم يعرف الخير من الشر فالحقه
بالبهائم من طلب ما عند البخيل مات جوعا جار الرجل الجواد كمجاور
البحر لا يخاف العطش وجار البخيل في المفازة إذا لم ينتفع بمصادقة
الأحياء فإن أهل القبور من عادا من فوقه ابغضه من تحته الرزق
مقسوم والحريص محروم من كثر كلامه على المائدة غش بطنه
وأبغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل
يستطعم الشر والعالم يمنع نفسه من الشر من لم يربح في الثنا

فليس له نصيب في المروة إذا كان لك جار وصديق لا ينتفع به فصور
مثله في الحايط فانه ازين للحايط واخف للمونة العاقل يرغب في
الادب والجاهل يهرب منه العاقل إذا فاته الادب لزم الصمت
لا يستنطق من يكذبه العاقل يتهم رايه في نفسه والجاهل يقيم على
جهله من لم يملك عقله افتضح من استشار عدوه في صديقه
امن بقطيعته مصادقة الكرام غنيمة ومصادقة اللئام ندامة
لا تدخل على صديقك التهمة فيرجع لك عن النصيحة إذا انقطع
رجاوك من صديقك فالحقه بعدوك من طلب مرضات الاخوان
من غير شي فليصادق اهل القبور العاقل ليس في مصادقته مخادعة
راس مال الاحمق الخديعة وفايدته الغضب الحليم راس ماله الصمت
وفايدته الحكم إذا اجهل عليك الاحمق فالبس له سلاح الرفق
واللطف صديق كل امرئ عقله وعدو كل امرئ حمقه من
انزل نفسه عاقلا انزله الناس جاهلا من فرح بتكذيب الثنا اظهر
للناس رقاعته السكوت عن الاحمق جوابه السكوت يزين الاحمق والكلام
يشينه من استطال عليك بنسبه او بمكسبه وبخل بفضله فلا اكثر
الله في الناس مثله الجواد محبب والبخيل مبغض إذا احملت للبخيل مونته
ابدالك الحرمان والعداوة والبخيل يمنع ما عنده ويبخل على الجواد

بجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شر منه من بذل للبخيل خلته ودفع
عنه مونته دامت له مودته ضيف البخيل امن من التخم عدة الكريم
نقد وعدة البخيل تسويف وفقد الكريم يواسي اخوانه في دولته
واللئيم يقطعهم لا تخضع اليه فانه لا يعطيك انما الصديق الذي
يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك في المغيب
ويحفظك عند الرجا إذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينصحك
في الصداقة فحاده ومن غشك في العداوة فلا تلمه من كان
الناس عنده سوا لم يكن له اصدقا من صادق الاخوان بالمكر
كافوه بالغدر من لم يواسي الاخوان في دولته خذل عنه ما
منه إياك أن تبغي في مودة من يحسدك فانه لا يبغي اخاك من
حسدك على علمك لم يسمع حديثك الحاسد يفرح بزلتك ويعيب
صوابك إذا رأيت من يحسدك وسرك أن تسلم منه فعمي عليه امورك
من صبر على مودة الكاذب فهو مثله كل شي شي ومودة الكاذب
لا شي من بداك بجهله فكافه بحلمك عنه اول المروة طلاقة
الوجه والثانية التودد والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالي
ما قال والورع بتمييز كلامه من سال مشغولا فقد اظهر
ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر الى سجن عينه من لم يغلب

الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر
على الذل والهوان لا تحقر الفقير السوي ولا ترغب في الغني الذي
من تشبه بالسراب وغلبت عليه الدناة فلا تكرمه من عصيته
انكرته من اغنيته اعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بهزيمة
من صانع بما له لم يحتشم من طلب حاجته من صاحب الكتاب
مؤنتوه ومن عاداهم انكروه من سمح عليك بانفه وطمح ببصره
ولم يدخل عليك فضيلة فليهن عليك سبله السفيه يقطع مودة لم نزل
ويكسب عداوة لم تكن حمل المروة ثقيل من سالم الناس غنم خذلان
الخازم لوم رجال البلا قليل احفظ إخوانك تذل أعداك ما أجمل
الصبر على ما لا بد لك منه المحروم من طال نصبه وكان لغيره نسبه
لا قوي اقوى ممن قوي على نفسه ولا عاجز أعجز ممن عجز عنها الخير
في غير اهله غريب وما أضعف قوة من يغالب من لا يغلب

الباب الرابع والستين

يشتمل على حكم منثورة **اعلم** ايها الملك ان الله
تعالى يمتحن انبياه واصفياه باعدايه ويضطر أولياوه واحباوه
الى اعدايه رفعة وتقريبا لانبآئه وغيضا لمغوات أوليايه وذخرا.
لهم عنده وزلفا لديه تعظيما لأقدارهم وتشريفا لمنازلهم وترفيعا

لدرجاتهم قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم تعزية له لعظيم
ما كان يلقاه من سطوات اعدآيه وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين وقال سبحانه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا
يا محمد لا تستوحش منا ولا تتهمنا في سيرتنا فمن نحبه ونحبنا فالبلا
على وجهين احدهما كفارة الذنب والاخر رفع درجة وتوفير
ولذلك كان اشد الناس بلاء الانبيا ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل
فالبلا بلاآن بلا رحمة لتضعيف درجته وتمحيص سيات ذنوبه وبلوغ
فضيلة وعلو منزلة وبلا عقوبة لانتهاك حرمته واقتراف معصية
لم تخلوا الملكا من أن تكون كادث رحمته فلا رغبة عما انعم الله
به منها او لسنة عند اضاعة فلا غنا عن زاجر عنها وواعظ في تركها
فالاي ذلك كان خلولها عظمت به المنة ووجبت لله به النعمة وكان
جعفر ابن محمد اذا وقع في شي يكرهه قال اللهم اجعله ادبا
ولا تجعله غضبا **وفي الحديث** عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو كان المؤمن في راس جبل لقيض الله له منافقا يؤذيه يا من ضاق
صدره وحرج قلبه وسآت خلقه من عدو اقلقه او حاسد حسده.
طب نفسا وقر عينا وانعم عيشا بشهادة الرسول صلى الله عليه

وسلم لك بالايمان ولعدوك بالنفاق بخ بخ لك ان عقلتها اما لك
في الانبيا إسوة اما لك في الصالحين قدوة فلو لم يلق الله تعالى الا بما
اقترفناه بالحساب اختبارا للقينا الله تعالى فقرا من الحسنات ثقلا من السيات

قال الشاعر

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ۝ ويبتلي الله بعض القوم بالنعم
وقد قال بعض الحكما الذي راينا مما نحب فيما نكره أكثر فيما رأينا
مما نحب وقال علي رضي الله عنه ما أهمني ذنب امهلت
بعده حتى أصلي ركعتين السجون قبور الأحياء وشماتة الأعداء
وتجربة الأصدقا أسعد الناس من كان له القضا مساعدا وكان
لمساعدته اهلا اغلب على الكريم من ندر اليه الشماتة لوم عوام
الناس عدة لخواصهم يجي القدر يسبق الحذر من سخر من غير شي يلزمه
والناس نهب المصايب ومذ اكرة الرجال تلقيح لالبابها اقل ما
في طالب الحيلة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه اعظم
جرما عليها من المعاقب له عليها قرابة من غير منفعة بلية عظيمة النعمة
منعة كفاك ابعد عن ادبا لنفسك ما كرهته من غيرك الحمية
شوبوب الجهل الانفة قوام العقل السبعة يفرج ساعة ثم تعود الا العافية
رد كمن لا يومن ازدحام الكلام مضلة الصبر عجلوا القري قبل سوء

الظن

الظن والحاق السنة اعجب ما في هذا الانسان قلبه نكتة وله موادد
من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجا اذله الطمع وان
هاج به الطمع اهلكه الحرص ولين ملكه الياس قتله الاسف
وان عرض له الغضب استبد بالغيظ وان اسعد بالرضى نسي التحفظ
وان نال له الخوف شغله الحذر وان اتسع له الأمر استلبه العزة وإن
حدثت له نعمة اخذته العزة وان امتحن بمصيبة فضحه الجزع وإن
افاد مالا أطفاه الغني فان عضته فاقه شغله البلا وان اجهده
الجوع قعد به الضعف وان افرط في الشبع كظته البطنة فكل
تقصير به مضر وكل افراط له مفسد أفضل القول بديهة امرء
وردت في مقام خوف اشد الناس غما الذي يرى غيره في المكان
الذي هو فيه أولى ما اخذ الله طاقة احد الا رفع عنه طاعته من
العجب ان لا يرضى عمن ابتغي رضاك واعجب من ذلك أن يسخط عليه
زئير الأسد ينسيه صولته علامة العلما العلم بالاعراض عند المبادهة
لا تعادوا حتى تروا لا تفتخروا حتى تفعلوا لا تفرقوا حتى تظلموا
أوجه الشفعا تراه الساحة من لزم الصحة والاستقامة لزمته
الغبطة والسلامة قصص الأولين مواعظ الآخرين البحث يوضح
الحق كما يوري النار القدح ليس مع الحسد سودد ولا مع الحرص

راحة ولا مع السخط غنا **قال** جعفر الصادق رضي الله
عنه عجبت ممن ابتلى بأربع كيف يغفل عن اربع لمن ابتلي بالضر أن
يقول رب مسني الضر وانت ارحم الراحمين والله تعالى يقول فاستجبنا
له وكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن خاف شيئا أن يذهب عنه أن
يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم
وعجبت لمن بلي بالغم أن يذهب عنه ان يقول لا إله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه من
الغم وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن مكر به بلي بعدوان أن
يذهب عنه أن يقول وأفوض امري إلى الله إن الله بصير بالعباد
والله تعالى يقول فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون
سوء العذاب وعجبت لمن انعم الله تعالى عليه بنعمة خاف زوالها أن
تذهب عنه أن يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة
إلا بالله كذا اشبه الحق فمن صدق قلبه في النجاية اليه ولم يتوكل
في مهماته إلا عليه اليمين مائتة ومندمة ألذ الموارد منجاة من متلفه
أو قدوم غايب بعد أن خاف بالناس منه الركائب وأضر المصادر
ظفر على قنوط الطبيعة مخالفة المروة بيئس فاصبر لحق وجب عليك

وان خالف هواك بها المجلس الشريف بالرجل الجليس النفيس التقا
راحة وروح بها العمل النافذ بالرجل الذين يركبها اليا قوت
واللؤلؤ في تيجان الملوك ما انور الهدى ما أظلم العمى ما أكرم
التقا ما أخدع الهوى ما اتعب المنا ما أسرع البلا ما أجهل الصبا
الجود أن تهضم الروح حظ الجسد والاسراف حظ الروح والعدل
أن تعطي كل واحد منهما حظه والشح أن تلتهي حظوظهما عنهما
عدو يخاف الله فيما يكره خير من صديق لا يخافه فيما يجب من
العجب أن يطلب في صحة كل علم ما يقنعنا ويقبل العلم إلى الله تعالى
من غير حب من صحبة لا يروعك الباطل بما ترمي به ولكن
احذر أن تصدع قلبك بالحق فتشهد عليك عيناك ووجهك من
بطل رؤساه كثر منحه المراعب فغيو بقدر رعيته الحق يعطي
ويمنع تجاوز عن الذنوب الناس لتحتج عليهم واجتنب الذنوب
الثقال تحتجهم عليك الفراغ الفاضل عن الحمام مفسدة الحمية إحدى
العلتين الفرق ينسي الحجة جا في الغلبة في كلامك بينهم وبين
السفلة في أحكامك موت في عز خير من حياة في ذل الاكتفا
من كل نمط مبتا عون ما ضاع امر عرف قدر نفسه الدعة
الهيبة تكون بعد انقضا العمل لمن يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه

خير الناس من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة الحاسد يظهر ودّ ا
في كلامه وبغضا في أحكامه قاسم الصديق ومعني العدو
الريا يفسد العلانية والعجب يفسد عمل السرّ اذا كثرت القدرة
قلّت الشهوة من عرف قدره كفاك نفسه كفى بالظفر شفيعا
للمذنب الى الحليم لسان الجاهل دليل حتفه لا ظفر مع بغي ولا صحّة
مع نهم ولا ثنا مع كبر ولا صداقة مع حب من لم يعرف قدره
فاكفه نفسك احق ما رد ما خالف شهادة العقل قطع ظهري
وأفسد الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعوا الناس
الى جهله بنسكه وهذا ينفّر الناس عن علمه بفسقه من قوي هواه
ضعف حزمه من ظهر غيظه ضعف كيده كفى بالظلم طاردا
النعمة وداعيا للنقمة من قبل صلتك فقد باعك مروته الهديّة
تفقا عين الحكيم عفو الراي خير من استكراه الفكر ما استنبط
الصواب بمثل المشاورة ولا حصّنت النعم بمثل المساواة من لم
يومن بالقدر فقد كفر ومن جحد الله فقد خسر ما اكتسبت البغضا
بمثل الكبر من استغنى بالله افتقر اليه الناس التقصير يحجبك عن
الصواب الافراط يقحمك في الخطا ثلاث خصال ما اجتمعن الا في كريم
حسن المحضر واحتمال الزلل وقلة الملال كفى مخبرا عن ما بقي ما

معنى

معنى وكفى عبرا لذوي الالباب ما جربوا التهاون بالمطلوب
أول اسباب حرمانه الشبهة ظلمة لن يضيع أمر صواب القول حتى يضيع
امر صواب العمل خير الامور ما سر عاجله وحسنت عاقبته لا شرف
مع سوء ادب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرّم مع حرص ولا محبة
مع زهو ما حاله الفكر تستخرج الراي المصيب وبحسن التأنّي
تدرك المطالب وبالتعصب يكثر المواصلون الفاحشة عار الكبد
وعقوبة عند الشماتة يعقب الندامة من سخر ابتلي قال الله تعالى
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا تعدا المتفضلون هلك
المتحملون ربّ صبابة غرست من لحظة وحرب جنت من لفظة ما
شاهد على غايب بادل من طرف على قلب شر المال ما لا ينفق منه
أفضل المال ما صين به العرض وبالافضال تشرف الاقدار الذي
يكون سببا لفساد نفسه أذل ممن يفسده عدوه أو دهره
لا تجدن وديعة مالا الشهوة رق الحرص حزن يعبّر عنه اللسان
وعن المولدة العيان لا شرف اعلا من الاسلام ولا كرم أعلا
من التقوي ولا شفيع أغنى من التوبة أولى الناس بأمر من حافظ
عليه الخير موضوع لمن اراده موقوف لمن عمل به الرغبة مفتاح
الطلب ومطية الحسد الحرص داع الى الحرمان والتنفل بالحسنة

تنفي السيئة المكافاة بالسيئة دخول فيها التقي البغي سابق إلى
الحين سابق الى الخير اصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود حق المذموم
التأنيب وحق المحروم المعونة والعافية من الجهل والجفا اظهار الفرح
عند المحزون يحقد على الفرح ويشكر المكتئب من ظل
السلامة بدت افاعي الآفات أعظم الناس قدرا من لم يجعل الدنيا
لنفسه قدرا ما أحدث محدث بدعة الا نزل بها سفه عزايم الأمور
خيارها ومحدثاتها شرارها الملك يكسب من انفاقه والعامة
ينفقون من كسبهم من افنى عمره في جمع المال لخوف العدم فقد أسلم
نفسه للعدم **قال الشاعر**

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي صنع الفقر

من لم يقدر على جمع الفضايل فلتكن فضايله ترك الرذايل إن لم يكن
ملحا يصلح فلا تكن ذبابا تفسد استصلاح بعض العدو أفضل
من اهلاكه من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في عدوه ما يسره
خير الكتب ما إذا أعاد قاريه النظر زاد حسنه أو وقف على هذه
حد أثقل الاحمال من اتسعت مروته قلت مقدرته إستحي من الله
بقدر قربه من عقلك وأطعه بقدر حاجتك إليه وحقه بقدر قدرته
عليك واعصه بقدر صبرك على النار واعمل للدنيا بقدر مقامك فيها واعمل

للاخرة

للآخرة بقدر بقايك فيها الملك ينفق ليكسب العامة والعامة
تكسب لتنفق والطاعة بقدر الفاقة تخش زوال النعم إذا زال
معها الشكر التحمل أولى للأمور بك أوجبها عليك الدنيا العافية
والشباب الصحة إذا أقبل الأمر سر وإذا أدبر ضر إذا اعدل السلطان
ملك قلوب الرعية وإذا جار عليهم لم يملك منهم إلا الريا والتصنع
الصدقة من سعة وابدا بمن تعول إذا اضرت النوافل بالفرايض
تركت النوافل وقدمت الفرايض قدر الرجل على قدر همته وصدقته
على قدر مروته وشجاعته على قدر الفته وعفته على قدر عيوبه من اطاع
الواشي ضيع الصديق من جعل لنفسه حظا من حسن الظن روح
عن قلبه شر ما لك ما لزمك اثم مكسبه وحرمت منفعة إنفاقه
رب مغبوط ابليلة قامت بواكيه في آخرها لا ترجو اخيرا من لا يرجو
خيرك ولا تامن جانب من لا يامن جانبك تارك الطلب ضجرا
أرجى للعودة من تاركه خورا ثمرات الشهوات المجازي الخصومة
تمرض القلب أعم الأشيا نفعا فقد الأشرار من استكفى الكفاة
كفي الأعدا خير مالك ما أغناك وخير منه ما قواك صولة الكريم
• صيلم ذنب اسد خير من راس كلب جبهة العتر يهدي حافر الفرس
من استبد برأيه خف وطاته على اعدايه إنما لك من دنياك

ما أصلحت به مثواك من امن الزمان خانه ومن تعزز عليه اهانه كما
يجب أن تكون المراة أقوي من الناظر كذلك يجب ان يكون المؤدب
أفضل ممن يؤدب من ترك العلم بما ينبغي عمل بما لا ينبغي ليس في الشر
اسوة ولا في الخطا قدوة لن تكون لله ناصحا حتى يجب عدوك
إذا اطاع الله في عداوته ويك على عداوته وتقلع عما عاداك عليه وتعض
قلبك إذا اعصي الله تعالى في موالاتك وتنزع عما والاك عليه لا
تكن على الاساة أقوي منك على الاحسان الشقي من جمع لغيره
وطن ومن على نفسه بخيره شر اخلاق الكريم أن يمنع خيره من كانت
الاخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه من كانت الدنيا رأس ماله
كانت الاخرة خسارته أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه أفضل
العلم ما قضيت به الحقوق البدع حجاج منصوبة محبوة فقد علقت
عليها الفاظ ظاهرة رجا العامة أمنية على ضلاله ورجا الخاصة
يعين على نقه القليل من الملك كالكثير من غيره اعطا الملك زينة
وسواله شرف إذا اكثر كذب السفير بطل التدبير اخبث
الأزمنة زمن لا يثمر فيه الصواب لا تعطوا في الفضول ما خفتم
العجز عن الحقوق الاذان اقماع تودي القلوب فوابل يبغي من احب
أن يسمي ذاهبة لم يظهر دهاه لا دليل أهدى من التوفيق الجلا والبلا

من

من عرض نفسه للتهم فلا يلومن اسا به الظن الحفظ قيد العلم الدراسة
أذكي للفهم المقابسة أحبى للفطن استدم النعمة بالشكر والقدرة
بالعفو والطاعة بالتاليف والنصر بالتواضع لله والرحمة للخلق استقلال
الكثير يعرض للتقتير ثلاثة أشيا تدل على عقول اربابها الكتاب
يدل على عقل كاتبه والرسول على عقل مرسله والهدية على قدر مهديها
لم يحكم على العقول حاكم كالخبر ولم يحكمها محكم كالتجربة من
عاب سفلة فقد رفعه ومن عاب سيدا فقد وضع قدر نفسه أحق الناس
من أعرض على الدنيا أهل الاخرة من صحت سرايره وسقم من سقمت
ظواهر ضمايره بالكلام يعرف فضل العقل كما بالرسول يعرف
قدر المرسل ملاك أمركم الدين وعصمتكم التقوي ورسلكم الكتب
وحصون اعراضكم الحلم إذا اعطيت ما لا ترضي فارض بما اعطيت كلما
ازداد الخير كثرة كان الخارج منه أكثر حسرة وبقدر السمو في الرفعة
يكون وجبة الغفلة الابقا على العمل اشد من العمل من التورقي ترك
الافراط في التوبة تورث الحرمة والزمام شبه في المروة كما ازدرا
بو التركه فريضة في الديانة لا تدخر جزا من اماكن من قدره فيكون
مهيبا لنفسك كذا انا على غيرك لا تفرح بسقط عدوك فانك لا تدري
متي يحدثها بك الزمان من الجفا الكلام في الامر الجسيم من غير مشاورة

أكبر الناس مخادع لنفسه في أمر حسده عند الحمية وأكثرهم عاذر
في مروته عند الشهوة وفي أمر دينه عند الشبهة المصايب يتقيان
العاقل المدبر أرجا من الأحمق المقبل الشرف الصنايع ما لم يكن مكافاة
لماض ولا رجاء لباق ارض النظر لمن كلفه والسرا للهي لمن استمع منه
لمن يكن عوانه ولا هدايته الا والتهما سايروعنهما ناهض احسانك
الى الحر يحرضه على المكافاة واحسانك الى الخسيس يبعثه على معاودة
المسلة ليس يمتحن الأديب بأن يكون فاعلا للخير انما يمتحن بأن يكون
تاركا للشر ومن صنع خيرا فاضعفه له والا فلا تعجز أن تكون مثله
الأشرار يتبعون مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع الذباب
المواضع النغلة من الجسد ويدع الصحيحة الظرف فطنة مازجها عبارة
مع حذر وتوق فاذا خلت الفطنة عن التوقي فصاحبها لا يستمتع به
أهل المروة فاذا خلت الفطنة من العبارة وفاتته ملاحة فصاحبها
طيب الطرف فطنة معها بعض الارشاد الالفاظ التي يرتفع عنها
أهل الجلالة من المخلصين في باطن الدنيا والمسرفين في ظاهر المجالس
وسمعت القاضي ابا العباس الجرجاني بالبصرة يقول أول من نطق
بهذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انه اتاه سارق
فقال له اسرقت قل لا قال لا فقال له عمر انك لظريف جهد البلا

الاقلال والعيال ينبغي للجاهل أن يتطامن للعالم بقدر ما رفعه الله
عليه العقل افقر الى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام والشراب
أعظم الناس غما من زالت نعمته وبقيت شهوته وضاقت مقدرته قلة العيال
إحدى اليسارين ملاحظة الموجود خير من انتظار المفقود من عدم الحيا
عند الفضيحة والصبر عند النصيحة سهلت عليه المعاصي كلها العالم
مثل السراج من مر به اقتبس منه من تقدم بحسن النية نصره التوفيق
أن يكون لله ناصحا حتى يحب أن يكون عدوك له مطيعا من آذى
الناس بالسلطان كان مصيره الى الهوان ما دحك بما ليس فيك مخاطب
لغيرك فجوابه وثوابه ساقطان عنك المكر والخديعة في النار
الاحداث يأتي من على مأمنه يؤتى الحذر الماكول للبدن والموهوب
للمعاد والمحفوظ للعدو من غضب على من لا يقدر على غمه عذب نفسه
واشتد غيظه أطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك فان في ترك
ما لا يعنيك من انكا الأشيا لعدوك أن تريه انك لا تعاديه
كل آت قريب الاستغنا عن الشي خير من العناية من خير خير ان تسمع
بمطر لا فخر فيما يزول ولا غنا فيما لا يبقى شر العيوب ما كان
مضمنا بعيوب شر الذنوب ما كان عليه لذنوب أبلغ الرسل الكتب
حاول الامور بالتصفح وأنا زعيم لك بالظفر من اراد ما لا ابرمه

الايام فليصحب المروة والصيانة فهما ذروة الشرف رب امر له ما بعده
من سبق اليه كان له صفوته من شروط المروة التغابن الضعيف
المروة بركب الريبة يكاد استقصا القوي على الضعيف يكون
ظلما يكاد استقصا الغني من الضعيف أن يكون جورا القران
ظاهره انيق وباطنه عميق اول له حكم واخره علم المحادثة على الطعام
تزيد في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الانقباض لن تنال ما تحب حتى
تصبر على كثير مما تحب ذهاب البصر شين قليل البصر خير من كثير
من النظر لا تعد العزم عزما إذا سابق عزما مع الراي الاول
الوهم النظرة بعد النظرة تعقب لما قبلها وتزيد لما بعدها ليس مدح
الرجل بما فيه بركبه انعم الناس من كفي امر دنياه ولم يهمه امر دينه
الغريب من فقد اخوانه ونظراه وان كان في وطنه الغريب من
لا صديق له الغريب الفقير الغريب الاحمق الغريب من لا ناصر له
شيأن لا يستحي منهما المريض وذوو القرابة الفقير من كانت الدنيا
سبب صلته لك فانها سبب قطيعته فاحذر ان تجعلها وسيطة
بينك وبين احد علامة الاشرار ان من خالطهم لا يسلم منهم ومن
تركهم لا يصبر فواشرهم عنه واما الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم .
ومن غالطهم نزل رشده البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود

في

في العشرة والعفو عند المقدرة من عتب على الزمان طالت معتبته
ستنسا ق الى كل ما انت لاق إذا صح الارتياد للرشاد وجد المراد
ما عتق من الزم من ملكه الجهل ولا ظفر بالعز من احتمل ما في المعصية
من الذل ولا خرج من الدناة من صرف جميع عقله الى الدنيا خالص الظلما
ميت المسئلة اجر المكتسب تباعد من أهل الحجي من كان من أهل الهوي
ولا كان من أهل النفاق التقي من حاد عن سبيل الهدى من ذم ادني
الاحسان لامتناع اقصاه لم يحمل شيئا منه من دواعي الهلكة اضاعة
المعروف واعجبا لمن يبني داره وحشمه تهدم ولمن يرم أمر الدنيا
وامور في نفسه تحل قال علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه من لم يكن معنا كان علينا والساكت اخو الراضي الكاتم
للعلم كمن لا علم له او هو غير واثق فيه بالصواب العلم بما في المصيبة
من الثواب ينسي الثواب ويبني المصاب شر المصيبة سوء الخلف منها
الحكمة ربيع القلوب الخصومة تذهب المسرة وتورث المضرة بلا
المومن من عاقبته كالنار حريقها من بردها فلا يكن الناس ادراكا .
إذا كان الطمع هلاكا من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل رفع
الجاهل قدره عليه الذلة مع القلة تجوع الحرة ولا تاكل بثديها .
موت عاجل خير من ضنا اجل الغضب عند المناظرة منساة للحجة

الاختصار اثبت للمتكلم واثبت للسامع الكلب في الحاضرة ينبح الضيف
ويدفع الزاير ويرد السايل والكلب في البادية يعين الصاحب ويندر
بالضيف ويدفع السارق لا تغتر بقول الجاهل لك ان في يدك
لؤلؤة وانت تعرف انها بعرة مثل الصلاة مع العبادات مثل السفينة
مع جميع ما فيها ان سلمت سلم الكل وان اصيبت اصيب الكل الحب
والبغض فيه طلب المطمع مطل الموسر عجز وظلم قد ينطر المنطق من يعني
به اذا فسد الزمان كسدت الفضايل وضرت ونفعت الرذايل
ونفعت وصار خوف الموسر اكثر من خوف المعسر بقا اهل الخير عمارة
القلوب لا يصيد الكبير من لا يصيد نفسه الواجب بالعمل من لا
يحسن او يحسن المنطق بالقوة يتم العمل الفكر مراة من اعظم الناس
وجاهة من قل ماله وكثر مجده الادب مع العقل كالشجرة
المثمرة والعقل بلا ادب كالرجل العقيم الما اكثر من القول
والقول اقسى من الحجر وقد يتلم الما في الحجر اذا كثر الجريان عليه
اشد الاشيا اخفا الفاقة اولى الناس بالرحمة عالم يجري عليه حكم
جاهل لم يعب من شهد رايه ولم يخيب من بقي اثره ولم يمت من
خلف علمه وقد سبق المثل ليس للهالك من بركة مثل ملك كما انه قبيح
اذا ركبنا الخيل ان يجري بنا حيث ارادت دون ان يدبرها كذلك

فتيح

قبيح ان يجري البدان بالنفس والعقل حيث ارادت من الشهوات
احسن الامور معرفة الرجل بنفسه غايب المجتمع عليه محجوج ليس شي
من البر الا ودونه عقبة من الشر من ظلم وللانسان وزر باق
ووبر مطلوب

قيل للحكيم

هل للغضب مادة تحسمه
قال نعم ان يعلم الانسان انه ليس يجب ان يكون مطاعا ابدا ولا يجب
ان يخدم ابدا ولا يجب ان يصبر ابدا ولا يحتمل خطاه بل قد يطيع
ويخدم ويحمل الخطا ويصبر على البلا والثواب فاذا فعل ذلك لم يغضب
واذا غضب فقليلا السعيد من وعظ بغيره الشقي من وعظ نفسه لا
تنفع كثرة العلم لمن لا يعلم كما لا يغني ضوء الشمس عمن لا يبصر
رضي بالذل من كشف ضوه بترك الورع وازرى بنفسه من استشعر
الطمع المبدع فخاج بسيرها زخرفة الكلام وخدع المقال الناس
في الدنيا بالاخوان وفي الاخرة بالاعمال صديق الرجل عقله وعدوه
حمقه من اعتمقت اليه النعمة اديت اليه الرغبة حفظ الاحمق من
كل شي الا من نفسه لا مال الا الجود ولا صدقة الا بوفا و لا
فقه الا بورع القليل الذي يشتهي اوجى من الكثير الذي لا يشتهي
قلوب الرجال وحشية فمن تالفها اقبلت عليه اجعلوا بينكم وبين
الحرام سترا من الحلال لقا الرجل اخاه مسالة للهموم من لم يصلح

على تدبير الله تعالى لم يصلح على تدبير نفسه الاحلام فرح وهم كاذب
والعمل بهما كالمعتمد على الظل الزايل الدنيا دول فما كان لك منها
اتاك وما كان عليك لم تقو على دفعه العافية خير من الواقية الكريم
لا يستحي من اعطا القليل العفاف زينة الفقير الكرم حسن الفطنة
واللوم سو التغافل اختلاف كلام المرء دليل على مثل هواته من
حق النعمة أن يرى اثرها من كان شبعه في الطعام لم يزل جايعا
ومن كان غناه في المال لم يزل فقيرا خايفا ومن كان قصده في
حوايج الخلق لم يزل محروما ومن استعان في امره بغير الله تعالى
لم يزل مخذولا ومن خاف من فوقه خاف من دونه ومن لم يخف
من فوقه لم يخفه من دونه ما تحسنه ولا يعمل به لغيرك نوره
عليك نوره واعجبا لمن يختار الذلة في طلب ما يفني على العز في طلب
ما يبقى من حذرك كمن بشرك الشفيع جناح الطالب إذا اقبلت
عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى وإذا أدبرت عنك فانفق
منها فانها لا تبقى قال الشاعر

فانفق اذا ايسرت غير مقتر ۝ وانفق على ما جلت حين تعسر
فلا الجود يفني المال والحظ مقبل ۝ ولا البخل يبقي المال والحظ مدبر

الغريب في كل مكان مظلوم من سلك الجدد أمن العثار لم يجز راكب

الفضل عجبا للئيم يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الكرم الذي
قد اتاه بطلب فيعيش في الدنيا عيش الفقرا ويحاسب في الآخرة
حساب من يطل ذيله فكثر وبله عنك من خير سمين غيرك ان اجبت
الا يفوتك ما تشتهي فاشته ما يمكنك من قصد اسهل ومن اسرف
أو عز القصد احد الراحتين شر التيسر المحققه ترى لنفسك في المجالس
مجلسا لا يعترض لك ولا تقام منه اقلع الشر من صدر غيرك بقلعه من
صدرك وازجر المسي باثابة المحسن لكي يرغب في الاحسان لن يهلك
من مالك ما وعظك الخلاف يهدم الراي خير الناس لغيرهم خيرهم لنفسه
احسان الله مكفور عند من اصبح مصرا على ذنب مستور يصير التخلف
خلقا بالاجتهاد والاعتبار الحجر الغصب في البنيان دليل على الخراب
ربما شرق شارب الما قبل ريه راي انفع من مال وحزم أوفى من
رجال من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام من ذم الدنيا
الزمان لم يجد الاخوان تتقلب الأحوال تعلم جواهر الرجال من عرف
الزمان لم يحتج الى ترجمان ومن عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد
رسولك ترجمان عقلك الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط
العجزة كلما اشتد الظلام حسن ضو السراج الثنا بأكثر من
الاستحقاق والتقصير خلق عن الاستحقاق عي لو حقد أولى الناس

بالحكمة من احتاج اليها يحرمها من لم يدر قدر التلا ثم لم يرحم اهلها
كفاك ادبا لنفسك ما كرهته لغيرها مجالسة الاحمق غرر
والقيام عنه ظفر لا تسل عما لم يكن فان الذي قد كان تشغل البخل
جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء رب مغبوط
باول ليلة قامت بواكيه في اخرها اذا صح القلب وصح العمل كان
التوفيق اجرا والعواقب الاجتهاد والاجتهاد اربح بضاعة التوفيق
خير فاين كمال العمل التوفيق ومن يرفق في اشمام الحظ من النعمة
ادرك وبلغ مقارنة الناس في اخلاقهم امنا من غوايلهم لا تنظر الى احد
بالمكان الذي رتبه فيه زمانه ولكن انظر اليه بقيمته في الحقيقة
فانها مكانة الطبيعي ابعد الناس سفرا من سافر في طلب اخ صالح
ليست البركة من الكثرة ولكن الكثرة من البركة وقال
داود عليه السلام ان كان ما ترى من الجهل يغيظك اذا تفكر
الجهل ويطول غمك **قيل** لبزرجمهر ما لكم لا
تعاتبون الجهلة قال لانا لا نريد من العميان ان يبصروا الفسق
مرض نفس فارغة لا همة لها اخالة الفكرة استخراج الفطنة والفطنة
تتبع الاساة بالندم ويتبع الندم بالاقلاع الامن بالبراة وكثرة
الصديق بالتواضع اعم الاشيا الاساة بالندم ويتبع الندم بالاقلاع

الا

الامن فقد الاسرار من بدر عداوة حصد ندامة السمنة للنسا علمة
وللرجال غفلة **قال** المسيح عليه السلام ما حلم من لم
يصبر عند الجهل وما فوقه من لم يرد الغضب وما عبادة من لم
يتواضع للرب تعالى عبادة التوكي في غير وقت والجلوس فوق
القدر اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة **قيل** لحكيم
اخرج الهم من قلبك قال ليس باذني دخل من اغير حاله قصر في احتيا له
اياكم وطلب الامور من غير وجهها فيحبطكم طلبها ولا تدركوا
حظا منها هيبة الزلل تورث الحصر **قيل** لحكيم لاي شي
تزوجت امراة ذميمة وانت وسيم قال احترز من الشراقلة وقيل
لحكيم ما تقول في الزواج قال لذة شهر وهم دهر فتنة عالم اكبر
من غواية الف جاهل يتم المعاتب ولا يتم المغادير الموالاة في الاسلام
بمنزلة الحلف في الجاهلية سب الجهال للحكما تشريفا لهم عند
اهل الفضل لان الجاهل منسوب الى فعله وكما ان الحكيم يتالم بحديث
الجاهل كذلك الجاهل يتالم بسماع الحكمة اغنى الناس عن
الحقد من عظم قدره علي المجازاة الكبير الهمة من الرجال ما كان
عتب الناصح الطف عنده من ملق الكاشح ان كانت الجدود
هي الحظوظ فما بال الحرص وان كانت الامور ليست بدايمة فما بال

السرور وان كانت الدار غدارة فكيف الطمانينة اليها وقال الشعبي ما رايت الله تعالى اعطى عباده اجل من العلم **قال** عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترج به ليس من امر الدنيا والاخرة من لم يعرف الوثيقه في ارومته بالدمانه في خلقته والكرم في طبعه والنيل في نفسه والنجاة عند ربه قال ابو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج الي دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فراى ديرا قديما هناك حسن البنا بين مزارع وانهار واشجار فدخله فبينما هو يطوف اذ بصر برقعة قد التصقت في صدره فامر بقلعها واذا فيها هذه الابيات

أيا منزلا بالدير اصبح خاليا ... تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بيض اوانس ... ولم يتبختر في فنايك حور
وابنا املاك عواشم سادة ... صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس ... وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقا ضراغم ... وانهم يوم النوال بحور
ليالي هشام بالرصافة قاطن ... وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذ العيش غض والخلافة لذة ... وانت طريب والزمان غرير
وروضك مرباد ونورك مزهر ... وعيش بني مروان فيك نضير

بلى فسقاك الغيث صوب سحايب ... عليك بها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي فيكما فبكيتكم ... بشجو ومثلي بالبكاء جدير
فعزيت نفسي وهي نفسي اذا جرى ... لها ذكر قومي انة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم ... لهم بالذي تهوى النفوس يدور
فيفرح مسرور وينعم بايس ... ويطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان الدهر يتبعه غد ... وان صروف الدايرات تدور

قال فلما قراها المتوكل ارتاع وتطير وقال اعوذ بالله من شر اقداره ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لا علم لي به وهذه الكتب وصفاتها فتجل عن بلوغ الوصف **ولقد** احسن ابن الجهم في قوله هذه الابيات

سمير اذا جالسته كان مسليا ... فوادك مما فيه من الم الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة ... وغير حقود او مصر على الحقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل ... ولا خاين عهدا على قدم العهد
زمان ربيع في الزمان باسره ... يحيك روضا غير ذاو ولا جعد

وانشد بعض الاعاجم

اذا ما خلا الناس في دورهم ... بخمر سلاف وخود كعاب
وانسهم خنسات الليالي ... بعد الندامى وزهو السحاب

خلوت وصحبي كتب العلوم وتلت عروسي بنت الكتاب
ودرس العلوم شراب العقول فدوروا على تلك الشراب
وما يجمع المرء في دهره سوى العلم يجمعه للثواب

ومن مليح ما أنشد في الدفاتر والكتب

إذا ما خلوت من المونس جعلت المؤانس لي دفتري
فلم أخل من شاعر محسن ومن عالم صالح مندري
ومن حكم نثر إبانها فوائد للناظر المفكر
وان ضاق صدري بأسراره وأودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب لم احتشمه ولم احضر
وان عدت من صحة بالهجا وسب الخليفة لم أوخذ
ونادمت فيه كريم المعيب لندمانه طيب المخبري
فلست أدري مونسا ما حييت عليه نديما إلى المحشر

وأنشد بن حزم لبعض الأدبا

إن صحبنا الملوك تاهوا علينا واستبدوا بالرأي دون الجليس
أو صحبنا التجار عدنا إلى الفقر وصرنا إلى حساب الفلوس
فلزمنا البيوت نتخذ الحبر ونملا به وجوه الطروس

وزاد فيه ابن حزم أيضا

لو تركنا وذاك كنا ظفرنا من أمانينا بعلق نفيس
غير أن الزمان أغنى بنيه حسدونا على حياة النفوس

وأنشد غيره

أنست إلى التفرد طول عمري فما لي في البرية من أنيس
جعلت محادثي ونديم نفسي وأنسي دفتري بدل الجليس
قد استغنيت عن فرسي وبغلي إذا سافرت أو بغل كبوس
ولي عرس جديد كل يوم يطوح الهم في أمر العروس
فبطني سفرتي والخرج جسمي وهمياني فمي أبدا وكيسي
وبيتي حيث يدركني مسائي وأهلي كل ذي عقل نفيس

ولين كان الناظمون قد وصفوا فجودوا وقالوا فبلغوا فلقد قصروا وأجل ممدوح من استقصر في مدحه المنتهي وتبين في تقريظه المحتفل وكيف لا والكتاب نعم الأنيس في ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وعالم علما وظرف حشي ظرفا وإناء ملي بوصفه وأجي ببستان يحمل في خرج اذن وروضه تقلب في حجر هل سمعت بشجرة تؤتي أكلها لا يذري وزهر لا يتولى وثمر لا يفني ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه والجنس وضده ينطق على الموتى ويترجم عن الأحيا وإن

غضبت عليه لم يغضب • وان عربدت عليه لم يحب • اكتم من الارض
وانم من الريح • والهى من الهوى • واخدع من المنى • وامنع من
الضحا • وانطق من سحبا وابل • واعيى من باقل • هل سمعت بعلم
واحد يحلى بحلل كثيرة • وجمع اوصافا غزيرة • عربي فارسي
نوفى هندي سندي رومي يونانى إن وعظ اسمع • وإن الهى امتع
وإن ابكى ادمع • وإن ضرب اوجع • يفيدك ويستفيد منك
ويزيدك ويستزيدك • ان جد فبشره • وإن مزح فنزهة قبر
الاسرار • وحدنا الودايع قيدا العلوم • وينبوع الحكم ومعدن
المكارم • ومونس لا ينام • يفيدك علم الاولين • ويخبرك
عن كثير من ابنا الاخرين • هل سمعت في الاولين او بلغك عن
احد من الاخرين جمع هذه الاوصاف مع قلة مونته وخفة محمله
لا يرزاك شيئا من دنياك • نعم الزحل والعقيدة • والشغل
والحرفة • جليس لا يبصرك • ورفيق لا يملك • يطيعك بالليل
طاعته بالنهار • ويطيعك بالليل والسفر طاعته في الحضر • إن ادمت
النظر اليه اطال امتاعك • واشحذ طباعك • وبسط لسانك
وجود بنانك • وفخم الفاظك • ان الفته خلد على الايام ذكرك
وان درسته رفع في الخلق قدرك • وإن رفعته نوه عندهم باسمك

يقعد العبيد في مقاعد السادة وتجلس السوقة في مجالس
الملوك • فأكرم به من صاحب واعزز به من مرافق •

وقد قال فيه الاول

لنا جلسا لا نمل حديثهم • البا مامونون عينا وشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى • ورأيا وتأديبا وعقلا مسددا
فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة • ولا نبقا منهم لسانا ولا يدا
فإن قلت اموات فما انت كاذب • وإن قلت احيا فلست مفندا

فهذا ما اردنا ان نمليه في هذا الكتاب

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
وكان الفراغ من كتابته في اليوم المبارك نهار الاثنين سابع
عشرين جمادي الاخر سنة اثنين واربعين وثمان مايه حسبنا الله ونعم الوكيل

كمل كتاب سراج الملوك